

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْعَةُ الْبَطْرِ
مَنْعَةُ الْبَطْرِ
مَنْعَةُ الْبَطْرِ

الْكَامِلَةُ

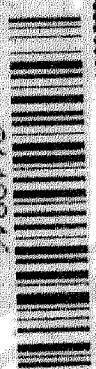
إشراق
تأليف

تعمير
أشرف

توزيع

Bibliotheca Alexandrina

3143845



الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف : ٣٤٤٤
رقم التسجيل : ٤٤٧٤٤٤

أعمال مولانا خير الكاملة

المجلد الثاني

إشراف :
نظير عبود

تعريب :
أنطوان مشاطي

دار نظير عبود

حَقَّ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ مَحْفُوظٌ
لِلدَّارِ نَظْمِ عَسْبُود

١٩٩٤

صَاحِبٌ : ٨٠٨٦ / ١١ تَلْفُونٌ : ٩٣٦٧٧٢ - ٩٣٤٧١٤

يحتوي المجلد الثاني على :

٥	مدرسة الزوجات
٧١	إنتقاد مدرسة الزوجات
١٠٧	إرتجالية فرساي
١٣٩	أميرة إيليد
١٩١	تريشوف
٢٦١	دونت جوات
٣٢٥	خبثات اسكابان
٣٨٩	غيرة المخدوع

مَدْرَسَة الزَّوْجَات

أشخاص المسرحية

أرنولف	: المعروف ايضاً باسم السيد دي لاسوش.
أغني	: فتاة بريئة ربّاهَا أرنولف.
هوراس	: عاشق أغني.
آلان	: فلاح، خادم أرنولف.
جورجيت	: فلاحه، خادمة أرنولف.
كريزالد	: صديق ارنولف.
أثريك	: زوج أخت كريزالد.
أوروث	: والد هوراس وصديق أرنولف الحميم.
الكاتب العدل :	

الأحداث تجري في ساحة إحدى مدن فرنسا.

الفصل الأول

المشهد الأول

كريزالد وأزولف.

كريزالد : هل أتيت لتقترن بها ؟
أزولف : نعم، أريد أن أبتّ في الأمر غداً.
كريزالد : نحن هنا وحدنا، ويتسنى لنا أن نتحدّث بحرية، فهل تريد أن
أصارك في شؤونك كصديق ؟ ان مشروعك يخيفني، وكيفما عالجت
الموضوع، لا يغربّ عن بالك أن مسألة الزواج غير سهلة.
أزولف : صحيح، يا صديقي، انك تجد صعوبات ومحاذير في تحقيق
مشروعي، لأنك لا تغفل عمّا يخبئه الزواج من عقبات وربما من خيانات.
كريزالد : هذه مغامرة ليست مأمونة العواقب، وأرى من الحماقة ان لا تأخذ
الاحتياطات اللازمة وتحسب لكل حالة الف حساب. فإنّ أبغض ما اخشاه في
قضيتك هو أن يحلّ بك ما يشكو منه مئات الأزواج. وأنت تعلم جيداً ان
الكبار والصغار لا يسلمون من الوقوع في الشرك المنصوبة لهم، ما دام هناك
مئات من المؤامرات تحاك باستمرار في الخفاء. وكم في الدنيا من زوج
مقهور مغلوب على امره، كما هو الحال في محيطنا، يجمع المال بشقّ النفس
فتبدّده زوجته على من تدعه يتسلّل الى فراشها خلسةً. وكم من زوجة تتظاهر
بالعفة والأمانة وتقبل هدايا عاشقها أو عشاقها، مدّعية انها تنالها تقديراً على
فضائلها، فيصدّقها زوجها بطيبة خاطر ليتفادى المشاكل. وكم غيره يترك

الأمر تأخذ مجراها عندما يرى غريمه داخلاً الى منزله، فيتناول معطفه وقبعته ويخرج ليتجنب الفضائح. وكم غيرها تكذب بمهارة ما تتهم به من تهوّر ظاهر في وصال حبيها، فيصدّقها زوجها الأمين ليتحاشى القلاقل والمشاجرات. وذاك الزوج الذي تبذّر زوجته أموالاً قبضتها بالحرام، ويعلن على سبيل التمويه أنها ربحتها في اللعب. على كل حال، موضوع هذه التجاوزات والتماديات لا ينحصر، ويجعل الناس يتسمون لدى سماعهم الحجج الباطلة التي يتذرّع بها اصحابها. وهل يمكن أن يكون لهذه الانحرافات من محاسب أو رقيب ؟ ...

كريزالد : نعم، لكن من يغربل الناس ويهزأ بهم يخشى أن يأتي دوره يوماً لينخلة الناس ويسخروا منه. فأنا أسمع ما يقوله الجميع وكيف يتندّرون بما يرون حولهم من مشاهد ويسمعون من حكايات. ومهما أُذيع من شائعات لا أصدّق حرفاً منها. لأنني نزيه لا أدين بعض التجاوزات التي لا يرضى عنها معظم الأزواج كي يُغفلوها، إذ يخشون أن تنقلب الآية وتقع الملامة على من لا يستحقها. وأنا لا أتمنى أن أكون من ففة الرجال الذين يرضون بأن يتألّموا بصمت وهدوء، ولا يبوحدون بسرّ تعاستهم وشقائهم. وقد لاحظت بوضوح أن البعض يضحكون سرّاً والبعض يتغاضون ويأسفون على ما قد يكون إنصافاً للمغبون. فلا تتهم الأزواج المتألمين الذين لا ترحمهم الألسنة الطويلة في ما ينوبهم عن غير استحقاق من لوم وتنديد علينا ان نتصرّف باستقامة كي لا نقع فريسة النميمة وضحية ما قد نقدم عليه في زاوية متوارية أو على قارعة الطريق أحياناً.

أرنولف : لا تندب حظك، يا صديقي. فمن يستطيع أن يمسك بي وأنا متلبس بالجرم المشهود يتعلم كيف يستفيد من زلّتي ليسير في الطريق القويم ويتبعد عن الأماكن المشبوهة حيث يتفنّن المفسدون في استثمار أهواء النساء والرجال. ولكي لا أقع في مثل هذه الأفخاخ المنصوبة ببراعة للمستهترين إتخذت الحيلة اللازمة لاتقاء شرّ السقوط في التجربة. ولأن الفتاة التي أنوي أن أقترن بها بريئة عفيفة، لا سبيل لإلقاء أي لوم على سلوكها وسلوكي الشريف بعد الزواج.

كريزالد : ومن هي صاحبة الحظ السعيد التي تشير اليها ؟
أرنولف : اذا اقتربت أنا بحمقاء، لا سمح الله، فهذا ليس بدليل على أنني أحقق مثلها. وفي اعتقادي أنني حريص على اختيار فتاة عاقلة رصينة. لأن المرأة الحاذقة قد تسبب المشاكل. وأنا أعرف بعض الرجال الذين جلبوا المتاعب لأنفسهم حين مالوا الى نساء أدهى مما يتصورون. بينما أنا أفضل أن أرتبط بزوجة رزينة لا تتحدث عن منتديات الأحبة ولقاءات العشاق، بأسلوب منمق، وتأتي على وصف الأفراح والليالي الملاح. فأكون هكذا زوجاً عاقلاً محترماً. انا لا أرغب في من تدعي المعرفة وتظن ذاتها متفوقة، كي لا اسمع منها ما لا يرضيني، بل أريدها أن تشيد بفضائلي وأفضالي ومهارتي وحسن تصرفي. لأنني لا أطلب من المرأة الصالحة سوى حلو الكلام والتضرع الى الله والطبخ والخياطة وسائر الأعمال المنزلية.

كريزالد : لا تنس ان المرأة البليدة عبء ثقيل على زوجها.
أرنولف : في الحقيقة، أنا أحبذ ان تكون زوجتي بلهاء وبشعة، وأن لا تكون حسناء كثيرة الفطنة والفتنة ومستبدة طاغية.

كريزالد : لكن بين انفتاح الذهن وجمال الخلق، ماذا تفضل ؟
أرنولف : لا شك في أن الشهامة تغني عن الاثنين.

كريزالد : كيف تريد بعد كل هذا ان يصبح النذل شريفاً والسفيرة فاضلة ؟ هل يسعك أن تثق بها وتأمين جانبهما ؟ قد تنزلق المرأة الذكية الى ارتكاب الخيانة احياناً، اذا تجاسرت على خلع العذار. اما البليدة الطبع فإنها لا تحجم عن اتيان المنكرات في أغلب المناسبات ربما بدون قصد وتصميم.

أرنولف : انا لا أجد حججك سديدة: فقد قال بنتاكروال لبانورج : « متعني بعطف المرأة ولو كانت حمقاء ». ومهما وعظمتي ونصحتني ستعجب في نهاية المطاف كيف انك لم تتوصل الى اقتناعي.

كريزالد : لن أضيف حرفاً واحداً على ما سبق وبيته لك.

أرنولف : كل انسان له خطة يتبعها في هذه الدنيا. وفي موضوع المرأة ارى أن خبرتي كافية لأختيار شريكة حياتي التي ارجو أن تكون متواضعة وطبعة ومن اسرة مشكورة، لطيفة المعشر مُحبة ونظير والدتها طيبة السمعة، وإن لم

تكن ثرية. وهكذا أمل ان ارتاح الى العيش بقربها. وأفضل ان تكون قد ربيت في وسط يشابه محيطي اما الغنية فلا سمح الله ان تكون من نصيبي لأنها عبء ثقيل على عاتق من يرضى بأن تكون زوجته. فكما يقول : المثل خير الأمور أوسطها، أودّ أن تكون رفيقتي راغبة في العيش البسيط، البعيد عن التصنّع والتكلف. وإن سألتني لماذا أعدّد كل هذه الأوصاف، أجيبك لأنني أتمسك براحة بالي وبالابتعاد عن المشاكل في حظيرة الزواج الضيقة. أخيراً، أدعوك هذا المساء، يا صديقي، لتتعشى معي على مائدة من إختارها قلبي، لكي توقن بأن قراري في محله واني لن أندم في مستقبل الأيام على ما نويت أن أقدم عليه قريباً.

كريزالد : اني أقبل دعوتك.

أرنولف : وهكذا يسعدك أن تحكم على براءتها وسلامة ذوقي.

كريزالد : من هذا القبيل، لا أظنني أخطئ في الحكم على واقع الأمر.
أرنولف : ستلمس لمس اليد صحّة اختياري وستعجب بأخلاقها الحميدة، كما هو حالي انا طبعاً، وإن كانت في بعض الأحيان تطرح أسئلة ساذجة مضحكة مثلما بدر منها ذات ليلة حين استفهمت عن مجيء الأطفال الى هذه الدنيا إن كانوا يأتون عن طريق الأذن.

كريزالد : هذا فعلاً دليل دامغ على بساطة تفكيرها، يا سيد أرنولف.

أرنولف : أرجوك، يا عزيزي، أن لا تدعوني ابدأ بهذا الاسم.

كريزالد : إطمئن بالا، يا صاح. إن لساني لا يقصد ابدأ أن يتلفظ به، ولن يخطر ابدأ ببالي إلا أن أدعوك السيد دي لا سوش. برّبك، قل لي ماذا يدفعك وانت في الثانية والأربعين من العمر الى تبديل اسمك ؟ فأنت طوال مدة معرفتي اياك لم اسمع باسمك النبيل هذا إلا منذ عهد قريب.

أرنولف : انا أعلم جيداً أنه انتساب الى الطبقة العليا من القوم، ويعجبني كثيراً سماعه. لذلك أفضل اسمي الثاني.

كريزالد : أنا لست من أنصار تغيير الانسان اسم آبائه وأجداده، لأنه بهذا التصرف يتنكر لأصله. وعلى سبيل المثال هناك فلاح اسمه بطرس الضخم، وهو لا يملك سوى قطعة ارض صغيرة، شاء ان يحفر حولها خندقاً، فامتلأت

الحفرة بالأوحوال. لذا إتخذ هذا الفلاح اسماً جديداً ودعى ذاته بإسم فخيم
يمتّ بالنسب الى « آل الجزيرة ».
أرنولف : يمكنك أن تنسى هذا التبديل. فإن اسم دي لا سوش هو الذي
أعرف به منذ زمن بعيد، وإني افضل الآن ان أتكتّى به.
كريزالد : انا لا أجد غضاضة في أن ادعوك كما تشاء. المهم أن يدعوك
كذلك سائر الناس.
أرنولف : وأنا لا يهمني كثيراً رأي سواي، بل يسرني ان تقبله انت ...
كريزالد : إطمئن بالأ. اني سأعتاد على تسميتك به ولن ادعوك بعد الآن إلا
السيد دي لا سوش.
أرنولف : وداعاً. سأطرق هذا الباب لأعلم أصحابه بأنني عدت مؤخراً من
رحلتي، فاعذرني.
كريزالد (يكمل طريقه) : تصرفه المنحرف لا يدهشني، لأنني عرفته دائماً
غريب الأطوار.
أرنولف : لا بد له من أن يكون قد امتعض من رأيي. كل انسان يتمسك بما
يعجبه ... يا هذا ...

المشهد الثاني

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : من الطارق ؟
أرنولف : إفتح لي. ستسرك مشاهدتي بعد غيابي الذي دام عشرة ايام.
آلان : من القادم ؟
أرنولف : انا.
آلان : يا جورجيت.
جورجيت : من المتكلم ؟
آلان : هيّا إفتحي الباب.

جورجيت : هيا بنا.

آلان : انا هنا.

جورجيت : بدمتي، لن أفتح.

آلان : وانا ايضاً لن أفتح.

أرنولف : ما هذا الكلام ؟ أتريدان أن تتركاني خارجاً ؟ هيا أسرعاً وافتحا الباب.

جورجيت : لكن من الطارق ؟

أرنولف : سيدك.

جورجيت : من، سيدي آلان ؟

آلان : ماذا تقول ؟

جورجيت : إفتح بسرعة.

آلان : لا، إفتحي أنت.

جورجيت : أنا أطفأت قنديلي.

آلان : وانا لا أفتح مخافة ان يخرج عصفوري الدوري من قفصه فتلتقطه هرّتي وتقضي عليه.

أرنولف : من منكما يتمنّع عن فتح الباب سيُحرم من الطعام طوال أربعة أيام.

جورجيت : كيف تريد أن تسبقني عندما أبادر أنا الى فتح الباب ؟

آلان : لماذا تسبقيني انتِ الى ذلك ؟ لماذا تلجأين الى الخداع والنفاق ؟

جورجيت : هيا إنسحب من هنا.

آلان : بل إنسحبي أنت.

جورجيت : أنا أريد أن أفتح الباب.

آلان : وأنا ايضاً أريد أن أفتحه.

جورجيت : لن تفتحه أنت.

آلان : ولا أنت.

جورجيت : ولا أنت ايضاً.

أرنولف : لقد فرغ صبري. ماذا تنتظران كلاكما لتفتحا ؟

آلان : على الأقل، انا يا سيدي ...

جورجيت : انا خادمتك، وأنا أريد أن ...
آلان : مع كل احترامي لك، يا سيدي الواقف خارجاً، أودّ أن ...
ارنولف (يتلقّى ضربة من آلان) : تَبّاً لك، يا أحمرق.
آلان : ارجوك أن تسامحني.
أرنولف : ما أغباك، أيها الأبله.
آلان : هي أيضاً، يا سيدي ...
أرنولف : أصمتا كلاكما. هيّا أجنبي، يا آلان، بدون مواربة، كيف حال الجميع هنا ؟
آلان : يا سيدي، نحن ... يا سيدي نحن بحالة ... نشكر الله، نحن ...
(يتزعج ارنولف القبة ثلاث مرات عن رأس آلان).
أرنولف : من علمك، أيها البليد، ان تكلمني والقبة على رأسك ؟
آلان : الحق معك. أنا مخطيء.
ارنولف (لآلان) : دع « أغني » تنزل الى هنا. (لجورجيت) هل كانت حزينه حين غادرتها انا منذ بضعة أيام ؟
جورجيت : كلا، لم تكن حزينه.
أرنولف : ألم تكن كهية ؟
جورجيت : كلا.
أرنولف : ولماذا ؟
جورجيت : لأنها كانت، تنتظر رجوعك عاجلاً. وكلما مرّ أمامنا حصان أو حماز أو بغل ظنّنت أنك عائد.

المشهد الثالث

أغني، وآلان، وجورجيت، وارنولف.

أرنولف : يسرّني أن أراك منكبّة على العمل، وشغلك في يدك. ها أنا قد رجعت، يا أغني. فهل يفرحك حضوري ؟

أَغْنِي : اجل، يا سيدي. أحمَد الله على سلامتك.
أَزْنُولْف : وانا مبتهج بمشاهدتك. أرى أنك في هذه المدة كنت تتمتعين بالصحة التامة.
أَغْنِي : كل أموري على ما يرام، ما عدا البراغيث التي ضايقتني اثناء الليل.
أَزْنُولْف : سأرسل بعد كم يوم من يطردها عنك.
أَغْنِي : اشكرك على ذلك.
أَزْنُولْف : لا شكر على الواجب. ماذا تفعلين الآن ؟
أَغْنِي : انا اصنع قبة لي، وقد أنهيت قميص نومك وكذلك القبة التي ترتديها ليلاً.
أَزْنُولْف : حسناً فعلت. هيا إصعدي الى غرفتك. سأعود بدون تأخير، وأنوي أن أفاتحك بقضية هامة تفرحك. (بعد دخول الجميع). اني اتحداكن يا بطلات كل الأزمنة. ايها السيدات العالمات الغائصات في الحنوّ والعواطف الرقيقة. وأنا أتحدّي كل ما يخصكن من أشعار وروايات وأدب ورسائل لطيفة وكل ما اكتسبتن إجمالاً من علم يبعدكن عن قباحة الجهل، وما تحلّيتن به من شرف وحياء.

المشهد الرابع

هوراس وازنولف.

أَزْنُولْف : ليس بالمال وحده يتسنى للمرء ان يبهر المجتمع. المهم أن يكون متشبثاً بالشرف الرفيع. ماذا ارى ؟ هل أنت موافق على ما اقول ؟ اني لا اخطئ في أحكامي. أجل، انه هو بذاته.
هوراس : سيدي أَر ...
أَزْنُولْف : أهذا أنت، يا هوراس ؟
هوراس : وانت، يا ارنولف ؟
أَزْنُولْف : ما أشد ابتهاجي برؤياكم. منذ متى أنت هنا ؟

هوراس : منذ تسعة أيام.
أرنولف : أصحيح ما تقول ؟
هوراس : لقد ذهبت الى منزلك ولم أجدك هناك.
أرنولف : كنت مسافراً الى الريف. متى عرجت عليّ ؟
هوراس : منذ يومين فقط.
أرنولف : كم ينمو ويكبر الأولاد خلال أعوام قليلة. أنا مُعجب به كما أراه الآن. وقد شاهدته آخر مرة حين كان طوله بهذا المقدار فقط.
هوراس : الأعوام تمضي بسرعة.
أرنولف : لكن، قل لي ماذا يفعل والدك أروننت، صديقي العزيز الذي اكنّ له كل تقدير ومودة ؟ وكيف يقضي أوقاته ؟ ألا يزال نشيطاً ؟ هو يعلم جيداً أن كل ما يهّمه يهمني انا ايضاً. ها قد مضت أربعة أعوام بدون أن يشاهد أحدنا الآخر وبدون أن نتراسل.
هوراس : إطمئن، يا مولاي أرنولف، إنه سعيد اكثر منّا. وها قد بعث اليك بهذه الرسالة. أعلم أنه كتب اليّ مؤخراً يخبرني بقدومه قريباً إلينا بدون أن يوضح لي سبب زيارته. هل دريت بأن أحد مواطنينا عاد الى هذه الديار بثروة طائلة بعد رحيله الى أميركا منذ اربعة عشرة سنة.
أرنولف : لا، لم أعلم بذلك. هل تعرف ما اسمه ؟
هوراس : أترى.
أرنولف : لا.
هوراس : حدّثني والذي عن عودته، فبئ كأي أعرفه منذ زمن بعيد. ولقد زوّدتني رسالته بكثير من المعلومات الهامة عن هذا المغترب الغني.
أرنولف : يسرني جداً ان اراه. وسأبذل جهدي لاستقباله أحسن استقبال.
(بعد ان قرأ الرسالة) : لا بدّ للأصدقاء من كتابة الرسائل بأقلّ كلفة، اذ لا لزوم لكل هذه اللياقات، ولا موجب لتوصيتي كي أكرم وفادته بكل امكانياتي.
هوراس : من عادتي ان أجعل الناس يتقيّدون بأقوالهم. لذا أعلمك بأنني بحاجة حالياً الى مئة ليرة.
أرنولف : بذمتي، يسرني ان أخدمك وأتمني لو كان هذا المبلغ الكبير

بحوذتي. لذا تراني لا أبخل عليك بما تحويه محفظتي من مبلغ ضئيل لا يفني بالمرام.

هوراس : لا بدّ ...

أرنولف : دع عنك الاعتراض، وقل لي كيف وجدت هذه المدينة ؟

هوراس : آهلة بالسكان، رائعة البنيان، غاصّة بالملاهي، يلذ لكل فرد ان يتصرّف فيها على هواه. مع ذلك يقتضي لأهل المجون هنا أن يقنعوا بالقليل. لأن ربّات الغنيج والدلال من سمرات وشقراوات لسنّ سهلات المنال، وإن كان الأزواج الخبثاء يتركون لهن الحبل على الغارب. لذا يستطيع المرء ان يرفّه عن نفسه كأمر وسط هذه الحاشية التي لا تحرم ذاتها في أغلب الأحيان من مباحج الحياة. لا سيما وأنت ميسور الحال مليء الجيوب بالمال الوفير، فلا يصعب عليك استمالة قلوب أوفى النساء.

هوراس : لا اخفي عنك الحقيقة. والصدّاقة تقضي بمصارحتك بأني عاشق متيمّ غائص في بحر الهوى.

أرنولف : ها هوذا خبر سعيد يفرحني.

هوراس : ارجوك أن تكتنم الأمر في سرّك.

أرنولف : كن مطمئنّ البال من هذا القبيل.

هوراس : انت لا تجهل أن السرّ متى تجاوز الاثنين شاع. لذا أصرّح لك بأني احببت فتاة فاتنة أسرت قلبي الذي وجد لديها بعض التجاوب، لأنها هي ايضاً تكنّ لي ميلاً قرأت حروفه المنوّرة في لحظ عينيها.

ارنولف. (يضحك) : ومن هي ؟

هوراس (يريه منزل أغني) : ها هوذا بيتها، وقد إحمرّت جدرانها عنها خجلاً. هي صبيّة رشيقة القوام، جميلة ساحرة، جذّابة الملامح، مشرقة الوجه، براءة العينين، تُدعى « أغني ».

ارنولف (على حدة) : ما أتعسني وأشقاني.

هوراس : والدها يُدعى زوس أو سورس، لست ادري بالضبط. وهو رجل واسع الثراء، غير أنه كما قيل لي، ليس بخارق الذكاء. فهل تعرفه ؟

ارنولف (على حدة) : يا للمصيبة.

هوراس : ما لك صامت لا تجيب ؟

أرنولف : نعم، أنا أعرفه.

هوراس : هل هو مهووس، كما بلغني ؟

أرنولف : ربما.

هوراس : ماذا تقول ؟ إذاً هذا صحيح. يا خيبة أمني. يقال كذلك أنه غيور وأحمق. فإن كان هذا صحيحاً أيضاً، فهناك الطامة الكبرى. لكن إبتته أغني اللطيفة عرفت كيف تأسر قلبي. إنها في الحقيقة جوهرة نادرة لا تُقدَّر بثمن. ولا أخفي عنك أنني أعتبر جرماً فاضحاً أن يُترك حُسنها الباهر في عهدة رجل كهذا غريب الأطوار. أما أنا فكل اميتي وحلمي الرائع هو ان أحصل عليها. وما المبلغ الذي طلبت منك أن تقرضني اياه، إلا ليساعدني على تحقيق اميتي بالاقتران بها. فالمال كما تعلم هو مفتاح جميع الأبواب الموصدة المستعصية. وهذا الأصفر الرنان، في الحبِّ كما في الحرب، يسهّل احتلال المنع الحصون والقلوب. اراك تستمع اليّ بكآبةٍ ظاهرة، أفلاً ترى رأيي في هذا المشروع العزيز على مهجتي ؟

أرنولف : لا، لا، بل كنت أفكّر.

هوراس : أظن أن هذا الموضوع لا يسرّك كثيراً. الوداع. سأعود اليك في فرصة أخرى.

أرنولف : لماذا أنت مستعجل هكذا ؟

هوراس (يعود) : أرجوك مرة ثانية أن تكتم تصريحك لي في سرّك، وأن لا تبوح به لأحد (يلمضي).

أرنولف : أشعر بضيق في صدري.

هوراس (يعود) : ولأبي بنوع خاصّ. إذ ربما أغضبه هذا الخبر.

ارنولف (يظنّ أنه رجوع ثانية) : كم آلمني هذا الحوار، وكم أحزنني أن أروي لك الآن حكايةٍ إسمي الآخر. لكنني اضطررت الي مصارحته بتفضيلي ما يعجبني طبعاً في هذه القضية. سأحاول ان أتصل به ثانية لأنني أعتقد أنه غير بعيد من هنا، وأن اذكّره بما طلبت منه خشية ان يسبب لي بعض الاحراج، اذ غالباً ما ينجم الضرر عمّا يتساهل به المرء من حيث لا يقصد.

الفصل الثاني

المشهد الأول

ارنولف

أرنولف : كل ما اشعر به نحوها يجعلني اميل الى الاعتقاد أنني مصيب في اختياري هذه الفتاة اللطيفة الكريمة الأخلاق. لأنني لن أغفر لنفسي خيبة آمالي إن أثبتت لي الأيام القادمة ان مظهرها خدّاع، وأن طويّتها غير سليمة، فيما اذا صممت على قبولها كشريكة حياتي. لأن مشروع الزواج صندوق مقفل كما قيل، لا يظهر ما في داخله إلا بعد فتحه بتتميم مراسم الزفاف. فأرجو أن يلهمني الله ما فيه خير لي قبل الإقدام على هذا ... (يُطرق الباب).

المشهد الثاني

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : يا سيدي، هذه المرة ...
أرنولف : مهلاً تقدّما كلاكما نحوي. هيا أقبلًا إليّ.
جورجيت : لقد أفزعتني، وقلبي يرتجف هلعاً.
أرنولف : أرى أنكما أثناء غيابي لم تتورّعا عن العبث بشؤوني الخاصة.
جورجيت : أرجوك، يا سيدي، أن لا توبّخني.

آلان (على حدة) : لا بدّ من أن يكون قد عضّها كلب مسعور.
 أرنولف : لم أعد أقوى على الكلام لشدة ما توجّست خيفة، وأنا أكاد أختنق
 حزناً لأنني أيقنت بصحة النميمة التي اطلقتها بحقي أيها اللثيمان اللعينان. ها
 قد عدت ... الى أين تريد أن تهرب ... لا بد لي من أن أنزل بك ... اذا
 تحركت. هيّا أريد أن تقولا لي ... أجل أصرّ على ان تعترفا كلاكما ... إعلما
 جيداً اني مصمّم جدّياً على قتل من يتحرّك منكما بضربة لا محالة تُخمد
 أنفاسه. هيّا أجياني كيف تمكّن هذا الشاب من الدخول الى بيتي. عجّلاً،
 وأقرأ حالاً. وسريعاً بدون أن تحاولا التملّص من الردّ على سؤالي بصراحة تامّة.
 آلان وجورجيت (يجثوان على ركبتيهما) : مهلاً، يا مولانا الكريم.

جورجيت : قلبي يكاد يتوقّف عن الخفقان.

آلان : وانا أكاد أموت رُعباً.

أرنولف : ها قد هدأ روعي قليلاً. لكنني لا أصدّق ان الذي عرفته صغيراً
 سيكبر بهذه السرعة ويزاحمني على حبيبي. لا بد لي من أن أفهم ذلك منه
 شخصياً وأعرف ماذا ينوي عمله بالضبط في هذا الموضوع الحيوي بالنسبة
 اليّ. فاصبر، يا قلبي، وتمهّل، عليّ أن أقابل أغني حالما تنزل لأكون على بينة
 من أمرى، وكيف يتحمّم عليّ أن أتصرّف لأصون حبي وكرامتي، وأخرج
 سالماً من هذه المعركة العاطفيّة الطاحنة ... لا بدّ من أن ينتظرنني خادماي ها
 هنا.

المشهد الثالث

آلان وجورجيت.

جورجيت : يا إلهي، ما اشد غضبه. لقد سمّرتني نظراته القاسية في مكاني.
 في الحقيقة، لم أشاهده قبلاً في مثل هذا الوضع الثائر.
 آلان : الشاب هو الذي أخرجته واخرجه عن إترانه، كما قلت لك منذ هنيهة.
 جورجيت : ما أصلب عناده وأخشن طبعه. هل يريد أن يسجن سيدتنا في بيتها،

ويفرض عليها العزلة التامة ويجبرنا على أن لا ندع احداً يراها في مخبأها أو يكلمها أو يقترب من شخصها الأسير ها هنا ؟

آلان : ارى أن الغيرة قد سيطرت على أفكاره وتصرفاته.

جورجيت : ألا قل لي برّبك، ماذا حدا به الى إتخاذ هذا الموقف الغريب ؟

آلان : صدّقيني، هذا كله مصدره الغيرة بدون ادنى شك.

جورجيت : لكن، ما الداعي الى كل هذه الغيرة وكل هذا الإهتداء ؟

آلان : تّباً للغيرة التي تعمي البصيرة والبصر، يا جورجيت، وتبعث الاضطراب والقلق هكذا في النفس. ولكي أيبّن لك ببساطة ما يتصارع في رأسه من خواطر أطرح عليك هذا السؤال. عندما تطهين الحساء مثلاً، اذا أقبل جائع غريب ليغرف منه ويأكل، ألا تستائين وتغضبين وتصرخين في وجهه وتطردينه ؟

جورجيت : الآن فهمت السبب الذي دفعه الى الغضب على هذه الصورة السمجة.

آلان : هكذا يجب عليك أن تعرفي ان المرأة هي حساء الرجل. فعندما يرى هذا الرجل ان جائعاً آخر يودّ ان يشاركه في العرّف من حسائه ليشبع نهمه هو أيضاً يستشيط غضباً في الحال، ويرغي ويزبد ولا يتردد في تحطيم كل ما حوله إن استطاع.

جورجيت : لكن، لماذا لا نجد ردّة الفعل ذاتها لدى كل الرجال على السواء ؟ اننا نشاهد بعض الأزواج لا يباليون لدى رؤية نسائهم في أحضان سواهم من الرجال ؟

آلان : لأن جميع الرجال ليسوا حريصين على نسائهم كي يصرّوا على أن يكنّ لهم وحدهم فقط لا لسواهم ايضاً.

جورجيت : اذا لم يخدعني نظري، ها هو سيّدنا قد عاد.

آلان : كلا، بصرك لا يخدعك. فهذا هو بذاته.

جورجيت : انظر إليه كم هو قَلِق كَتِيب يستدعي الشفقة.

آلان : أجل ويبدو عليه أنه يكاد يختنق من شدة الضجر والألم.

المشهد الرابع

ارنولف وأغني وآلان وجورجيت.

أرنولف : قال أحد العقلاء المتبصرين يوماً للأمبراطور أغسطس : « عندما تتابنا ثورة الغضب علينا أن نعدّد حروف الأبجدية كلّها ريثما يهدأ غيظنا في هذه الاثناء، ولا نُقدّم على ما يتحتّم علينا أن لا نفعله، وندم بالتالي على عمله ». وانا إتّبعث هذه النصيحة القيّمة في موضوع أغني. لذلك قصدت أن استقدمها الى هذا المكان بحجّة اني أودّ ان أقوم معها بنزهة قصيرة. وهكذا تهدأ خواطري المضطربة، وأطلعها على مخاوفي، وفي الوقت ذاته أحاول أن أستشّف مدى تعلقها بي وأستطلع بلطف ما تكنّه لي من العطف والمودّة ... فتعالى، يا أغني، نتجوّل برهة في الحديقة.

المشهد الخامس

ارنولف وأغني.

أرنولف : ما أروع هذه النزهة.
أغني : حقاً، انها جميلة.
أرنولف : والنهار صافٍ بهيج.
أغني : أجل، هو في منتهى الروعة.
أرنولف : ما وراءك من الأخبار ؟
أغني : لقد مات الهَرّ الصغير.
أرنولف : يا للأسف. لكن ماذا دهاه ؟ كلّنا مصيرنا الموت في يوم من الأيام، فلا تحزني. عندما كنت أنا في الحقل، ألم تمطر السماء ؟
أغني : كلا.
أرنولف : هل هذا يضايقك ؟
أغني : لا شيء يزعجني.

أَرْنُولْفُ : ماذا فعلت خلال الأيام التسعة أو العشرة الماضية ؟
أَغْنِي : أنجزت خياطة ستّة قمصان وستّ قبعات أيضاً.
أَرْنُولْفُ (وقد سها لحظة) : الدنيا، يا أغني، هي كعادتها في غاية الغرابة. فلقد بلغني نبأ مشؤوم مفاده أن رجلاً مجهولاً قد دخل المنزل أثناء غيابي وازعجك بحضوره وحديثه. انا لم أصدّق هذا الخبر الملقق، وأصررت على المراهنة بأن لا صحة مطلقاً لهذا الادعاء الكاذب.

أَغْنِي : يا إلهي. لم يكن من داع للرهان كي لا تخسره.
أَرْنُولْفُ : هل صحيح إذاً أن رجلاً ...
أَغْنِي : هذا لا شك فيه، لأنه فعلاً لم يزر أحداً سوانا.
أَرْنُولْفُ (على حدة) : هذا النبأ الذي تؤكده بصراحة يطعن فؤادي بخنجر حاد. (بصوت مرتفع) على ما أذكر، يا أغني، قد حرّمتُ عليك استقبال اي زائر أثناء غيابي.

أَغْنِي : لكن عندما تعرف السبب الذي تجعله، يبطل حتماً عجبك. ولو كنت أنت مكاني لتصرفت كما فعلتُ انا.
أَرْنُولْفُ : ربما. فعجّلي إذاً واروي لي كل ما حدث.

أَغْنِي : أمر غريب يكاد لا يُصدّق. كنت جالسة في الشرفة بالبرود، عندما رأيت شاباً يمرّ بين أشجار الحديقة. فالتقي نظرانا وانحنى هو مسلماً عليّ بأدب، وانا بدوري، من قبيل اللياقة، رددت له تحيته، وانحنيتُ مسلّمة. فما كان منه إلا أن انحنى ثانيةً وكذلك أنا، وثالثةً ايضاً وأنا كذلك. وراح يمرّ أمامي ذهاباً وإياباً ووجهه يبتسم لي. وهكذا استمرّ في النظر إليّ وأنا أردّ له ابتسامه الى ان أسدل الليل ستائره، ونحن لا نزال نتبادل النظرات والابتسامات. لأنني اعتبرت خروجاً على قواعد الأدب أن أكون أقلّ تهدياً منه.

أَرْنُولْفُ : هذا حقاً جميل جداً.
أَغْنِي : وفي الغد، عندما كنت واقفة بالباب، دنت مني سيدة متقدّمة في السنّ وخاطبتني قائلة : يا ابنتي، بركة الله تشملك وتحفظ لك طلعك البهية. لم يُمْنُ الخالق عليك بهذا الجمال الملائكي لكي تغفلي التّعمّم بحسناته وأنتِ في

ربعان صباحك، وتجرحي قلب فتى يضطر اليوم الى التنهد من شدة أساه، هو
ربعان صباحك، وتجرحي قلب فتى يصصر اليوم بي التنهد من شدة أساه، هو
الذي لم يتعود الشكوى.

أرنولف (على حدة) : تبا له من وغد لئيم كزبانية الجحيم.

أغني : سألتها : هل حقاً أنا جرحت أحداً ؟ فأجابت : اجل لقد تسببت في
جرح الشخص الذي رأيته بالأمس من شرفتك. قلت لها : وهل استفهمت منه
عن سبب ألمه ؟ اجابت : أجل، إن عينيك هما اللتان سدّتا اليه السهام
الجارحة ولحظك هو الذي أنزل به هذا البلاء البالغ الخطورة. فسألتها : وهل
عيناى فيهما سهام تصيب الانسان بأي أذى ؟ أجابت : نعم ان فيهما سهاماً
ساحرة جارحة لا علم لك بها. وبكلمة أقول لك إن هذا الشاب المسكين
يتألم ولا بد له من معالجة فعّالة وسريعة، ترفض قساوتك أن تسعفه بها. وقد
أصبح إنساناً سقيماً على بُعد خطوتين من مثواه الأخير. فقلت لها : يا إلهي،
يجب عليّ اذاً أن أرحم عذابه وأخفف عليه علته. ولكن كيف يسعني أن
أساعده ؟ وماذا يُطلب مني أن أفعل ؟ أجابت : ان عينيك وحدهما تستطيعان
أن تنعشاه وتقياه من الهلاك المحتّم، وتشفياه من العلة التي أصبته بها، فقلت :
يسعه أن يأتي الى ساعة يشاء لكي يتناول منهما دواءه الشافى.

أرنولف (على حدة) : تبا لك من ساحرة داهية لعينة تسممين النفوس الأبية.
حملتك الأبالسة الى قعر الجحيم الذي تستحقينه على قباحة أقوالك
وتحريضاتك.

أغني : هكذا شاهدي وتناول جرعة الدواء ليشفى. أولاً ترى ان الحق
بجانبي ؟ وهل يمكنني أن أكون مرتاحة الضمير إن تركته يموت بسببي
وحبست عنه نجدتي، انا التي اشفق دوماً على المظلوم ولا استطيع أن أبصر
دجاجة تُذبح بدون أن تنهمر دموعي ؟

أرنولف (بصوت خافت) : هذا تصرّف انسان بريء رحوم، ولا بد من أن ألوم
ذاتي على قلة تبصّري لأنني تركت أخلاقك الكريمة تتعرض لإغراء هذا
المراوغ المحتال. وأحشى أن يكون هذا المنحط الذي يستحق الموت شنعاً
على تطاوله ووقاحته، قد حاول إغواءك.

أَغْنِي : ماذا دهاك ؟ وأي شَرَّ تجد في ما فعلته أنا بإسعافي شاب مسكين
إلتمس معونتي ؟

أَرْنُولْف : لا، أرجوك ان تطلعي علي ما جرى بعدئذ، وكيف تصرّف هذا
الفتى الأرعن اثناء ما قام به من زيارات لشخصك اللطيف ؟
أَغْنِي : ليتك تعلم كم كان مسروراً، وكيف زال عنه الألم والعذاب حين
أبصرني. ولقد قدّم كهديّة لي عبيةً جميلة، ومالاً لخادمي آلان وخادمتي
جورجيت. حقاً، يجب عليك أن تكون له من الشاكرين.

أَرْنُولْف : ولكن ماذا فعل عندما انفرد بك ؟
أَغْنِي : أقسم لك أنه يحبني حباً لا مثيل له. ولقد اسمعني أحلى كلام في
الدنيا لا يعادله اي تعبير آخر. وكلما تحدّث اليّ شعرت بارتياح وسرور
ورعشة سحرية لا ادري كيف أصفها لك.

أَرْنُولْف (على حدة) : ما هذا القول المشوّم الذي لا ارغب في سماعه
مطلقاً ؟ (لأغني) وما عدا العبارات اللطيفة التي وجّهها اليك، ألم يداعبك
ويلامس جسمك الناعم.

أَغْنِي : اجل أخذ بين كفيه يديّ وذراعيّ وقبّلها مراراً بفرح وبدون كلل أو
ملل.

أَرْنُولْف : أولم يطلّ منك أية ناحية أخرى ؟ (يراها واجمة). لم اقصد الاساءة
اليك ابداً.

أَغْنِي : أجل لقد ...

أَرْنُولْف : ماذا ؟

أَغْنِي : أخذ ...

أَرْنُولْف : قولي لي ماذا ؟

أَغْنِي : أَل ...

أَرْنُولْف : أرجوك أن تكلمي.

أَغْنِي : لا أجرؤ. ربّما خنقت عليّ.

أَرْنُولْف : كلا، كلا.

أَغْنِي : واذا أستأّت ؟

أُزْنوْلُف : أَعْدك بَأَن لا أَحْنق.

أُغْنِي : أَحلف لي بشرفك.

أُزْنوْلُف : أقسم لك اني لن أسخط.

أُغْنِي : لقد أخذ مني ... لا، لا، ستغضب حتماً.

أُزْنوْلُف : كلا، كلا، أوكد لك اني لن أغضب ابداً.

أُغْنِي : بل ستستاء مني.

أُزْنوْلُف : لن استاء بتاتاً. لماذا لا تريدن أن تبوحن بما أخذه منك ؟

أُغْنِي : لقد ...

أُزْنوْلُف (على حدة) : لا تعذبي مهجتي اكثر مما فعلت.

أُغْنِي : لقد اخذ مني الشريط الذي أهديتني اياه. ولم أمانعه عندما ألح وأصرّ

للاستيلاء عليه والاحتفاظ به كتذكار.

ارنولف (يتفّس الصعداء) : لا بأس إن أخذ الشريط فقط. لكنني أريد أن أعرف

إذا كان حقيقة اكتفى بتقويل يديك وذراعيك.

أُغْنِي : ماذا تعني ؟ وهل يستطيع أن يتجاوز الى اكثر من هذا ؟

أُزْنوْلُف : لا، لا، طبعاً لا. ولكن لكي يبرأ تماماً من علته ألم يطلب منك

علاجاً آخر ؟

أُغْنِي : كلا، كلا. أقسم لك انه لم يطلب أي شيء آخر غير الإسعاف الذي

منحته اياه.

ارنولف (على حدة) : شكراً لك، يا إلهي. هكذا ارتاح قلبي أما اذا تعرّضتِ

لتجربة غير هذه، فلن يسهل عليّ قبول التحدي الذي سأواجهه عندئذ. يا

لبراءتك، يا أغني. بالفعل، لا يسعني أن أضيف كلمة واحدة على ما قلته لك،

لأن ما جرى قد جرى. ولست أدري إن كان هذا الضيف الثقيل حين أثنى

على جمالك ولطفك لم يطمع بأكثر مما سمحت له بالاستشفاء به، وهو

يضحك من سذاجتك وبساطتك.

أُغْنِي : تعني أنني أخطأت في تصرفي حياله. أرجوك أن تبين لي لماذا وكيف

وما السبب ؟

أَرْنُولْفُ : السبب ؟ السبب هو الحكم الذي يصدر بحقك، اذا أغضبت السماء بما فعلت.

أَغْنِي : اذا أغضبت السماء ؟ لكن ما الداعي الى غضبها ؟ إن ما قمت أنا به لا يعدو كونه مجاملة سارة. لأنني أقدر ما يشعر به الانسان من الفرح والارتياح عندما يحسن التصرف. وأنا لم أقصد ولا مارست هذه المساعدة إلا في سبيل عمل الخير.

أَرْنُولْفُ : أجل، إن مثل هذا التصرف يجلب السرور طبعاً، لا سيما لقاء حلوة ما يلقاه الانسان من لطف وحنو ومداعبة مستحبة. لكن على المرء أن يتذوقها بإحساس شريف، تمحو شرعية الزواج ما قد يستحقه من ملامة وعقاب لو صدر عنه قبله واعتبر محرماً.

أَغْنِي : عندما يجري ذلك بعد الزواج، أعتقد أن الأمر لا يكون مشيناً.

أَرْنُولْفُ : طبعاً لا، بكل تأكيد لا.

أَغْنِي : اذاً، رجائي وكل أمني القبول بي زوجاً بأسرع وقت ممكن.

أَرْنُولْفُ : اذا شئت، أنا على أتم الاستعداد لتحقيق هذا القران. ولهذا السبب بالذات تجديني جاهزاً ها هنا في هذه اللحظة.

أَغْنِي : هل ما بلغ أذني الآن صحيح ؟

أَرْنُولْفُ : اجل، اجل.

أَغْنِي : ما أعظم البهجة التي أدخلتها الى قلبي.

أَرْنُولْفُ : أنا لا أشك بما ستلقينه من سعادة في جنة الزواج.

أَغْنِي : هل تريد أن نذهب نحن الاثنين ...

أَرْنُولْفُ : أنا لا أتمنى غير هذا.

أَغْنِي : اذ ذاك سيتسنى لنا ان نتداعب كما نشاء.

أَرْنُولْفُ : ثقي بأن الأمور ستكون متبادلة على ما يرام.

أَغْنِي : لا أحب ان يهزأ بي أحد. هل تتكلم جدياً ؟

أَرْنُولْفُ : نعم، نعم. ويمكنك أن تلمسي بنفسك حسن نيتي.

أَغْنِي : هل حقاً ستتزوج ؟

أَرْنُولْفُ : نعم.

أَغْنِي : متى ؟
أَزْنُولْف : هذا المساء.
أَغْنِي (ضاحكةً) أحقاً، هذا المساء ؟
أَزْنُولْف : نعم، هذا المساء بالذات. هل هذا يضحكك ويفرحك ؟
أَغْنِي : نعم، جداً جداً.
أَزْنُولْف : ليس أبهج عندي من أن أراك في غاية السعادة.
أَغْنِي : كم. أنا مرتاحة لتصريحك هذا. وكم سأكون راضية على حسن تصرفي.
أَزْنُولْف : مع من ؟
أَغْنِي : مع ... هناك ...
أَزْنُولْف : مع من ... هناك ؟ لا يعجبني أن تختاري زوجاً بمثل هذه العجلة.
لماذا لا تبين لي على من وقع اختيارك ؟ لا بد من أن أرحله الى العالم الآخر
عندما أعرف من هو. أيقني بأني سأعرف ايضاً كيف أنهى علاقتك به حالاً
حين سيأتي اليك ليبلغك أحرّ تمنياته. إفهمي جيداً ان عليك أن تغلقي بابك في
وجهه وأن ترميه من النافذة بحجر كبير وترغميه على أن لا يكرّر عودته اليك.
هل سمعت، يا أغني ؟ سأختبئ في إحدى الزوايا لأكون شاهداً على طريقة
استقبالك اياه.
أَغْنِي : إتفقنا على ذلك ... ها هوذا ...
أَزْنُولْف : ماذا تقولين ؟
أَغْنِي : لن أجرؤ على مواجهته كما تريد.
أَزْنُولْف : لا تأتي بأية حركة، بل إصعدي فوراً الى مخدعك.
أَغْنِي : ماذا تقصد ؟
أَزْنُولْف : كفى. إعلمي أنني هنا أنا السيد المطاع، وعليك أن تخضعي
لأوامري وتنفيذها بحذافيرها فوراً بدون أيّ تردّد.

الفصل الثالث

المشهد الأول

ارنولف واغني وآلان وجورجيت.

أرنولف : كل الأمور تسير على ما يرام، وفرحي لا يضاهيه أي سرور في الدنيا. لأنك إتبعت تعليماتي كما يجب، رغم مسعى الشاب الأشقر الذي حاول إغراءك. في الحقيقة يعود الفضل الأكبر إليّ أنا الذي وقفت له بالمرصاد. كنت أخشى أن تدفعك براءتك الي مسائرتة والغرق في لجة معاصيه بدون قصدك، لولا ارشاداتي السديدة. لأن أغلب هؤلاء الفتيان المتهورين قد دأبوا على اغواء الصبايا بما يتزينون به من ريشات وأشرطة ملوّنة وشعر طويل متموّج وعيون جسورة آسرة. لكنك بفضل حضوري قد تداركت سوء المصير، وتملّصت من براثن هذا المحتال اللعين الذي يفوق دهاؤه جيل ابليس بعينه، والذي حاول ان يخدّش شرفك الطاهر النقي. أشكري الله على أن نجاتك من حبال شرّه تمّت على يدي. وهذا ما يجعلك مدينةً لغيرتي على صالحك وهنائك، فحميتك من التدهور والسقوط في الرذيلة. أبشري اذاً واستعدّي قريباً لإتمام مراسم زفافك إليّ. وانا، بانتظار هذا اليوم السعيد القريب ان شاء الله، أرجوك أن تنصتي الي حديثي القصير التالي. فهلا جلبت لي مقعداً لأستريح بعض الوقت عليه بجوارك ؟ (لجورجيت) وانت، اذا لاحظت عليك ما ...

جوزجيت : سأطيع حرفياً أوامرك يا سيدي، ولن أدع ذاك الشاب يجرؤ
على ... لكن ...

آلان : اذا عاد ودخل ثانية من هذا الباب، سأكون انا بانتظاره. مع أنه في
المرّة السابقة أتحنفني بليرتين ذهبيتين زهيدتين.
أرنولف : الآن، ستناول عشاءك باستعجال، ثم عليك أن تأتي الى هنا بالكاتب
العدل الذي كما تعلم، يسكن قرب الزاوية غير البعيدة من هذا المكان. وانا
اتدبر الباقي لاجراء المراسم.

المشهد الثاني

ارنولف واغني

ارنولف (جالساً) : أصغي اليّ، يا أغني، وأريحي يديك من شغل الابرّة.
وارفعي قليلاً بصرك الى محياي وانظري فقط الى عينيّ أثناء تحدّثي اليك،
واطبعي كلماتي بانتباه في أعماق ذهنك المنفتح. سأقترن بك، يا أغني وعليك
أن تباركي السماء مئة مرة في اليوم على مصيرك السعيد. قارني الشقاء الذي
كنت مزمعة أن تتورّطي فيه، وتأملي الهناء الذي أغدقه أنا عليك بهذا الزواج
المبارك. لأنني إذ أمنحك اسمي انهض بك من حضيض الفقر القروي الى
مستوى شرف الميسورين في المدينة لتنعمي بكل ما فيها من امتيازات
ومباهج، فضلاً عما تلقينه بين ذراعيّ من حب وضمّ وعناق وهناء. فأنا رجل
مفضال وقور خبير، بعكس ذلك الصعلوك المغرور الحقير الذي يدهورك معه
الى مستواه السافل الوضيع. بينما أنا ارفعك الى مصافّ أصحاب العزّ والرفاه.
وكل املي أن تشكري حظك الرائع الذي يسرّ لك هذا القران المبارك.
فالزواج، يا عزيزتي أغني، ليس مزاحاً عابراً، لأنه يضعك أمام واجبات سامية
ومسؤوليات جدّية، وأنت لا تدخلين حظيرته لكي تنساقى وراء الاستهتار
والإبتدال، بل لتتمتعي بمباهج الحياة وأطايها. وما نوثك إلا مفتاح هذه الجنة
الأرضية التي أريد منك أن تدخيلها برأس مرفوع. وهكذا نندمج معاً كلانا

لنكون شخصاً واحداً في المجتمع الراقي على قدم المساواة بي في الاعتبار والإكرام. نحن الآن نشكّل نصفين يتحدان ليكونا شخصاً واحداً. النصف الأول رفيع المستوى قوي، والنصف الآخر ضعيف يزعم له برضوخ ويمتثل لإرادته المحققة، كما يطيع الجندي أوامر ضابطه وكما يخضع الخادم لسيده والولد لأبيه والأخ الصغير لشقيقه البكر. فعليك أن تنتمي الى فئة المتمسكين بواجب الليونة والإنقياد والتواضع والاحترام. لأن الزوج هو رب الأسرة وسيدها ورئيسها ومعلمها ومولاها المطاع. فبمجرد إلقاءه نظرة عابسة يتحتم على زوجته ان تخفض نظرها الى الأرض وأن لا ترفع اليه عيونها إلا لإبداء خضوعها لمشيئته. لأن عينيه المعبرتين هما مصدر فرحها وهنائها. وهذا ما لا تجيده، يا للأسف، نساء اليوم إجمالاً، ولا تدركه المرأة العصرية المستهترّة. عليك ان لا تشبهي بهؤلاء الزوجات الماكرات اللواتي تُستنكر قبائحهن على جميع الألسنة. حذارٍ ان يغرك مظهرهن الخداع الذي يُشيد بحسناته معظم شبان اليوم الماجنين. ولا تنسي اني بجعلك قرينتي أشاطرك شرف نسبي وسمعتي الطيبة. وانا واثق بأنك ستحرصين على إبقاء كرامتي في المستوى الرفيع الذي تكفي لتخديشه أتفه الانحرافات ولتمريره في الأوحال التي تلتطخه بها المرأة الطائشة المستسلمة الى اهوائها وشهواتها. انا لا اردد عليك هذه النصائح جزافاً لأن فيها عين الحكمة والصواب، وهي خير عبرة لمن لا تريد أن تحاكي بأفعالها أولئك الغيد البارعات في الغنج والدلال، والبعيدات كل البعد عن سبل التعقل والتبصر والحب الصادق. انا على يقين بأنك في حديثي هذا الرصين ستجدين أفضل الأمثلة لتحافظي على صفحة سلوكك نقية ناصعة البياض كالثلج، لا تشوبها شائبة ولا يلوكها الناقد الطليق اللسان، إن زلت قدمها، لا سمح الله، ولوّث عفتها وسمعتها بما هو أشدّ سواداً من الفحم. فيرذلها الجميع وتدهور في نهاية المطاف بحراسة الشيطان الرجيم الى ما يتأجج من نيرانٍ في أعماق الجحيم. بينما أنا، كما ترغبين، أنوي أن أدخلك معي بكل احترام ووقار واستحقاق، الى أرفع طبقات النعيم. هيا الآن سلّمي بانحناء القبول والرضى كما تمثل المبتدئات العفيفات عندما يعلنن نذرهن في رحاب الدير الحصين، لأنك بدخولك حظيرة الزواج تعلنين نظيرهن نذر العفة

والأمانة والطاعة لشريك حياتك المختار. (ينهض) والآن اليك بهذه الهدية التي حفظتها في جيبتي لأقدمها لك كعربون الزفاف لعروس احلامي التي أفخر بأن اوجه اليها الارشادات التي تتضمنها هذه الورقة الثمينة وتبتهجي انت بتطبيق جميع ما ورد فيها حرفياً، كما ارجو من كل لهفة قلبي.
اغني (تقرأ ما في الورقة التي تناولتها من يده) :

حِكْمَ الزَّوْجِ

أَوْ

واجبات المرأة المتزوجة

التي يتحتم عليها ممارستها كل يوم

أغني (تقرأ) :

الحكمة الأولى : المرأة التي تنعم بشرفٍ بدفء سرير شريك حياتها، عليها أن تضع نصب عينيها، رغم ما يسود اليوم بين النساء من افكار متطرفة، ان الرجل الذي ترضى به زوجاً لا يقبلها إلا لكي تكسّر كل حياتها له وحده.
أزولف : سأشرح لك فيما بعد فحوى هذا الكلام المفيد، فعليك الآن أن تكتفي فقط بالاطلاع عليه بانتباه كلي.

أغني (تتابع القراءة) :

الحكمة الثانية : عليها أن تبرّج وتزيّن بقدر ما يشاء زوجها الذي يمتلكها. لأن أمر زينتها والعناية بجمالها، يتعلق به وحده، ولا مانع لديه إن وجدها سواء قبيحة المنظر.

الحكمة الثالثة : عليها أن تمتنع عن استعمال أية موادّ لتجميل عيونها، والمياه والمساحيق البيضاء والمراهم والأصناف المتعددة التي تلجأ المرأة اليها لتنعيم بشرتها. لأن هذه العلاجات اليومية تسيء الى حسن السلوك في الحياة

الزوجية، وهي محاولة للظهور بمظهر الحسنات قلما تهتم معظم الأزواج بوجه عام.

الحكمة الرابعة : تحت ستار الخفر والحياء وشعار الأمانة والوفاء، الأمر الذي يجب عليها أن تلتزم به، كما يفرضه شرف الزوجة المصان، لا بد لها من أن تنغاضي عن كل نظرات الاعجاب التي تعترض سبيلها عادةً. إذ أنها لكي تستحقّ رضی زوجها، عليها أن لا تُعجب أي رجل سواه.

الحكمة الخامسة : ما عدا الزيارات التي يتلقاها الزوج، تُحرّم القاعدة السليمة أن تقبل الزوجة زيارة أي كان، لا سيما التي يقصد بها الزائر شخص الزوجة بنوع خاص، لأنها لا ترضي ابداً شريك حياتها.

الحكمة السادسة : عليها أن تمتنع عن قبول الهدايا من أي رجل كان. ففي العصر الحاضر لا يقدم احدٌ هديةً لوجه الله بل لغاية خفية في نفسه.

الحكمة السابعة : بين جدران البيت، اذا وضجت الزوجة، عليها أن لا تستخدم القلم والحبر والورق والكتابة بتاتاً الى أي كان. لأن من حق الزوج وحده أن يكتب بخط يده كل ما يمكن تدوينه تحت سقف بيته.

الحكمة الثامنة : المجتمعات الفوضوية التي يخلع عليها الماجنون اسم المجتمعات الترفهية، تضم نساء لا يتورعن عن إغراء كل رجل رصين عفيف النفس. لذا يتحتم على القوانين الرصينة أن تحرم هذه المجتمعات التي في ظلالها تُحاك جميع المؤامرات على الأزواج المساكين.

الحكمة التاسعة : كل زوجة تودّ ان تحافظ على شرفها، ان تمتنع عن لعب الميسر وتبتعد عنه كما يتجنب الصحيح المصاب بوباء الجرب. لأن هذا اللعب المدمر يدفع بالمرأة غالباً الى المقامرة بكل رصيدها من الاحترام والوقار.

الحكمة العاشرة : اما النزاهات والدعوات التي تتناول الطعام في الحقول، فعلى الزوجة أن لا تقبلها ولا تجربها. فحسب العقول الراجحة، هو الزوج الذي يدفع ثمن مثل هذه الدعوات، والتقديمات المغرضة.

أرنولف : الحكمة الحادية عشرة، ستكملين القراءة وحدك فيما بعد، ريثما أشرح لك هذه القضايا. لأنّ لديّ الآن مهمّة مستعجلة أودّ قضاءها بدون

إمهال، وقریباً أقول لك كلمة أخرى وجيزة في هذا الموضوع. فعودي الى المنزل واحفظي هذه الوصايا بحرص وإمعان. واذا أقبل الكاتب العدل اثناء غيابي، أطلبي منه أن ينتظرنني هنا بعض الوقت.

المشهد الثالث

ارنولف

أرنولف : لا يسعني أن أفعل أكثر من اعداد زوجتي المقبلة وتهيتها للتصرف حسب مشيئتي. فإنها كقطعة الشمع بين يدي أعطيها الشكل الذي يروق لي. اثناء غيابي كادت هذه الصبية، لشدة براءتها، أن تزلّ بها القدم بمخالفتها تعليماتي. في الحقيقة يصعب على الرجل أن تخطئ زوجته في هذا المضمار. وعلى هذا النحو يكون العلاج سهلاً، لأن كل إنسان بسيط يتقبل ما يُلقى عليه من الدروس راضياً. واذا حادت عن جادة الصواب، تكفيها كلمتان لتعود عن غيها. لكن المرأة الذكية لا تنقاد طوعاً، لأنها عادةً تتشبّث برأيها وتعاند متقدمها، وتأبى أن تعترف بأخطائها لتتبع ارشاداتنا، بل بالعكس تهزأ بحكمتنا وتزدري بتوصياتنا وتحذيراتنا وتتصوّر غالباً ان نقائصها بمثابة الفضائل، كي تصل الى مبتغاها من إشباع نزواتها المتهوِّرة. ومهما اجتهد رَجُلها في كبح جماحها، كثيراً ما يذهب سعيه أدراج الرياح. فالمرأة الفطنة هي سيدة الفتنة والمشاكل في محيطها، كما أن إبليس هو ربّ الشر والفساد، ينصب شباكه ليوقع البشر في حباله. ومتى صمّمت هذه المرأة على تلويث شرفها وشرف رَجُلها وإن سراً، يصعب عليه أن يسلم من حروق لهيب لئومها. على كل حال لا يسع الشاب الطائش ان يضحك ويسخر في هذا المجال، لأنه لقلّة تبصره واحتياطه للعواقب لا بد له من أن يقع في المصيدة. وهذه علّة العلل في سعيها وراء السراب والوهم، لأننا قلّمنا ندرك الى أين يقودنا حظنا العائر أحياناً، ما دامت الحماقة تودي بصاحبها غالباً، بما تزيّنه له من الحسنات، الى أسوأ مصير، لا سيما عندما ينحرف وراء أهواء امرأة يسيطر عليها شيطان الجسد

فتتعمى عن كل ترفع وتستسلم الى ميولها الشاذة وغرائزها البهيمية. أخيراً، لا بد لنا من الإلتعاض بما يترأى لنا من صلاحٍ عبّر تجاربنا الشخصية في وسطنا، وقد قيل: حيّ الله من تعلم على حساب أخطائه أو أخطاء سواه، ومن عرف حدّه ووقف عنده.

المشهد الرابع

هوراس وارنولف.

هوراس : انا عائد من منزلك توّأ، وقد شاءت الظروف ان لا ألقاك هناك. وهذا ما أحزنتني.

أرنولف : لا تهتمّ ابداً للأمر، ولا تلجأ الى الاعتذار، لأن هذه الاساليب لا تروق لي ولا تصلح الحال. وما عَجَبِي إلّا من مدركين يُضيعون الكثير من الوقت في مثل هذه الرسميات غير المجدية. فدعنا منها وبدون تكليف حدّثني عن غرامياتك بدون مقدمات. هل أستطيع، يا سيدي هوراس، أن أعرف الى اين وصلت بمشروع زواجك الميمون ؟ لقد فاتني أحياناً أن ألاحظ تحركاتك وأنا متشوّق الى الاطلاع على كل التفاصيل في هذا الميدان. غير أنني فكّرت ملياً بما يناسبك، وقارنته بما رويته لي من مبادرتك التي تهمني جداً، نظراً الى ما أكنّه لك في أعماق صدري من الصداقة والمودّة والوفاء.

هوراس : لا أكنتم عنك أنني منذ أن فتحت لك قلبي على مصراعيه قبل برهة، قد طرأ على حبي ما جعلني لا أتوقّع له حسن الختام.

أرنولف : برّبك، ماذا جدّ معك في هذا الموضوع ؟

هوراس : لقد شاء سوء طالعي أن يعود من السفر وليّ أمر الصبيّة الحسناء التي أهواها.

أرنولف : يا للمصيبة.

هوراس : ويؤسفني أن يكون قد علم بما بيننا نحن العاشقين من سرّ التفاهم والاتفاق.

أزْونُلف : وكيف تسنى له أن يدري بالأمر هكذا بسرعة ؟
هوراس : لا أعلم. لكن المسألة أكيدة. ففكرت وعزمت على الذهاب تَوّاً
لزيارة فتاتي والتحدّث اليها في هذا الشأن. غير أنني وجدت أن لهجتها
ونظراتها الّتي قد طرأ عليها بعض التغيير. وفهمت من خادمتها وخادمها حقيقة
موقفها. واذا بما بلغ أذني وأنا عند المدخل من عبارة : « إنسحب لأنك تعقد
القضية » ثم اغلاق الباب في وجهي بخشونة، قد أقلق بالي كثيراً.
أزْونُلف : هل أغلق الباب في وجهك ؟

هوراس : نعم أغلق في وجهي.

أزْونُلف : هذا ليس بالأمر الهين.

هوراس : حاولت أن أكلمها من خلال الباب. لكنني لم أحصل إلّا على هذا
الجواب الجاف : « لن تدخل الي هنا بعد الآن، لأن المنع مشدّد ».

أزْونُلف : اذاً، لم يُفتح لك الباب، كما تقول.

هوراس : كلاً. ومن النافذة أكّدت لي أغني نبأ رجوع وليّ أمرها. وطلبت
مني بجفاء أن أبتعد عنها. ولم تكتفِ بذلك، بل رافقت كلامها بالعبوس حين
ألقت في وجهي بهذا الحجر الثقيل.

أزْونُلف : كيف رمتك بهذا الحجر ؟

هوراس : أجل بهذا الحجر من الصّدّ المباغت. وهكذا سدّت أمامي جميع
الطرق كي لا أعود الى زيارتها ابداً.

أزْونُلف : فعلاً هذا الحجر ليس بطفيف. لأن وضعك بات الآن في غاية
الحرَج.

هوراس : نعم، ساءني جداً هذا الرجوع المشؤوم.

أزْونُلف : وانا تكذّرت كثيراً لأجلك، وآسف مثلك على هذا التبدّل الشنيع.

هوراس : هذا الرجل المنحوس حطّم كل آمالي.

أزْونُلف : لكن الحزن لا يفيدك، يا صاح. لا بدّ لك من إيجاد وسيلة تعيد
المياه الى مجاريها.

هوراس : نعم، نعم، لا بد من البحث عن طريقة بارعة تبدّد غيوم غيرته
وتخفّف من تمسّكه الشديد بهذه الصبية المظلومة وحَبَسها عني.

أزرنولف : الأمر سهل على كل حال، ما دامت الفتاة تحبّك.

هوراس : بالطبع، هي تهواني.

أزرنولف : إذا، ستتوصّل الى حلّ ملائم، متى ساعدتك الظروف.

هوراس : هذا جلّ املي ورجائي.

أزرنولف : صحيح أن الحجر الذي رمتك به قد اطاش صوابك. ولكن هذا لن يثبّط عزيمتك.

هوراس : طبعاً، طبعاً. لقد فهمت أولاً ان الرجل العجوز الذي حضر، هو الذي، بدون أن يدري أحد، قد دبر قصة هذا المنع. لكن ما أدهشني وسيدهشك انت ايضاً هو حادث آخر، أعلمك به الآن، هو عمل جريء مذهل قامت به فتاتي الحسنة، لا سبيل الى توقّع صدوره عن بساطة تصرّفها. وهنا لا بد من الاقرار بأن الحب استاذ ماهر يلقننا كل ما نجهله، وكثيراً ما يطوّر أخلاقنا كلياً، وذلك بأقلّ جهد وبأسرع من لمح البصر أحياناً. وفي أعماقنا يهدم العراقيل ويبتلع المعجزات، اذ يعجّل في حلّ العقد ويقلب العادات رأساً على عقب. فيجعل من البخيل كريماً سخياً، ومن الشجاع جباناً رعديداً، ومن الظريف الكيس ذرياً لثيماً خسيساً، ويضفي الرشاقة على أثقل الناس ظلاً ويخلع البراءة على أخطّ الدجالين المحتالين. أجل لقد تحققت هذه المعجزة الباهرة على يد أغني. اذ بعد ان قابلتني بالمنع الصريح قائلة : « إنسحب لأنني لا أودّ أن يزورني أي إنسان. إنني أعرف كل احاديثك. وهذا جوابي النهائي »، بعد هذا الردّ المفجّم الثقيل الوطأة والمربك حقاً، ها هي الآن ترتمي الى الأرض عند قدمي لتوصل إليّ رسالة، يدهلني منها أن تقوم هي نفسها بعمل كهذا غير منتظر منها، يوازي ثقل الحجر الذي رشقتني هي به. فعلاً ان دافع الحب ينشّط الأذهان ويحمل صاحبه على القيام بأعمال مدهشة كتسليمي هذه الرسالة المنقذة. فما قولك بهذا الانقلاب العجيب ؟ هل تجد من المعقول أن تصدر عنها بادرة جريئة كهذه، رغم كل ما يحيط بها من نوايا سيئة ومحاولات معرّقة ؟ قلّ لي، برّبك، قلّ لي.

أزرنولف : اجل، هذا حقاً غريب مدهش لا أجد له تفسيراً أو تأويلاً.

هوراس : هيا اضحك قليلاً، يا صاح. (يضحك ارنولف ضحكة مصطنعة). ان وليّ

امرها الذي تَجَنَّد لمحاربتني وإقصائي، قابع في منزله يكاد لا يبصره أحد. وكما لو كنت أبغي الدخول إليها عنوةً، ولكي يصدني بموقفه الصلب الشاذ، تراه قد حرّض كلاً خادمية على مشاكستي ومنعي من لقاء فتاتي التي تبجهل كل احابيله، اني اعترف من جهتي بأن عودته قد زرعت أشواك البلبلة والحيرة في درب حبي. لكن تصرّفه يحمّسني بدلاً من أن يشينني عن إصراري على الفوز بقلب عروس احلامي، وهذا لا يمنعني من الضحك، كما لا يمنعك أنت ايضاً، بسبب هذه الأساليب الصبيانية الهوجاء الفاشلة.

ارنولف (يضحك ضحكةً مصطنعة) : أعذرني، لأنني أضحك كما يتسنى لي. هوراس : عليّ كصديق أن أطلعك على هذه الرسالة التي عبرت فيها عن كل مشاعر فؤادها العاشق بما خطّته لي من أسطرها الرائعة وضمّنتها من عطف بريء ومهارة ونعومة واسلوب شيق وطبيعة صادقة. إذ صرّحت لي بما تشعر به نحوي من شغف وشوق ومن ألم، سبّته الممانعة الخائفة التي تحول دون مقابلتني كما ترغب.

ارنولف (بصوت خافت) : ما اروع فائدة الكتابة بهذه الطريقة. ها هو فنّها في الانشاء الرقيق يكشف لي عن حقيقة وجدها وتعلّقها بي. هوراس (يقرأ) : « عزمْتُ على الكتابة إليك، وأنا محتارة كيف ابدأ. أريد أن أطلعك على افكاري، ولكنني لست أدري كيف أعبر لك عنها، وأنا مصمّمة على أخذ الحيطة والحذر حتى من كلامي ذاته. علمت الآن ان محيطي يصرّ على ابقائي في جهلي بالنسبة الى ما يدور حولي في الخفاء. وأخشى أن أبوح لك بما يعود عليّ باللائمة والضرر، وأن اصّرّح بأكثر مما يجوز لي أن أعلن. في الحقيقة، لست أدري كيف يراد مني أن أتصرّف. لكنني أشعر بأنني أكاد أموت كمدأ بسبب ما اضطر الى مقابلتك به من جفاء وصدود. وأصرّ على أن تعلم اني أتوق الى تكريس حياتي لك وحدك. ربما هذا القول ليس من صالحني بكل معنى الكلمة. وأتمنى أن يتحقق حلمي هذا لأنني لا اطيق البعد عنك ولا العيش بدونك، ولا يسعني أن أكنتم عنك حقيقة شعوري نحوك. قيل لي أن معظم الشبان خدّاعون وأنت منهم، وعليّ أن لا أصغني الى كلامك المعسول، وأن كل ما تحدّثني أنت به ليس إلّا طُعماً لتنال مني ما تبتغي. لكن،

صدّقني إن قلت لك أنني لا أوّمن بحرف واحدٍ من كل ما يفترى به عليك. فأنا يلدّ لي أن أستمع الى اقوالك وأوّمن بكل كلمة تتلفظ بها شفتاك أمامي، لأنني لا أتصوّر مطلقاً أنها قد تكون كاذبة لا تعبّر عن حقيقة هيامك بي. أرجوك أن تؤكّد لي ما قد أفصحت عنه على مسمعي من عواطفك النبيلة التي تخصّني بها دون سائر الصبايا. إذ أنني بسبب بعدي عن كل خبث سأجد أقوالك لي من أفضع الأكاذيب اذا كنت حقاً تخدعني، وبالتالي تطعنني في صميم فؤادي وتتسبّب بموتي حزناً وقهراً.

أرنولف : تبتاً لها من محتالة لعينة.

هوراس : ما بك ؟

أرنولف : أنا ؟ لا شيء. لقد فاجأني السعال.

هوراس : هل استوعبت حلاوة تعابيرها ؟ انها رغم كل ما تلاقيه من تضيقات، لم تشأ إلا أن تبين لي حقيقة شعورها نحوي. أوليس ما تُعامل به من مزعجات جريمة نكراء تستحقّ أفسى العقاب ؟ في الواقع، هي فتاة مثالية أهل لكل إعجاب وتقدير، رغم ما تحاط به من جهل وحماسة لخنق روح الأمانة والمودة الصادقة في صدرها الرحب. لكن حبها المخلص قد مزّق الغشاء الذي اراد من حولها أن يضعوه نصب عينها لمنعها من رؤية الحقيقة الناصعة في أجلى مظاهرها. كم أود أن أقتصّر من هذا الحيوان، هذا الخائن، هذا الجلاد هذا اللئيم، هذا الوحش الضاري أن ...

أرنولف : الوداع.

هوراس : لماذا هذه العجلة ؟

أرنولف : لقد خطرت بياي مسألة، لا بد لي من الذهاب الآن لمعالجتها. هوراس : ولكن، هل تعلم من يمكنه أن يأتي في هذه الساعة الى هذا المنزل ؟ اني أتصرّف حيالك بدون كلفة نظراً الى ما يربط بيننا من صداقة متينة. هنا لا أجد إلا أشخاصاً دأبهم ان يراقبوني ويُحصوا عليّ حركاتي. ها هما الخادمة والخدام، وكلاهما لا أرتاح الى نظراتهما المريية الخبيثة التي تحاول أن تستر قساوتها بحلاوة المراوغة حين يسمعونني أتكلم، خشية أن أتوصّل الى توجيه بعض كلمات الى فتاة أحلامي. لقد قصدتُ عرّافة مستّة

تخاطب الجن والأرواح بقوة سحرها الذي يفوق طاقة البشر، كي أوسّطها في تغيير هذه الأوضاع التي تضايقني. غير أنني وجدتها قد ماتت منذ أربعة أيام. فهل لك أن ترشدني الى سواها لنيل مرادي.

أرنولف : كلا، لا أعرف احداً يفيدك في هذا المجال. وأنت لا بد لك من إيجاد حلّ آخر بدون مساعدتي.

هوراس : الوداع اذاً. ارجو أن تحفظ في سرّك ما دار الآن بيننا من حديث لا اريد أن يذيع.

المشهد الخامس

ارنولف

أرنولف : يشقّ علي أن أتجلّد أمامه وأخفي عنه ما يمزّق مهجتي من الأسى. لقد ضاق صدري بما تحمّلته من العذاب الأليم بسبب هذه الفتاة البريئة الذكية. وكدت أعتبرها، اذ تنكّرت لي، قد خانت عهدي. فأني عفريت زوّدها بهذه البراعة في التمويه والتصريح ؟ أخيراً حظيت بهذه الرسالة، ومنها علمت بأن هذا الخبيث المحتال قد حاول تأليبها عليّ واقتلاع مودّتي من قلبها، الأمر الذي سبّب لي القنوط وكاد يقتلني. لأنني تألمت من خنق حبي في صدرها عن طريق إيهامها بأني خدّاع منافق لست أهلاً للوثوق بي. ولم يحزّ في قلبي اكثر من أن أكون في نظرها ما حاول هذا الدجّال أن يدّعيه وينسبه اليّ من رذائل واخلاق منحطّة، وسوء مصيرها معي إن رضيت بي زوجاً لها. لكن حسن طالعي شاء أن تنتقم لي هي بذاتها. ويا ويح قلبي لو نجح في تحويلها عن حبي. فلقد عانيت الأمرين في سبيل الاقتناع باقتبالها وارتضائها كحبيبة وحليلة لي، وهي لا أهل لها ولا سند ولا مال. وكادت أن تنبذ لهفتي ومودّتي وحتوي. مع ذلك لبثتُ أنا أميناً على محبتها رغم ما أُجبرت هي على اظهاره لي من صدود وتنكّر. فقلت في سرّي : ألم يعد لديّ قليل من الكرامة والسماحة ؟ وكدت أنفجر غيظاً. وضربت الف مرة على رأسي وحرّضت

نفسى قائلاً : لا بد لي من دخول غرفتها لأرى ماذا جعلها تتخذُ موقفها
الجديد الشنيع. يا إلهي، لا تجعلني أستحقّ هذا الصّدّ والعذاب. وإن كُتِب لي
أن أمرّ بهذه التجربة العسيرة، لمنحني القوّة والصبر على تحمّل تقلّبات مثل
هذه الفتاة التي توشك أن تسبّب لي الكثير من المشاكل الى ان تعبر عني هذه
الشّدّة المقلقة.

الفصل الرابع

المشهد الأول

ارنولف

أرنولف : اني أسعى للبقاء في مكاني، وأفكاري مرتبكة ومضطربة، لأنني أريد أن أرتب الامور داخلياً وخارجياً كي أتوصل الى إحباط خطط هذا السفية. بينما هي تنتظر بفارغ الصبر أن يتغير وضعها، وتحافظ علي هدوئها لكلاً تثير الشبهات حول نواياها الحقيقية. بينما أنا في هذه الأثناء أتقلّى على الجمر من شدة غيظي وهمي، وأشعر بأن شغفي بها يزداد واشفاقي يتضاعف على ما تعانیه من أسر في هذا البيت يتعدى جميع حدود الاحتمال. وأعتقد ان كلانا مضطربان بسبب هذا التباعد القسري الذي يفرّق حالياً بيني وبينها. وأخشى أن لا نتوصل سريعاً الى حلّ هذه العقدة المستعصية. لأنني من جهتي بذلت جهداً جهيداً للتقرب اليها وكسب عطفها ومودتها، وإن كنت نظير وليّ امرها أضيق عليها مجال التصرف. ومن جهة أخرى أرى هذا الشاب المغرور ينافسني ويحاول الاستئثار بها بعد أن نجحت أنا في حملها على مصارحتي بحبها لي. هذا حقاً أمر لا يطاق بتاتاً، لا سيما وكلانا نعتبر نفسينا نصف متزوجين. وحقّ السماء، لن أتخلّى عنها ولن أدع هذا الجاهل الغبي يحظى بها ويهزأ بي ويفشّل مساعي الدؤوب لتحقيق هذا المشروع الأساسي في حياتي.

المشهد الثاني

الكاتب العدل ورنولف

الكاتب العدل : ها هوذا. وأنا على أتم الاستعداد لكي أكتب العقد الذي تود أن توقعه.

ارنولف (بدون ان يراه) : كيف العمل ؟

الكاتب العدل : سأعتمد الأصول المتبعة رسمياً.

ارنولف (بدون أن يراه) : وعلى سبيل الاحتياط، لا بد لي من التفكير ملياً.

الكاتب العدل : لن أدرج أي بند ليس من صالحك..

ارنولف (بدون أن يراه) : لا بد من أخذ الحيطة لكل الاحتمالات والمفاجآت.

الكاتب العدل : المهم أن تضع كامل ثقتك بي وتشكل عليّ تماماً في هذا

الأمر الدقيق. ثم عليك لتحاشي الخيبة، أن تدفع جميع تكاليف العقد.

ارنولف (بدون أن يراه) : أخاف أن تتضمن نصوص العقد أي خلل أو أن يذيع

أمره في كل مكان.

الكاتب العدل : من السهل تجنّب ذلك، اذا جعلنا العقد سرّياً.

ارنولف (بدون أن يراه) : وكيف يمكنني بعدئذ أن أعلنه.

الكاتب العدل : تدفع المهر عند استلام الرزق.

ارنولف (بدون أن يراه) لكنني عاشق وحببي هو المشكل الأكبر.

الكاتب العدل : يمكنك أن تمنح المرأة بعض الامتيازات.

ارنولف (بدون أن يراه) : وما العمل في مثل هذا الحال ؟

الكاتب العدل : المفروض أن تُضيف الي بائنة العروس مقدار ثلث المبلغ، مع

أن هذا التدبير لا يكفي. وكلما زدناه توثقت الروابط وبات العقد أمتن وأثبت.

ارنولف (بدون أن يراه) : وإذا ...

الكاتب العدل (يراه ارنولف) : لضمان الحقوق بصورة اكثر فعالية يستطيع

العريس، اذا شاء، ان يضاعف مهر العروس.

أرنولف : وهكذا ...

الكاتب العدل : يزداد تعلقها بالزوج، لأنه يبرهن عن حبه لها ورغبته في

توطيد ارتباطه بها. مع العلم أن المهر أو المقدم كما يُدعى أيضاً، يضيع هو والزيادة في حال وفاة أحد الفريقين أو يُحوّل الى ورثة المتوفى او المتوفاة، حسب الاتفاق على هذه النقطة. كذلك يمكن تقديم المبلغ كهدية قطعية. وهكذا تُطبّق جميع البنود بالرضى المتبادل. وفي هذا الحال لا يبقى أيّ مجال للاختلاف. لأن كل الأمور الخاصة تكون مسجلة في العقد حسب مشيئة الطرفين، فضلاً عن الشروط العامة التي يخضع لها الجميع في ما يتعلّق بالأملك المنقولة وغير المنقولة وسواها، إلا إذا أدرجت نصوص استثنائية تتعلق بها. هل تعلم أن ثلث مقتنيات العروس يكون مشتركاً ؟ ...

أزولف : هذا لا شك فيه ابداً. ولا أحد يسعه أن يدعي العكس.

الكاتب العدل : هل تظنني أحقق نظراً الى ما قمت به من حركات وهز الكتفين استخفاً ؟

أزولف : الوداع. هذه أنسب فرصة لاختتام المناقشة.

الكاتب العدل : أولم تستدعني لكي أنظّم لك عقداً ؟

أزولف : اجل استدعيتك لهذه الغاية. غير أنني أفضل تأجيلها الآن. وسأرسل في طلبك عندما يحين الأوان. فلا داعي للأخذ والردّ.

الكاتب العدل : أعتقد بأنك رجل متشبّث برأيك، وأنا على يقين بأن الحق الى جانبي.

المشهد الثالث

الكاتب العدل وآلان وجورجيت وارنولف.

الكاتب العدل : أولم تطلب أنت مني المجيء بناءً على رغبة معلّمك ؟

آلان : اجل، اجل.

الكاتب العدل : انا أجهل إن كنت تعرف ما سأقول. على كل حال، إذهب من قبلي وبلغ سيّدك انه رجل مهووس لا يدري ماذا يفعل.

جورجيت : لن نتأخر عن إعلامه بذلك.

المشهد الرابع

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : سيدي ...

أرنولف : اقتربا مني. فأنتما صاحباي المخلصان، انتما صديقاَي الحميمان، ولديّ ما ا قوله لكما.

آلان : الكاتب العدل ...

أرنولف : دعنا الآن من موضوعه. الأمر يتعلّق بشخص آخر. علمت بأن هناك مهزلة تُدبّر لمفاجأتي بها. يا للعار الذي سيلحق بكما اذا فقد معلّمكما شرفه واعتباره بين الناس. عندئذ لن تتمكنّا من الظهور في أي مكان عامّ. وعندما يشاهدكما أحد سيدلّ عليكم بأصبعه. وبما أن المسألة تخصّكما كما تخصني، طبعاً يتحتم عليكم أن تحتما من أذى هذا المحتال مهما كلّف الأمر.

جورجيت : نشكرك على إهتمامك بنا.

أرنولف : اني أحذركما من الإثكال على أيّ كان والوثوق به.

آلان : ولماذا ؟

جورجيت : نحن نعرف كيف ندافع عن أنفسنا عند الاقتضاء.

أرنولف (لآلان) : اذا قال لك أحد بلهجة لطيفة : « يا صديقي آلان، عليك أن تسعفني وتتدارك تباطؤي ... »

آلان : يا للحماقة.

ارنولف (لجورجيت) : واذا قال لك : « يا جورجيت اللطيفة، انت حلوة وطيبة القلب ».

جورجيت : أردّ عليه : « يا لك من غيبي ».

ارنولف (لآلان) : حقاً، كيف يمكنك أن ترى الشرّ في مصير رجل شريف تتجلّى في ملامحه الفضيلة بأروع معانيها ؟

آلان : « انت محتال لعين ».

ارنولف (لجورجيت) : حسناً. سأموت حتماً اذا لم أعالج ما سبب لي هذه الآلام المبرحة.

جورجيت : « انت رجل مستهتر لا تحتاط لأي امر ».
أرنولف : هذا لا يهم. أنا لا أطلب شيئاً بدون مقابل، وأعرف جيداً كيف أكافئ من يؤدي لي أية خدمة. مع ذلك، يا آلان، خذ هذا سلفاً لتشتري ما تشاء. وأنت ايضاً، يا جورجيت، خذي هذا المبلغ وتصرفي به على هوك.
(يتناول كل منهما مبلغاً من المال). هذا ليس إلا نموذج من عطاءاتي السخية. وما أطلبه منكما لا يتعدى السماح لي برؤية سيدتكما بعض الوقت.

جورجيت (وهي تدفعه) : نحن لسنا من هذه الفئة من الناس.

أرنولف : وما هو مانع تقديم هذه الخدمة البسيطة ؟

آلان (وهو يدفعه) : اخرج حالياً من هنا.

أرنولف : مهلاً، مهلاً.

جورجيت (وهي تدفعه) : هيا أخرج سريعاً.

أرنولف : حسناً. ما بالكما تقابلاني بهذه الخشونة ؟

جورجيت : ألا أتصرف كما ينبغي ؟

آلان : نظراً الى ما وجهته الينا ...

أرنولف : لا أحد يجبركما على قبول ما عرضته عليكم من المال.

جورجيت : لم يسبق لنا أن نرضى بالقيام بمثل هذا العمل الحقيق.

آلان : أتريد أن نعود الى موقفنا الراض ؟

أرنولف : ابدأ. هذا يكفي. إرجعا الى حيث كنتما.

آلان : لا سبيل الى تفوهك بأية كلمة اخرى.

أرنولف : لا، لا. عودا الى حيث كنتما، فأنا أترك لكما ما قد أعطيتكما من المال. إذهب، وأنا ألحق بكما. إفتحوا أعينكما جيداً، ولا تغفلا عما طلبته منكما.

المشهد الخامس

ارنولف

أرنولف : سأكفّ الإسكاف المقيم عند زاوية الشارع بالتجسس لحسابي. لأنني أريد أن أحصي عليها كل حركاتها وسكناتها سواءً عند خروجها أو عند تلقيها بعض الزيارات. وسأحاول ان أمنع استقبالها بائعات. الشرائط والشعر المستعار، والمزينة وصانعات المناديل والقفازات وبائعات سائر الأصناف. لأن هؤلاء اللواتي يستطعن الاتصال بها في كل يوم قد ينقلبن الى وسيطات غرام. فلقد خبرت أمور الدنيا وجربت شتى وسائل الاستمالة والإغراء، وعليّ أن أظل حذراً تجاه كل من يمكنه أن يؤثّر عليها ويأتي لمقابلتها.

المشهد السادس

هوراس وأرنولف

هوراس : يسعدني ان أصادفك في هذا المكان. فقد سررت لكوني خرجت برفقتك بدون أن أحسب حساباً للمغامرة التي أقوم بها. فقد كانت أغني وحدها في الشرفة تنتشق الهواء الطلق. وبعد أن أومأت اليّ وتظاهرت بأنها نازلة الى الحديقة، فتحت لي الباب. ولكن ما كدنا أنا وهي نصل الى غرفتها حتى سمعت صوت الشاب الذي يلاحقها آتياً من جهة الدرج. ولكي تنقذ موقفها المحرج حيالي، بادرت الى إخفائي في خزانة كبيرة. وحين دخل الشاب لم أشاهده في بادئ الأمر، لكنني سمعت وقع أقدامه المستعجلة بدون أن ينطق بكلمة. ومن حين الى آخر كان يتنهد شاهقاً ويطرق بشدة على الطاولة مضطرباً، كأنه يركل كلباً صغيراً يهاجمه. واذاً ألقى بغتة بيد مرتعشة برباط الكلب الذي لقيه على الأرض كسر بعض الأواني التي كانت تزين ظهر الموقدة. لا شك في أن هذا الفتى الأحمق قد أتى مليباً نداءها، فاستحقّ مني أن أصبّ عليه جام غضبي. بعد لحظة خرج الشاب من الغرفة بدون أن يفصح

عما يضايقه، وخرجت أنا من الخزانة. وكنت أخشى أن ألتقي به عرضاً فيفتضح أمر وجودي هناك. لأن المغامرة ستقضي حتماً الى معضلة كبيرة. لكنني كنت مضطراً تلك الليلة أن أتسلل بهدوء الى حجرتها ولو متأخراً. وقد اتفقنا، لكي تعرفني، أن أسعل ثلاث مرات. عندئذ تفتح هي النافذة، ثم بواسطة سلم وبمساعدها أحاول أن أصعد اليها. ها أنا ابوح لك بذلك نظراً الى ما يجمع بيننا من صداقة متينة. ويسرني كثيراً أن أطلعك على ذلك، لأن هذا الحديث يلذ لي ترديده مئة مرة، ما دام صدري يضيق به إن تركته مكتوماً. أعتقد أن ما سمعته مني بهمك ويفرحك. والآن، الوداع، اذ علي أن أنصرف الى أمور ضرورية.

المشهد السابع

ارنولف

أرنولف : ماذا جرى ؟ إن هذا الشاب المغرور يصرّ على إزعاجي، ولا يدع لي وقتاً لأنتنفس. فكل الاحتياطات التي اتخذتها لم تنفع لمنع دهائه هو العاشق المتيم من إحباط خططي واحتياطاتي. فظهرت رغم نضوجي وخبرتي كالأبله المخدوع أمام ذكاء هذه الصبية البريئة وعاشقها الشاب المحتال. فقد مرت عليّ عشرون سنة، وأنا أتأمل كالفيلسوف في ما يلاقيه الأزواج المساكين من مصير كئيب، واستخلص العبر من قصصهم المشؤومة التي تتجدد في حياة أكثر الأزواج حرصاً وحيطة. وعندما شئت ان أتزوج بحثت عن الوسائل التي تقيني التعرض الى الفضائح وتضمن لي الإبتعاد عن كل المعايب والمصائب. وخلتُ أنني بما اكتسبته من خبرة سأصل الى شاطئ الأمان بلجوائي الى السياسة والحكمة فتحيد بي ظروف ووعي عن مصير العديد من الرجال الذين لا يلبثون رغم كل حذرهم أن ينضموا الى قافلة الأزواج المخدوعين، وأنا لا اريد أن أكون في عدادهم رغم ما أصبح لي من الخبرة خلال عشرين عاماً كما ذكرت، ورغم كل احتياطي وتبصري. أكرّر أنني أخشى أن أنضم الى

زمره الأزواج التعماء المخدوعين. تبا لك ايها المصير الغاشم ان شئت ان تجعلني ممن يظنون انهم ينعمون في جحيم الحب، اللهم اذا استطاع هذا الشاب المغرور أن يسرق مني قلب حبيتي. سأفعل المستحيل لأتجنب هذه الكارثة الفظيعة التي قد تنزل بي إن تقاعست عن ردة فعل ضرورية تحتّم عليّ أن لا أتهاون في تفجيرها كالقنبلة بوجه هذا الغدار المحتال لأمنعه من تنفيذ مؤامرتة الدنيئة الهادفة الى انتزاع مالكة فؤادي من أعماق صدري.

المشهد الثامن

كريزالد وارانولف

كريزالد : هل تريد ان نتعشى قبل قيامنا بالنزهة المرغوبة ؟
أرنولف : لا، انا صائم هذا المساء.
كريزالد : وماذا دعاك الى هذه التقوى ؟
أرنولف : أرجوك أن تعذرني لأنني مشغول بأمر محرّجة.
كريزالد : أولاً يتيسر لك أن تحقق الزواج الذي تتوق اليه ؟
أرنولف : اراك قلقاً بسبب مشاكلي، وهذا ما لا أريد أن يشغل بالك.
كريزالد : يا الهي، ما أكثر أحزانك. ليتني أستطيع أن أخففها عنك. حقاً، ان صدري يضيق بما تلاقيه من مصاعب.
أرنولف : مهما حدث لي أظل أقلّ غمّاً من سواي من الرجال الذين يتدمرون من مزاحمهم على حب نسائهم.
كريزالد : من الغريب أنك رغم وضوح الأمور تضطرب من سير هذه القضية، فتتوحي السعادة والارتياح من خلال مشاكلك المعقدة، فتتساهل مثلاً حيال الرجل البخيل والخشن والخبث والمرائي والجبان، وتقف واجماً أمام المشقّات التي تعترض سبيل مشروع زواجك معتبراً أن مواقف الحياة كلها شريفة ما عدا حالة واحدة هي خيانة المرأة بإهمال زوجها وإنصرافها الى عشيقها. فلماذا تنظر هكذا بتشاورم الى واقع الحال الذي لا ترى فيه أي ارتياح

أو إبتهاج. ولماذا تسودّ الدنيا في عينيك عندما تواجه شراً لا تستطيع تحاشيه. ولماذا تريد، عند الاقتران بامرأة تعجبك، أن تستحقّ الشكر والمديح على اختيارك شريكة حياتك اذا تبين لك عند الامتحان انها بسلوكلها المنحرف ليست أهلاً لثقتك وتقديرك، وتلوم نفسك وانت غير مضطر الى تحمّل عار تهتكها. هيّا واجه الواقع برحابة صدر، وإن كان مرّاً، إذ لا شيء في الدنيا مضمون العواقب. فالناس ينددون بالشرّ والفساد ويشفقون على من يتحمّل النتائج الوخيمة. ولكي يسلم الإنسان من شرك الأهواء واستهتار النزوات لا بد له من تجنّب الوقوع في مزالقها. فلا تُخذُ حذوً من لا يهمله في الحياة، إلا أباطيل الدنيا وتوافه الأهواء، بل عليك أن تقدّر المودّة الصادقة المعتبرة من أئمن ما في الوجود، ولا تنجرف أمام العواطف المتقلّبة التي لا تفضي إلا الى الحسرة والندم. أنا، يا صديقي، لا أحبّد نزوات العشاق ولا أشجّع الشباب المتهور المنذفع وراء أحلامه الرخيصة وغرائزه البهيمية التي تجرّ عليه عواصف الحزن والشقاء. لأنه قصير النظر قليل الحرص سريع الانفعال. فالإنسان العاقل هو من يتبسّر بعواقب الأمور ويتوخّى سلامة النتائج. وفي هذه الحالة ألوم تساهل الرجل الذي يحمّر خجلاً من تصرفات زوجته البذيئة. لذا أنصحك بأن تختار دائماً أهون الشرّين وتلتزم جانب الاعتدال والحكمة.

أزولّف : بعد هذا الخطاب الرثان، لا بد لي من أن أشكرك على صراحتك وصواب تفكيرك. لذلك أقول لك أنني مسرور بما بيّنته لي من مكنونات صدرك وشرحته من همك بسبب المعاكسات التي تواجهها في قضية زواجك. كريزالد : انا لا أشكي همي جزافاً، بل أعرض لك ما يراود خاطري من هواجس في موضوع المرأة التي اريدها شريكة أمينة لحياتي، وأقارن اختيارها بحظ من يهّم بالقاء زهر طاولة اللعب ولا يعرف ما تخبئه له الايام من نصيب. وهنا أتمنى أن أكون موفقاً في اتّخاذ قراري النهائي الذي أخشى أن يتحكّم فيه القدر العاشم فلا أظفر بما اشتهي وأتوق الى الحصول عليه.

أزولّف : ما دمت تأكل وتشرب كما تشاء، عليك أن تُقع نفسك بأن سائر الأمور ستسير ايضاً على ما يُرام.

كريزالد : يمكنك أن تستخفّ بما يشغل بالي في هذا العالم المليء

بالمشاكل. فهذا لا يمنعني من التحسّب لإتقاء ما لا تُحمّد عقباه. عليّ إذاً ان افكّر جدّياً في قضية زواجي، لا سيما بعدما لمستّه من الخلافات المذهلة المتكرّرة يوماً بين المتزوّجين المحسودين عليّ ما يظنه قصار النظر سائداً في الظاهر بينهم من تفاهم ومودة وأمانة. أنا لا أريد أن أتورّط في ما قد يكون مدعاة تعاستي، وأفضّل أن أتروى لأحظي بامرأة عاقلة فاضلة كالملاك، لا أن تكون سفيهة خبيثة كالشيطان اللعين. أريد أن أقترن بفتاة رصينة وفيّة عفيفة نقيّة القلب، لا بدمية طائشة تنقاد الي إغراءات الشباب الأرعن فتجعل الحياة الزوجية جحيماً لا يُطاق. وهكذا، لأنني لا أحبّ المغامرة، تجدني أبحث عن رفيقة تريح قلبي ولا تعدّبه بانحرافاتنا الدنيئة وعنادها البغيض.

كريزالد : لا تكفّر، يا صاح، بالقيّم التي تلقّاها حتماً عندما تبحث عنها بنور الوعي والتبصّر. فلم يخب ابداً أمل من اعتمد الاعتدال والسماحة في تصرفاته وقراراته.

أرنولف : ولكنّ ما اخشاه في هذا الحال هو خداع المرأة المناققة المرائية. كريزالد : ظنونك قتالة كالمرض العضال. لا تنسَ ان في الدنيا نساءً صالحات. أراك تتغافل عنهن ولا ترى منهن سوى الحثالة. عليك أن تغيّر نظرتك المتحيّزة الي واقع الأمور.

أرنولف : انا لا أحبّ التنكيت، ولا أودّ سماعه. فأرجوك ان تكفّ عن ترديده عليّ.

كريزالد : لماذا غضبت ؟ هل لي أن أعرف ما السبب ؟ الوداع. عليّ أن أذهب. دع الوقت يساعدك على جلاء هذه المسألة التي لا تجد لها حلاً مناسباً في ظروفك الحاضرة إلّا اذا انتزعت المنظار الأسود الذي يحجب عن عينيك رؤية الحقيقة المجرّدة.

أرنولف : سأجتهد لألاقي علاجاً شافياً لهواجسي وحلاً ملائماً لمعضلتي.

المشهد التاسع

آلان وجورجيت وارنولف

يا صاحباي، أنا أطلب مساعدتكما لأنني أثق بمهارتكما ومودتكما. غير أنني في هذه المناسبة بحاجة الى التثبيت من إخلاصكما. كونا على يقين بأنني لن أضيع أجركما. أسألكما أن لا تثيرا ضجة حول الشاب الذي أريد هذه الليلة أن أمسك به في حجرة أغني وهو مصمم على دخولها خلسة. نحن الثلاثة سننصب له كميناً، وعلى كل منكما أن يتسلح بعضاً، وعندما يصل الشاب الى آخر الدرج، — وقبلاً علينا أن نفتح له النافذة — أن تنهالا عليه ضرباً بشكل يجعل آثار العصي تظل بارزة على ظهره. فيكون له هذا التأديب خير عبرة كي لا يعود الى هنا. ولكن إياكما أن تأتيا على ذكرني إن سؤلتما في هذا الموضوع عن الدافع. وأنا من جهتي سأجاهل الأمر تماماً. فهل أنتما على استعداد لتلبية طلبي؟

آلان : اذا كانت الحاجة تقضي بضربه فقط، ثق يا سيدي، بأننا كلانا لها. وسترى عندما أضربه أنا، مدى قوّة زندي.

جورجيت : وزندي انا ايضاً، يا سيدي، وإن كان لا يدلّ على ما يتمتع به من القوة. فعند اللزوم ينقضّ كالمطرقة الثقيلة.

أرنولف : أدخلنا الآن اذاً، ولا تفوها بكلمة. أرجو أن يلقنه تدخّلنا درساً مفيداً. أنا على يقين، اذا استقبل جميع الأزواج في هذه المدينة عشاق نساءهم بمثل هذه الحفاوة والترحاب، سيتوب معظم المتهتكين الماجنين.

الفصل الخامس

المشهد الأول

آلان وجورجيت وارنولف

أرنولف : ماذا حملكما على اللجوء الى هذا العنف ؟

آلان : لقد أطعنا أوامرك المشددة، يا سيدي.

أرنولف : كيف تنذرعان بهذه الحجة الباطلة ؟ انا طلبتُ منكما أن تضرباه لا أن تقتلاه، وأن تنهال الضربات على ظهره لا على رأسه، وهدفي هو أن أضع حداً لعرقلته شؤون حياتي الخاصة. فبأية ورطة رمانى الآن حظي العاثر اذ بلاني بكما ؟ وكيف يتسنّى لي أن ابرئ نفسي من دم هذا القتل الشاب ؟ هيا أدخلنا الى المنزل وإياكما أن تتلفظا بكلمة واحدة. لقد سألتكما ببراءة أن تؤدّياه فقط، وحين يأتي الصباح سأرى كيف أتدبّر الأمر واتلافى عاقبة هذه الكارثة. واسفاه، ماذا سيحلّ بي، وماذا سيقول والده عندما يبلغه نبأ نكبته بابنه ؟

المشهد الثاني

هوراس وارنولف

هوراس : يجب عليّ أن أذهب لأستطلع صدى الحادث.
أرنولف : لا أحد يعلم بما يخبئه لنا الغد ... من القادم الي هنا ؟
هوراس : أهذا أنت، يا سيد أرنولف ؟
أرنولف : نعم، أنا. ولكن من أنت ؟
هوراس : أنا هوراس وقد جئت اليك لأرجو أن تُسدي اليّ معروفاً. فوجدتك
تخرج باكراً.
ارنولف (بصوت خافت) : ما هذا الاختلاط في الأمر ؟ هل في الأمر سحر أم
سراب ووهم ؟
هوراس : كنت متضايقاً جداً، وأنا أشكر السماء على مصادفتك هكذا. أتيت
لأخبرك بأن المسألة سارت على ما يرام اكثر ممّا كنت انتظر. لكن المفاجأة
كادت تهدم كل ما بيننا. لست أدري كيف أبدأ لأطلعك على المهمة التي
كنت أقوم بها. فحين أوشكت أن أدخل من النافذة بوغتُ بظهور أشخاص لم
أكن أتوقع حضورهم في تلك اللحظة، رفعوا ايديهم وانهالوا عليّ ضرباً.
فتعثرتُ قدمي وسقطتُ على الأرض وأصبتُ برضوض. وبعد تلقيّ حوالي
عشرين ضربة عصي نجوت بأعجوبة. وكان هؤلاء الأشخاص من جماعة
مزاحمي على قلب الفتاة. وعندما ارتميت على الأرض تحت وطأة ضرباتهم
المبرّحة، ظنوني قد فارقت الحياة. فما كان منهم إلا أن انسحبوا وتفرّقوا،
وساد الصمت بعد تواريتهم عن الأنظار. وأخذ كل منهم يتهم رفيقه بالإمعان
في استخدام العنف لتأديبي. ولما كان ظلام الليل لا يزال مخيماً تلمّسوا
جسمي ليتثبتوا من موتي، والقلق يسيطر على تحركاتهم. فتظاهرت انا بالموت
ولزمت الجمود. وبعد غيابهم حاولت أنا أيضاً أن انسحب من المكان. لكن
أغني التي كادت تفقد رشدها دنت منّي لترى ما حلّ بي، ونظراً الى خلوّ
الجوّ في تلك البرهة، هربت معي من المنزل، ولا أدري ماذا حطمت أثناء
استعجالها. ماذا أقول لك ؟ أخيراً أصغتُ الي النصائح التي أسديتها ليها أنا

حبيبها، فعدلت عن العودة الى مقرها. وهكذا تلاحظ أنها أقدمت على مغامرة كانت جرّت عليها متاعب هي في غنى عنها، وأنا افضل أن أموت، على أن أسبب لها أقلّ ازعاج. لأنني احبها بصدق من أعماق قلبي، وأودّ أن أقترن بها، واكرّس لها ايام عمري كلّها حتى الممات. مع أنني اواجه معارضة وليّ أمرها الذي يقوم مقام والدها. وعليّ ان أصبر حتى أنال رضاه. فليس أمامي سوى القناعة. بما أنا حاصل عليه في الوقت الحاضر، وأن أظلّ اميناً على مودّتها حتى يتيسّر لي ان أحظى بها كزوجة حبيبة. قلّ لي، هل أستطيع ان أتكل عليك لكي تأويها في منزلك يوماً أو يومين ريثما أتمكّن من تنظيم أوضاعي وأجعل إحتفاظي بها في بيتي شرعياً في نظر القانون، واتجنّب الملاحقة. لأنني مصمّم على اخفاء أمر هربها. وهكذا ستكون لك ابنة موقّتا لأبعد عني جميع الشبهات. وبما أنني إئتمنتك على سرّي هذا وقد عرفتك دائماً رجلاً مخلصاً ودوداً، ألجأ اليك واطلب مساعدتك في هذا المجال، واودع في بيتك حبيبة قلبي التي ستصبح قريباً جداً شريكة حياتي العزيزة.

أزّونوف : انا مستعد لتأدية كل خدمة تلزمك لتأمين سعادتك.

هوراس : أحقّاً توافق على تلبية رغبتني ؟

أزّونوف : بكل طيبة خاطر، وأنا مسرور جداً باغتنام هذه الفرصة السانحة لأبرهن لك عن صداقتي واخلاصي. فنق بأن ما تطلبه مني يسعدني أن أؤدّيّه لك راضياً.

هوراس : سأكون أسير فضلك ما حييت. ها قد بدّدت قلقي بحكمتك وطمأنت فكري بتفهّمك وضعي وحاجتي. ولا أخفي عنك أن أحد انسبائي قد رافقها في قدومها الى أقرب زاوية من هذا الشارع.

أزّونوف : لكن كيف العمل وقد سطع الآن نور الصباح ؟ فاذا جئتُ بها أنا الى هنا، ربما أبصرني بعض الناس. واذا ذهبت انت لتأتي بها سيتكلم من يشاهدك من الخدم. ولكي نكون في مأمن من كافة المخاطر، لا بدّ لنا من نقلها تحت جناح العتمة لنحجبها عن جميع الانظار. فما قولك ؟ أنا ماضٍ. وسأنتظر أول مناسبة لنقلها الى المكان المتفق عليه.

هوراس : في الواقع، هذه احتياطات ضرورية يتحتّم علينا أن لا نُغفلها. لأنني

أفضل ان اسلمك إياها تسليم اليد، وأعود بكل هدوء وأمان الى منزلي، بدون أن يدري أحد بما جرى.
ارنولف (وحده) : ارجو أن تتمّ الأمور بشكل يرضي الجميع. (يخبي أنفه بعطفه).

المشهد الثالث

اغني، وهوراس ورنولف.

هوراس : لا تقلقي سأصطحبك الى منزل آمن بعد أن تمكثي عندي بعض الوقت. وإلا هدمنا كل ما توقعنا الى تحقيقه حتى الآن. أدخلني من هذا الباب ودعيني أدلك على غرفتك. (ويتناول ارنولف يدهما بدون أن تعرف من هو).
أغني : لماذا تتركني وحدي ؟

هوراس : يجب عليّ أن أذهب، يا عزيزتي أغني.

أغني : لا تتأخر إذا في الرجوع إليّ.

هوراس : أنا مستعجل أكثر منك، يشدني اليك ما يختلج بين ضلوعي من شوق وحنين.

أغني : ثق بأنني عندما لا أراك تجتاحني موجة من الحزن والقلق.

هوراس : هذا هو لسان حالي أنا أيضاً، لأنني، بعيداً عنك، لا أشعر إلا بالاضطراب والخوف من فقدانك.

أغني : لو كان صحيحاً ما تقول لتوجّب عليك أن تظّل بمعيتي.

هوراس : ماذا تقولين ؟ هل تشكّين بصدق شغفي بك ؟

أغني : لا أشك بهيامك بي مطلقاً، لكنك لا تستطيع أن تحبني بمقدار ما أنا أهواك. (يشدها ارنولف اليه) من يشدني بهذه القوّة ؟

هوراس : لا تنسّي أننا نتعرض كلانا للخطر إن أبصرنا أحداً معاً. فأنا أشدك اليّ لكي أحملك من كل مكروه بقدر ما يمكنني أن أكون حريصاً على راحتك وسلامتك.

أغني : لكن كيف تريدني أن أتبع شخصاً مجهولاً ؟
هوراس : لا تخافي، يا عزيزتي، فأنت بين يدي من يفتديك بروحه.
أغني : أكون في حمى آمن عندما أكون بين ذراعَي حبيبي هوراس فيطمئن قلبي ... (ويشدها ارنولف اليه مرة ثانية) إنتظري ...
هوراس : الوداع، فالنهار الطالع يضطرني الى مغادرتك.
أغني : متى يتسنى لي أن أشاهدك ثانية ؟
هوراس : قريباً جداً، إن شاء الله.
أغني : كم سينتابني من الضجر الى حين لقائك المرتقب.
هوراس : أشكر الله، لم تعد سعادتي تحت رحمة أي مزاحم لي على حبك، ويسعني الآن أن أرقد ملء جفني بكل أمان واطمئنان.

المشهد الرابع

ارنولف، وأغني

ارنولف (يخفي انفه بمعطفه) : تعالي، فليس هنا أريد منك أن تمكثي. لأنني أعددت لك مقراً انسب، أنا الآن ذاهب بك إليه. هل عرفتي ؟
أغني (وقد عرفته) : أهذا أنت ؟
أرنولف : هل أخافك وجهي، يا محتالة ؟ يحق لك ان تفرعي. فأنا جئت الى هنا مرغماً لأنني عالم بأن تصرفي يضايق حبك. (تنظر أغني حولها لعلها تبصر هوراس). لا تستدعي غريمي الشاب ليأتي الى نجدتك. فهو بعيد لا يستطيع الوصول اليك. اراك رغم حداثة سنك قد احتلت عليّ، وبسذاجتك التي ليس لها مثيل، إذ سألتني إن كان الأطفال يأتون الى هذا العالم عن طريق الأذن التي نسمع بواسطتها، قد ضربت المواعيد اثناء الليل ولحقت بحبيبك بدون إحداث أية ضجة. كم آلمي ان أسمع ما وجهته اليه من كلام حلو رقيق وكم جاملته ولاطفته. لا بد من أن تكوني قد تعلمت كل هذه اللياقات واتقنتها في المدرسة التي تخرجت منها بدراية واسعة ومهارة نادرة، قل أن تصدر عن

هي في مثل سنك المبكرة، رغم قلة خبرتك في الحياة. ولقد برهنت على أنك لا تهابين المخاطر ولا تترددين في الإقدام على أجراء التصرفات في سبيل صيانة حبك له. وهذا اللعين المحتال لم يكف عن تشجيعك على التحرك اثناء الليل لينتزعك من كنفني ويحظى بغنجك ودلالك ويحتفظ لنفسه بلذة التمتع برضائك وحبك الغاليين.

أغني : لماذا تكلمني بهذه اللهجة ؟

أرنولف : فعلاً أنا مخطئ بحقك اذ خصصتك بهذه المعاملة الرقيقة.

أغني : انا لا ارى ماذا فعلت من قبيح أو شاذ في سلوكي معك.

أرنولف : ألا تعتبرين اللحاق بعشيقك جريمة نكراء ؟

أغني : في الحقيقة، هذا الشاب الذي تصب عليه جام غضبك، لا يكلم عن التصريح لي بأنه مصر على الإقتران بي. وأنا قد حفظت دروسك القيمة حين أرشدتني الى وجوب الارتباط بوثاق الزواج لمحو كل خطيئة ناجمة عن أية مداعبة خارج نطاقه.

أرنولف : لكني أنا الذي كنت أنوي الاقتران بك، ولقد أعلنت لك حبي مراراً وتكراراً.

أغني : دعنا نتكلم بصراحة. هذا الشاب تنطبق أوصافه على ما اطلبه في شخص فتى أحلامي وشريك حياتي اكثر ممّا أجده فيك. أنت تنظر الى الزواج كورطة مزعجة عسيرة مقلقة. وكل ما حدثتني به طبع في ذهني صورة قاتمة رهيبة عن الزواج كما تتصوره انت. بينما هو، كل ما حدثتني به يفوح منه شذى العطر المنبعث من مباحج الحياة الزوجية، يرغب فيها المحبين ولا ينفر منها احداً.

أرنولف : هذا اكبر دليل على أنك تهوينه كالعماء، يا جاحدة، يا ناكرة الجميل.

أغني : أجل أنا أحبه وأهواه بكل جوارح مهجتي.

أرنولف : وتجسرين ايضاً على إعلان غرامك أمامي.

أغني : ولماذا أخفيه عنك وأكتمه بين ضلوعي ما دمت أنا صادقة بشعوري نحوه.

أرنولف : وهل أصبح حبه واجباً مفروضاً عليك، أيتها الوقحة ؟
أغني : أجل، لأنه ملاً شغاف قلبي وغمرني بسعادة لم أعرفها قبل أن أراه وأقع
في هواه.

أرنولف : كان عليك أن تطرديه من فؤادك.
أغني : وهل تريد أن أغلق قلبي دون عطفه عليّ، وأتعامى عمّا يملأ به صدري
بهجة وسروراً ؟

أرنولف : أولاً تعلمين أن هذا الميل اليه يغيظني لأنه أبغض ما في الدنيا لديّ ؟
أغني : وما دخلي أنا، كلاً ثم كلاً. لماذا يغضبك تصرفي على هذا النحو ؟
وماذا ترى فيه من شرّ يضيرني أو يلحق بسواي.

أرنولف : هذا صحيح. اذا كان الأمر يفرحك، فهل عليّ أنا أن أكبت عواطفني
نحوك ؟

أغني : عواطفك، وما هي علاقتي بمشاعرك ؟

أرنولف : لماذا أشقى انا بصدك ؟

أغني : يؤسفني ما تقول. ولكن، ما حيلتي وقلبي يهوى سواك ؟

أرنولف : هل يحقّ لك ان تجرحي إحساسي وتدوسي شعوري نحوك ؟

أغني : أتريد مني أن أُلجأ الى النفاق والخداع اذا رضيت بك ؟

أرنولف : ولماذا لا تحبينني، يا آنستي الغبية ؟

أغني : يا إلهي. أنا لست مسؤولة ولا يقع عليّ أي لوم، اذا لم تعرف كيف
تستهويني. فأنا لم أمنعك عن استمالي اليك، على ما أظنّ.

أرنولف : لقد إجتهدتُ بكل ما لديّ من قدرة وخبرة. غير أن مساعيّ برمتها
ذهبت أدراج الرياح وباءت بالفشل الذريع.

أغني : في الحقيقة، هو إذاً أدرى منك في الاستئثار بقلب المرأة، لأنه لم
يتعب ابداً في استمالي اليه.

أرنولف : ما هذا الكلام الجسور القبيح الذي توجهينه اليّ ؟ أجدك تتحدّثين
عن الهوى والغرام بطريقة سبقت فيها المتفلسفات من بنات جنسك، أيتها
السفيهة الحمقاء. وأنت تظنين نفسك أنك أدرى من الرجال بقضايا العشق

والهيام. وقد نسيت كل ما بذلته أنا في سبيل تربيتك وإيوائك في داري طوال هذه السنين العديدة حتى بلغت ربيع صباك.
أغني : كلا، لم أنس ما قدمته لي من عناية ورعاية. فعريس أحلامي سيسدّد لك كل ما انفقته عليّ الى الآن.

أزْنوْلْف : وهل باستطاعته ان يلغي ما يتوجّب عليك نحوي من الشكر وعرفان الجميل ؟

أغني : لكل أمر حدود، أرجوك أن لا تتجاوزها.
أزْنوْلْف : حتى ما تحمّلتُه من مشقّات في تربيتك والقيام بأودك منذ نعومة أظفارك ؟

أغني : لقد قمت بواجب إنساني إرتضيته لنفسك، وأنا لا أنكر أنك سهرت على تربيتي وتعليمي بأفضل الأساليب. لكن، هل هذا يجبرني على التغافل عن شباب حبيبي وحميد خصاله ولهفته عليّ، وعلى الالتزام بالتضحية بصباي وبميل قلبي، للقبول بشيبتك وضيق حُلُقك وأنت في هذا العمر المتقدّم، كزوج بديل عنه ؟

أزْنوْلْف : لا تتجاهلي عواظي نحوك. هل هذا ما اقنعتك به فتاك المغرور ؟
أغني : لا يسعني أن أتعامى عن الواقع الساطع كنور الشمس، لأفضّلك عليه، وأدفن ريعان صباي في أحضان كهولتك ؟
أزْنوْلْف : أكاد أفقد صوابي عندما ألمس وقاحته تتحدّى وضعي حيالك، وكم أودّ أن أصفعه لأرده الى صوابه.

أغني : يؤسفني أن تحقد عليه هكذا، وأنت أقدر منه في بعض الأحوال.
أزْنوْلْف : كلمتك هذه الأخيرة تنتزع السلاح من يدي وتعيد الحنوّ والعطف الى فؤادي المشغوف بأنوثتك. وما عجبي إلا من الرجال الذين يقعون مثلي في هوى صبية نظيرك. ويتقلّون على جمر صدها. لأن هذا ضعف تفكير منهم لا يوصلهم الى مرامهم. ويؤسفني ان لا أتعظ بما ينتهي اليه العديد من الأزواج حيال نساء لا يَنسَجِمْنَ معهم على صعيد المشاعر غير المتبادلة والميول غير المتجاوبة بينهم. فيمسون كأنهم حيوانات ضارية تتهازش في اقفاص ضيقة، بدون أن تُراعى حرمة إحساس أو رغبة. على كل حال، بما أنني ادرك حرج وَضَعَيْنَا نحن الاثنين لا يسع قلبي إلا أن يلتمس منك أن تقدّري عواظي

نحوك، وأن تراجع حساباتك في الريح والخسارة، لعلك تجددين في نفسك بعض الميل الي لقاء الحب الأعمى الذي أكنّه لك بدون أيّ تحفظ.
أغني : أنا لا أجد أحلى على قلبي من أن أراعي شعورك. لكنني أتساءل كم من القهر والأسى سيكلفني تفضيلي الإقتران بك والتعامي عن الشاب الذي استولى حبه على فؤادي.

أرنولف : يا عزيزتي، أنت قادرة على هذا الإختيار اذا شئت ان لا تدوسي قلبي. (يتنهد) أصغي فقط الى تنهداتي كعاشق متيم بهواك، وانظري الى عيوني التي لا ترى النور إلا من خلال بسمتك، واتركي هذا الشاب الوقح وتخلي عما يقدمه لك من حب طائش واقبلي بنضوجي وما يمكنني أن أغدقه عليك من مباحج الدنيا. أنت الآن في فورة الصبا تميلين الى ذاك الشاب الذي لا أرى فيه الكفاءة ليمتلك بأطاييب العيش وهناء البجوحة. بينما أنا مستعد لأن أبذل الغالي والنفيس في سبيل رضاك وسعادتك سأدلك وأعتجك وأقبلك وأحتضنك وأنزهك ولا افارقك ابداً. (على حدة) الى أين سيوصلني هيامي بها يا ترى ؟ (بصوت مرتفع) لا شيء يوازي ما أحفظه لك من الحب. أي برهان تريدن أن أقدم لك على تعلقي بشخصك الحبيب وتفانني في سبيل إعجابك، يا من جحدت فضلي ؟ هل تريدن مني أن أبكي متلهفاً وأتوسل اليك متضرعاً ؟ هل يسرك ويرضيك أن أتدلل عند قدميك ؟ هل يروق لك أن انتف شعري وأن أقتل نفسي فداك. قولي لي : « نعم، أقبل بك زوجاً »، وأنا على أتم الاستعداد لأن أثبت لك ما يستعر في مهجتي من لهيب هواك.

أغني : كفى، كفى. أعلم جيداً ان كل أحاديثك لا تهز قلبي، لأن هوراس بكلمتين فقط يؤثر على عواطفي اكثر من كل عبارات خطاباتك الطويلة المملة هذه.

أرنولف : لا طاقة لي على احتمال هذا التحدي منك، لأنه يضرم نار غيرتي وغضبي عليه. فيحملني على متابعة جهودي للحصول على مبتغاي ولا تنسي أنني صعب المراس كالوحش المتمرد. وسأسعى بكل ما أوتيت من قوة لمطاردتك اينما كنت وحيثما ذهبت. لأنك برفضك توسلاتي تخرجيني عن صبري وتعلقي. وإلا، لن يهدأ لي بال حتى أشاهدك تدخلين الدير لتترهبني.

المشهد الخامس

آلان وارنولف

آلان : لا أفهم ما جرى، يا سيدي، وأتحيّر جداً كيف أن أغني وجثة الشاب الهامدة التي تركناها منطرحة على الأرض قد اختفتا معاً.
أرنولف : ها هي الفتاة في غرفتي، إذهب واحتجزها. وهكذا لن يستطيع المحتال أن يوافقها. لندعّه يبحث عنها. ولن تمضي مدة نصف ساعة فقط حتى أدبر لها ملاذاً أميناً يحويها بحرص شديد. أجلسُ عربية واصطحبها، ولا تدع عينيك تفارقان شخصها ابداً. لعلها بعد هذه العزلة تجد نفسها بعيدة عن محيطها فتملّ في عزلتها حبّ مزاحمي الشاب وتكفّ عن التعلّق به وانتظاره.

المشهد السادس

هوراس

هوراس : ها أنذا قد أتيت لأرى الحزن مرتسماً على وجنتيك. يا إلهي، هل تمكّن السيد ارنولف من ترسيخ شقائي ؟ وهل شاء مصيري المشؤوم ان يُنزل بي هذا الظلم الذي لا يطاق ويسلخني عن حبيبي. لقد جاء أبي الى هنا متكبداً مشقّات السفر، ورأيتُه عندما وطأت قدماه ارض هذا المكان، وعلمت ان سبب قدومه اليّ هو رغبته في أن يزفني الى فتاة أخرى ويفرح بتحقيق هنائي كما يظن. فتصوّر كم سينتابه القلق والكدر أكثر مني، كما قلت بالأمس، وكم سيجتهد نسيبي أثريك، طبعاً بالاشترك مع والدي، جدّاً لهم ما رسمته للتعنّم بحياتي كما يعجبني. إذ إنهما يطلبان مني أن أقترن بابنته الوحيدة، ونا لا أريد أن أستمع الى هذا الكلام الذي يناقض رغبتي. فقد أتى والدي ليزورني ومن حديثه توقعت ما يزعجني ويغيظني. فأرجوك أن لا تكشف له عمّا اودعتك اياه من سرّي، ولا تعلمه بارتباطي الذي سيحزنه.

أستحلفك ان تشرح له وتحاول إقناعه بالعدول عن فكرته التي ترمي الى تزويجي فتاة غير التي اهوها.
أرنولف : طبعاً سأسعى الى اقناعه بما تريد.
هوراس : إنصحته بالتريث قليلاً واخدمني بذلك خدمة الصديق المخلص.
أرنولف : لن أتأخر لحظة عن عمل ما تشاء، فاطمئن بالأ.
هوراس : اني أضع كل أمني وكل ثقتي في قدرتك على جعله يعدل عن فكرته.
أرنولف : حسناً، لن أخيب ظنك فيّ.
هوراس : اني أوكل اليك أمر أبي. فقل له أن عمري ... ها هوذا، اني أبصره قادمًا الينا ... هيّا أنصت الى الحجج التي يمكنني أن أزوّدك بها لهذه الغاية.
(يظل في زاوية من خشبة المسرح).

المشهد السابع

أنريك واورونت وكريزالد وهوراس وارنولف.

أنريك (لكريزالد) : حالما شاهدتك، بدون أن يدلّني احد عليك، عرفت أنك قادم، ورأيت فيك ملامح اختك الحبيبة التي جعلتني مراسم الزواج في حينه قيماً عليها. كم يكون سروري عظيماً لو تسنى لي أن آتي بزوجتي الوفيّة لتفرح بلقائك ولقاء جميع الأهل بعد ألم الفراق الطويل. ولكن بما أن مصيرنا يحرمنا من مشاهدتها فيما بيننا هنا، علينا أن نكتفي بما بقي لي ولها من أثر وحيد بعد حبنا الجارف هي ابنتنا الصبيّة. هذا حقاً دافع لا يستهان به يجعلني أميل الى تعزيز هذه الفتاة الغالية جداً على قلبي. ان اختيار ابن صديقي اورونت كعريس لها لهي بادرة سارة بحدّ ذاتها. لكن المهمّ أن يعجبك هذا الاختيار كما يعجبني أنا.

كريزالد : أكون قد أمتننت هذا الاختيار إذا شككت بتفضيلك المحقّق.
ارنولف (لهوراس) : أجل سأخدمك بأفضل الوسائل.

هوراس : اذا إغتنتم هذه الفرصة الملائمة.
 أرنولف : لا يكن لك ادنى شك من هذا القبيل.
 اورونت (لارنولف) : هذا العناق الحار يدل على حنو لا حد له.
 أرنولف : ان ابتهاجي عظيم بهذا اللقاء.
 أوروئث : هل تدري كيف جئت الى هنا ؟
 أرنولف : بغتة بدون أن تعلمني، وأنا أعرف ما يدفعك الى المجيء إليّ.
 أوروئث : لا بد من أن تكون قد توقعت هذا النبأ ...
 أرنولف : نعم.

أوروئث : انا مسرور جداً بقدمك.
 أرنولف : ان ابنك يتشبث بعزمه على إتمام هذا الزواج وقلبه الممتيم بالهوى لا يجد أي إزعاج في هذا الموضوع الدقيق. وقد طلب مني أن أحملك على تغيير فكرك وعدم معارضتك أمر زواجه هذا. لذا أنصحك بأن تكون راضياً على اختياره الفتاة التي تعجبه ويحبها، وأن لا تصرّ على ممارسة سلطتك الأبوية في التأثير عليه للانقياد الى ما تراه أنت مناسباً له. فدع اذا هذين الحبيبين يحققا حلمهما الذهبي، لأن الواجب يقضي بأن نترك له حرية التصرف في هذا المشروع الشخصي الجوهري.

هوراس : تباً لك من منافق دجال.
 كريزالد : اذا كان حقاً قلبه ينفر من تدابيرك، فأنا أصرّ على عدم توسّل العنف، يا عزيزي، للوصول الى إخضاعه لمشيئتك. وأنا على يقين بأنه سينحاز الى رأيك راضياً.

أرنولف : ماذا تقول ؟ هل تريد أن ينقاد الأب الى مشيئة ابنه، وأن يبدو ضعيف الارادة حيال رغبة هذا الابن ؟ متى كانت الأفضلية لانصياع الكبير الى أهواء الصغير ؟ ما أحلى ان نرى اليوم نظام القانون الطبيعي ينقلب رأساً على عقب. فينصاع من يعود اليه الأمر والنهي الى من يجب عليه أن يطيع وليّ امره. لا، لا، هذا صديقي، وعليّ أن أسانده، لأنني اعتبر فوزه نصراً لي أنا ايضاً. فلقد وعد، وعليه ان يفني بوعده. ورأيي ان يكون حازماً في قراره. وعلى ولده أن يطيعه ولا يخرج عن تلبية طلبه.

أوروث : هذا كلام معقول، وفي هذا المجال أؤكد لك أنني سأسعى جاهداً لإقناعه بالامتنال لمشيئتي انا والده وولي نعمته.

كريزالد (لارنولف) : يدهشني هذا التفرد والتسرّع في البتّ بارتباط كهذا، ولا أجد ما يدعو الى ذلك بمثل هذا الإصرار.

أرنولف : أنا أعرف ماذا أفعل، وأقول ما يجب عليّ أن لا أصمت عنه.

أوروث : نعم، نعم. يا سيد أرنولف، لقد ...

كريزالد : هذا الاسم يزعجه، وعليك أن تدعوه السيد دي لا سوش، كما قيل لك سابقاً.

أرنولف : هذا لا يهمني كثيراً.

هوراس : ماذا تقول ؟

ارنولف (يلفت الى هوراس) : أجل، هذا هو الخلاف. ولك أن تحكم على ما كان يتحتم عليّ أن أفعله في هذا الموقف المحير.

هوراس : ما الذي يضايقك ؟

المشهد الثامن

جورجيت وانريك واورونت وكريزالد وهوراس وارنولف

جورجيت : ان لم تكن حاضراً، يا سيدي، سنلاقي صعوبات كثيرة في إبقاء أغني هناك. لأنها مصممة على الهرب مهما كلفها الأمر. وربما ألفت بنفسها من النافذة.

أرنولف : جيئوا بها اليّ، فأنا أستطيع أن أمنعها. (لهوراس) لا تحزن، يا صاح، ولا تكره أمراً لعله خير لك، كما يقول المثل، فكل إنسان ينال ما كُتب له من نصيب.

هوراس : ليس من مصيبة يمكنها أن تضاهي مشكلتي. وهل في الدنيا من هو مثلي وصل الى قعر الهاوية حيث تدهورت انا الآن.

أرنولف (لأورونت) : عَجَّل في إجراء مراسم الحفلة لكي أشارك فيها.
وسأكون أو من يلبي الدعوة.
أورونت : هذا هو لسان حالي أنا أيضاً.

المشهد العاشر

أغني وآلان وجورجيت وأورونت وانريك
وازنولف وهوراس وكريزالد.

أرنولف : تعالي، أيتها الحسناء، تعالي. انتِ الثائرة التي لا يستطيع أحد أن
يثنيك عن اندفاعك. هذا هو الشاب الذي تعشقينه وبوسعك أن تحببيه
وتبسمي له وتقبليه مكافأة على تشبته بهوك. الوداع، فالواقع يخالف قليلاً
آمالك وأمانيك. واعلمي أن لا سبيل إلى إرضاء جميع العشاق ولا كل الناس.
أغني : هل تقبل، يا هوراس، ان اكون هكذا من نصيب سواك ؟
أرنولف : هيا بنا، أيتها الثائرة.
أغني : اريد أن أبقى هنا.
أورونت : قلبي لنا : ما هو هذا السرّ الغريب ؟ فإننا ننظر جميعنا بعضنا إلى
بعض ولا ندرك كنه ما يدور الآن حولنا.
أرنولف : اذا سمحتم، يسعني أن أشرح الموقف لكم. إلى اللقاء.
أورونت : إلى أين تنوي الذهاب ؟ أنت لا توضح لنا مقصدك كما يجب.
أرنولف : لقد نصحتك رغم كل معارضته بأن تُتمّ مراسم الزواج بدون
تأخير.
أورونت : نعم، ولكن لإتمامها، ألا تعلم أن الفتاة المرغوبة هي الآن عندك ؟
أمّا الفتاة الأخرى التي تُدعى انجيليك فهي في الحقيقة ابنة السيد انريك. اذا لا
أجد أن حديثك يركز على أي أساس معقول.
كريزالد : لقد تعجبت لدى مشاهدة طريقته في التنفيذ.
أرنولف : تنفيذ ماذا ؟

كريزالد : الزواج السري الذي أسفر عن ولادة ابنة كُتيم أمر وجودها عن الاسرة بكاملها حتى الآن.

أوروث : وقد عاشت بإسم مستعار، لكي لا يكتشف الأمر أبوها، وقد أرسلت الى الحقول لتربي هناك. فلما عاكس حظها العاثر ظروفها التعيسة، جرى إبعادها عن مسقط رأسها.

أوروث : لكي تواجه مشاكل لا تُحصى في تلك البلاد النائية التي تفصل بين مقرّيها البراري والبحور.

كريزالد : وهناك قيض الله لها من إهتمّ بتربيتها ورعايتها.
أوروث : وعند عودة الوالد الى فرنسا بحث عن ابنته حتى اهتدى الى من تولّى امر حضانتها.

كريزالد : وأعلمتنا إحدى الفلاحات بصراحة أنها تُركت عندك وديعةً معززة مُكرّمة.

أوروث : ولما كانت في حالة فقر يرثي لها، عَهدت الى رعايتك في بيتك نظراً الى ما عُرفت به من حبّ البرّ والاحسان.

كريزالد : واستناداً الى ما يتحلّى به من رحابة الصدر وعلو الهمة والميل الى عمل الخير، أوصل الفتاة الى ما هي عليه اليوم.

أوروث : وستراها الآن عندما تأتي الى هنا وتوضح أماننا سرّها الدفين.
كريزالد : انا اقدّر مدى حزنك لما جرى. لكن حُسن حظك سيبيّن لنا كم هي سعيدة بأن تقول لك : إن شئت ان لا تكون مخدوعاً عليك أن تُبعد عنك فكرة الزواج وتتخلى عنها نهائياً.

ارنولف (يخرج وهو في غاية التأثر لا يقوى على الكلام) : آه، ثم آه.
أوروث : لماذا هرب بدون أن يفوه بكلمة واحدة.

هوراس : يا أبي، ستطلّع على هذا السرّ العجيب بكامل تفاصيله. فقد شاء القدر أن تجري الأحداث كما توقعته حكمتك. وتطلّعت اليه بصيرتك. فأنا قد ارتبطتُ بعهد حيال هذه الصبية اللطيفة. فقادتني بكلمة الى ما جئتُ تبحث عنه، ولأجلها قد أزعجك بالفعل رفضي التنازل عن حبّها كما تشاء ...

أثريك : انا لا أشك أولاً بأني رأيتها بأّم عيني، ومنذ تلك اللحظة شعرت

بالاضطراب يتغلغل الى أعماق نفسي. فيا بيتي، أنا لا أعرف كيف أعبر لك
عن شدة سروري وابتهاجي بالتعرف اليك كشريكة حياة ابني هوراس.
كريزالد : كنت شاركتك فرحك، يا عزيزتي، لو ساعد هذا المكان على
ذلك. تعالوا نذهب الى البيت لإجلاء هذا السرّ العويص. ثم نفي حقّ صديقنا
على ما قام به من خدمات جليلة، ونشكر السماء التي تحل المعضلات
الشائكة على أفضل الصور وبأولى الوسائل التي تُرضي الجميع.

(تَمَّت)

إِنْتِقَادَ مَدْرَسَةِ الزَّوْجَاتِ

أشخاص المسرحية

- أوراني^أ : ابنة عم اليز
- ايليز : ابنة عم اوراني
- كليمان : صديقة اوراني وايليز
- كالوبان : خادم.
- المركيز } : أو الفارس.
- دورانت }
- ليزيداس : شاعر.

الأحداث تجري في باريس في منزل اوراني

فصل واحد

المشهد الأول

أوراني : هل جاء أحد ليزورك، يا ابنة عمي ؟
إيليز : لا أحد بتاتاً.

أوراني : حقاً، يدهشني أن نبقى اليوم كلتانا وحيدتين.
إيليز : هذا يدهشني أنا أيضاً. لاننا لم نتعود ذلك. ومنزلك، لله الحمد، ملجأً طبيعياً لجميع تناول البلاط الملكي.

أوراني : في الحقيقة، فترة ما بعد الغداء، تبدو لي طويلة جداً.
إيليز : أما أنا فوجدتها قصيرة جداً.

أوراني : وهذا عائد الى ان المثقفين، يا ابنة عمي، يحبون الوحدة والعزلة.
إيليز : لا أنكر أنني اميل الى معاشرّة الأصدقاء.

إيليز : وانا أيضاً أحبّها. لكنني افضل أن اختار جلسائي. لأن معظم الزيارات السخيفة تجعلك تمجّينها وتحاشينها لتلوذي بالاختلاء بنفسك.

أوراني : هذا نوع من اللياقة المبالغة التي تدفعك الى معاشرّة خيرة الناس فقط.

إيليز : غير أن المسائرة تدعوك الى تحمّل كل الناس من جميع الفئات بلا مبالاة.

أوراني : في الحقيقة، انا اذوّق الاحاديث المعقولة ولا اتسلّى بسماع ما هو مبتذل بوجه الاجمال.

إيليز : الابتذال لا يصل دائماً الى حدّ الازعاج. وأغلب من يصدر عنهم يُفقد حديثهم كل طرفاة منذ الزيارة الثانية. وعلى ذكر المبتدلين، ألا تفضلين ان تبتعدي مثلاً عن صاحبك المركيز المملّ؟ هل تظنّين أنني قادرة على تحمّل ما يرّدّه باستمرار من سماجته التي ليس لها حدود؟
أوراني : لا تنسَي ان حديثه رائج هذه الأيام، ويتواصل التكتيت حوله في البلاط بدون انقطاع.

إيليز : بئس من يمارسون السخرية ويجهتدون طوال النهار ان يرّدوا هذه اللهجة الغامضة. ان افضل الأحاديث التي تدور في قصر اللوفر هي من نمط المداعبات الموحلة التي يتجاذب اطرافها جماعة سوق الخضار واللحامين وساحة موبار حيث يلتئم المشبهون وذوؤ الاخلاق المنحطّة. أما أحلى مزاح يدور بين أهل القصر ويسوغ للانسان المثقّف ان يتباهى به فهو قول الرجل : « يا سيدتي، انتِ في الساحة الملكية، وجميع الناس يتطلّعون اليك عن بعد ثلاثة أميال من باريس، وكلّ منهم يراك بعين الرضى والتقدير ». لأن قرية « الرضوان » لا تبعد اكثر من ثلاثة أميال عن هذا المكان. أولاً تجددين في ذلك كياسة وخفّة روح؟ أولاً يحقّ لمحبّدي هذه اللقاءات أن يفاخروا بها؟
أوراني : الغالبية الساحقة لا تنظر الى هذه الوقائع كأمر طليّة المغزى. ومعظم الذين يقلّدون هذه اللهجة يعرفون جيداً انها بليدة سخيفة.

إيليز : بئس ترديد مثل هذه الحماقات التي تعتبر نوعاً من المزاح السمج. ولو كنت حَكماً، لما وجدت عذراً لمروجيه ومتذوّقيه، بل كنت قسوت في ادائتي على محبّدي هذه التفاهات والترهات.

أوراني : دعينا من هذا الموضوع الذي يثير إشمئزاك. ولتساءل لماذا سيأخّر دورائت هذا المساء في المجيء ليتناول معنا طعام العشاء؟
إيليز : ربما نسي إرتباطه بهذا الموعد و ...

المشهد الثاني

كالوبان واوراني وايليز.

كالوبان : ها هيدا كلامين، يا سيدتي، قد أتت لتركِ.
أوراني : ما هذه الزيارة الغريبة ؟ يا الهي.
إيليز : انت تشكين الوحدة. وها قد أرسلت لك السماء من يسليكِ.
أوراني : عجل، يا كالوبان، وقل لها اني لست هنا.
كالوبان : لقد قيل لها أنك موجودة في البيت.
أوراني : ومن قال لها هذه البلاهة ؟
كالوبان : انا، يا سيدتي.
أوراني : تباً لك من متسرّع. سأعلمك كيف تجيب من تلقاء ذاتك في المستقبل بدون استشارتي.
كالوبان : سأذهب واعلمها بأنك قد خرجت.
أوراني : قف عندك، يا أبله، ودعها تصعد، بما أنك سمحت لنفسك بارتكاب هذه الحماقة.
كالوبان : هي لا تزال في الشارع تخاطب أحد الرجال.
أوراني : كم تضايقتني هذه الزيارة الآن، يا ابنة عمي.
إيليز : لا أنكر أن هذه السيدة ركيكة بطبيعتها. وأنا لم أتحمّل يوماً وجودها بصحبتني. لأنها فعلاً غريبة الأطوار، وأحاديثها التافهة بعيدة كل البعد عن المنطق السليم.
أوراني : انت تجورين عليها قليلاً بوضفها هكذا.
إيليز : لا، لا. هي تستحق ما نعتها به. وإذا أردت أن تنصفيها، فأني إطراء توجهينه إليها ؟ هل يمكنك أن لا تصفيها بالمتفلسفة في أسفل معاني هذه الكلمة ؟
أوراني : مع ذلك، هي غير بعيدة عن هذه النقيصة الدائمة.
إيليز : هذا صحيح. هي تستحق هذه التسمية بدون أن تدرك مدى فحواها. صدقتيني، انها متفلسفة من رأسها الى أخمص قدميها. وهي بارعة في التصنّع

بما تبديه من حركاتها وهزّ رديفها وكتفيها ورأسها كأنها محشوة نوابض لا تدعها تهدأ لحظة واحدة. وصوتها بنوع خاص يعلو وينخفض، وشفاتها تستديران وتفرجان باستمرار نظير عينيها اللتان لا تفكّان تجحطان وتغمزان وتغمضان وتفتحان ...

أوراني : مهلاً، مهلاً، لئلا تصل فجأة وتسمع...
 إيليز : لا، لا، لن تصعد بسرعة. انا لا أزال أتذكّر ليلة التقائها بصديقنا دامون، والصفات التي وسمتها بها من جرّاء ما لاحظناه عليها من حركاتها الكثيرة بوجه عام. أنتِ تعرفين الرجل جيداً وعدم اكترائه بمبادلة الحديث. فلقد دعتني الى تناول طعام العشاء على: مائدتها باعتباره صاحب نكتة، ولم تلاحظ عليه ابداً إنه بدا سخيلاً بين جماعة الأشخاص المنكّتين عليه أمامها كأنه مخلوق عجيب يريد أن لا يشبه احداً سواه من البشر. وقد ظن الجميع أنه مدعوّ ليسلي الحاضرين بفكاهاته نظراً الى ما امتاز به من الكلام اللبق والتعليقات المترجلة على كل ما يقال اثناء السهرة والشروحات المفصّلة التي يستفيض فيها حيال كل موضوع يثار اثناء وجوده. غير أنه خيّب أملهم بسكوته الى حد جعل السيدة تبدي ارتباكها ازاء كل ما قدمته من تعريف عن شخصه الفريد.
 أوراني : أصمتي. ها أنا اراها قد وصلت الى باب الغرفة.
 إيليز : لي كلمة أخرى أقولها. كم أودّ أن اراها قد اقترنت بالمركز الذي تكلمنا عنه. فالجمع بينهما سينجم عنه حقاً ضمّ المتفلسفة الى صاحب الحديث المبتدل.

المشهد الثالث

كلامين وأوراني وإيليز وكالوبان.

أوراني : حقاً، فات الوقت ...
 كلامين : ارجوك ان تقدّمي لي مقعداً لأرتاح عليه.
 اوراني (لكالوبان) : هيّا اجلب مقعداً بسرعة للسيدة.

كلامين : يا إلهي .
أوراني : ما بك ؟
كلامين : لم أعد أقوى على الوقوف .
أوراني : ماذا دهك ؟
كلامين : قلبي يخفق بشدة .
أوراني : هل زاد ضغط دمك في هذه الآونة الأخيرة ؟
كلامين : كلا .
أوراني : هلا فككتِ ازرار ردائك لتسهيل تنفسك .
كلامين : لا ، لا لزوم لذلك .
أوراني : اذاً بماذا تشعرين ؟ ومنذ متى تتضايقين هكذا ؟
كلامين : منذ أكثر من ثلاث ساعات ، حين كنت في القصر الملكي .
أوراني : ماذا تقولين ؟
كلامين : لقد تحمّلت كفارة عن ذنوبي ، غلاظة مسرحية « مدرسة الزوجات » التي ازعجتني جداً وسببت لي ضيق الصدر . ولا أعتقد أنني سأتخلّص من هذه العلة قبل مرور اسبوعين .
إيليز : هكذا تتابنا الأمراض احياناً بدون أن نفكر بها أو نعلم من أين انقضت علينا .
أوراني : انا وابنة عمي لسنا ندري أي مزاج يعتمل في داخلنا . لكننا ذهبنا أمس الأول لمشاهدة هذه المسرحية ، وعدنا منها مسرورتيين منشطتين .
كلامين : هل شاهدتماها فعلاً ؟
أوراني : نعم ، وأصغينا الى كلامها من أوله الى آخره .
كلامين : أولم تشعرنا بأي اشمئزاز ، يا عزيزتي ؟
أوراني : أنا لست سريعة الانفعال ، والحمدلله . ولقد وجدت ان هذه الهزلية قادرة على شفاء علل الناس بدل أن تبليهم بأي سقم يرضي .
كلامين : يا إلهي . ماذا تقولين ؟ هل يستطيع شخص مثقف مثلك أن يفوه بمثل هذا التصريح ؟ هل يتسنى لإنسان خبير واسع الاطلاع نظيرك أن يخرج عن المعقول ويحبّد هذه المهزلة السخيفة ؟ وهل يجوز لفكر واسع يتوق الى

حلو النكات أن يتهج بسماعها والتلذذ بسماعتها ؟ وبمعنى آخر هل يسوغ لمثقفٍ متلهف الى المزاح الفطن أن يصمّ اذنيه بالاصغاء الى بلاهة الهزليات التافهة ؟ من جهتي انا لم أجد ذرة من الفطنة في كل عباراتها وحكاياتها البذيئة. وما بلاهة السؤال عمّا « اذا كان الاطفال يأتون الى هذه الدنيا عن طريق الأذن » إلا سخافة ممقوتة، وقصة « الحلوى الغارقة بالزبدة » قد ذهبت بشهيتي، ونبذة «الحساء» جعلتني اتقيّاً من القرف.

إيليز : يا الهي. كم أنت موفقة بإيراد كل هذه الأمثلة. لقد ظننت ان مغازي المسرحية جيدة. لكنني أرى، يا سيدتي، ان لديك فصاحة بليغة تقلب الأمور بشكل مُفنع، وتستميلين محدثك الى رأيك، ولو كان من أعند الراضين. أوراني : أمّا أنا فلا أساير أحداً. ولكي أبدي فكرتي بصراحة، أعلن أن مؤلف هذه المسرحية بلغ ذروة النجاح بين سائر مسرحياته.

كلامين : أنا أشفق عليك، وأنت تتكلمين هكذا، ولا يسعني أن أتحمّل منك هذا التقصير في التمييز بين الغثّ والثمين. ولا أفهم كيف يمكنك أن ترضي عن تمثيلية كهذه تزرع قلة الحياء في الأذهان وتلوّث المخيلة بأدران البذاءة والنذالة أحياناً.

إيليز : وأنا من جهتي استغرب منك هذا الحكم الجائر، يا سيدتي. انك تبرهنين عن كونك لا تتمتعين بحسّ مرهف في النقد، كما تتوهمين وانا اشفق ايضاً على صاحبنا موليار لتحدثك عنه كأنه من الدّ أخصامك.

كلامين : الاجدر بك أن تتراجعني عن حكمك المغلوط ؟ لعلّ تغيير رأيك في هذه الهزليّة التي اعجبك تبدّل ما علق في عقول الناس مما تخصّصتها به من إطراء.

أوراني : في الحقيقة، لا أرى ما جعلك تعتبرين انها تتضمن ما يخذش براءة الحياء.

كلامين : يا للأسف. كل ما فيها يناقض معالم الفضيلة. وعندني ان المرأة الشريفة لا يسعها إلا أن تحمّر خجلًا من تعابيرها السافلة التي لا تعدو كونها بؤرة قذارة وسفاهة.

أوراني : ارى أن للسفاهة في مفهومك معاني خاصة لا يدركها سواك من

الأدعياء. فأنا لا أجد فيها شيئاً مما تتوهمينه وتشيرين اليه.
كلامين : لأنك حتماً لا تريدين أن تبصري الحقيقة على جلبيتها، ولأن كل
هذه الأقدار التي تشمئز من منها تبدو، والحمد لله، كأنها متوارية عن الأبصار لا
تحتاج الى ستر قياحتها. ما دامت روائحها الخانقة لا تحتاج في عرفك الى
التبديد، رغم أن حاسة الشم الأكثر زكماً تخشى أن تنتشق زخمها الكريه.
إيليز : ألي هذا الحدّ ؟
كلامين : نعم، إن لم يكن الأمر أدهى.
أوراني : على كل حال، أودّ أن تسترعي انتباهي الى واحدة مما تسمينها
قذارات.
كلامين : يؤسفني ان تكوني قد اصبحت بحاجة الى من يدلك على البشاعة.
أوراني : أجل، أودّ أن تدليني على مقطع واحد فقط أزعجك الى هذا الحدّ.
كلامين : وهل هناك أسوأ من مشهد الفتاة أغني عندما افصحت عمّا علّموها
اياها من اقوال خسيسة.
أوراني : واين القذارة في هذا الأمر ؟
كلامين : أحقاً لا ترينها ؟
أوراني : ارجوك أن تشرحي لي ما تستغربينه ؟
كلامين : تباً لك من غبيّة.
أوراني : كيف تجرّوين على نعتي هكذا ؟
كلامين : لم يبقَ لديّ طاقة على الاحتمال.
أوراني : انا لا أجد في كل هذا آية إساءة.
كلامين : هذا شأنك. وانا لست من رأيك.
أوراني : بل العكس هو الصحيح، على ما ارى بوضوح. فأنا أنظر الى الأمور
كما تُعرض امام عينيّ ولا أقلبها الى ما يجب ان لا نبصره فيها لأنه غير الواقع.
كلامين : اين شهامة المرأة ؟...
أوراني : شهامة المرأة لا تكمن في الحركات المصطنعة. والمصيبة هي ان
الإنسان الطائش يشاء أحياناً ان يفوق العقلاء رصانةً ورجاحة عقل. وهنا يكمن
الشطط الذي ما بعده شطط. وانا لا ارى خطأ أفدح من البحث عن الشرف

حيث لا تدعو الحاجة الى وجوده. فترمى الكلمات البريئة بأحطّ النعوت والتجريح، ثم التلميح الى أكثر الأمور براءة، كأنها أقبح السفالات. صدّقيني، أن اللواتي يلجأن الى التصنّع والتكلف لسن ابدأ من نساء الخير والصلاح، بل بالعكس، لا بد لإدعاءاتهن ومراوغاتهن من أن تُزعج وتُخجل أهل الرزانة والتحفظ. فمن الهين اغداق الدم على الأمور جزافاً كما يسهل بلحظة هدم ما استغرق بنيانه آماداً طويلة. وعلى سبيل المثال، ما لاحظناه في ذلك اليوم، اثناء مشاهدتنا هذه الهزلية على المسرح من مقصورة جاورت مقصورتنا حيث لم تكف بعض السيدات إظهار تأثرهنّ بالمسرحية كهزّ الرؤوس وتقطيب الحواجب واشارات الايدي، مما أثار تواتر التأفف من سلوكهنّ الغريب، من كل حذب وصوب. ولم يكن هذا الانتقاد ليوجّه اليهنّ لولا حركاتهنّ المصطنعة السمجة، حتى ان أحد مراقبي القاعة صرخ مندداً بأعلى صوته :
أنهن في الحقيقة يتظاهرن بعفّة آذانهن أكثر مما يخفين من ترمّت وتهتك في سائر أنحاء أجسادهنّ.

كلامين : لا بد من أن يكون الانسان أعمى ليتحمّل مثل هذه المسرحية، أو يتعامى عمّا تحويه من مبادل لا تطاق.

أوراني : على المرء ان لا يرى ما ليس له في الواقع من وجود.

كلامين : انا لا أزال على إصراري بأن المسرحية تغصّ بالقبايح المقذعة.

أوراني : وانا لا أزال غير موافقة على ما تدّعيه وتلصقينه بها من دناءة.

كلامين : غريب منك أن لا تبصري ما ورد من تجريح الفضيلة في كل ما قالته اغني خلال المقطع المشار اليه.

أوراني : لم تتلفظ بكلمة واحدة غير لائقة. أمّا اذا شئت ان تؤوّلها على هواك فأنت التي تضعين القذارة حيث لا أثر لها، وليست هي، بما أنها تتكلم عن شريط من النسيج أخذه منها الشاب كتذكّار.

كلامين : هو شريط اذا اردت أنت ان تعتبره هكذا. ولكنك تتناسين ترددها وعدم رغبتها في الإفصاح عما أخذه الشاب منها فعلاً. وهذا يفسح المجال لأبعد الشكوك المريبة. ومهما شئت أن تتغاضبي عما قصدت ان تخفيه، فلن تنوصلي الى تبرئتها من جريرتها.

إيليز : هذا صحيح. وانا لا أرى من داع الى ترددها وتكتمها. فهي مخطئة في موقفها هذا، ولا حاجة الى الدفاع عن نقاء براءتها.
كلامين : لا سيما وهي تصرّ على إخفاء السفالة التي تخجل من الافصاح عنها.

إيليز : كيف تنعتين تصرفها، يا سيدتي ؟
كالوبان : محاولة ستر السفالة، يا سيدتي.
إيليز : يا الهي. أين السفالة هنا ؟ وأنا لا أفهم تماماً ماذا تعنين بكلمة سفالة ؟
بينما أنا أجد طريقة تعبيرها اروع ما يمكن في مثل موقفها السليم.
كلامين : أخيراً أجدك تميلين الى رأيي.
أوراني : يا الهي. هي متحدثة لبقة لا تفصح دائماً عما تفكر فيه. فلا تثقي بتصريحها اذا أردت أن تصدقيني.

إيليز : ما أرداك في وضع اقوالي موضع الشك، في نظر سيدتي. فاذا شاءت ان تصدق اقوالك، يمكنك أن تتخيلين ما يكون من أمرها. وما أتعسني اذا تبنت هذه الفكرة الخاطئة عني.
كلامين : لا، لا. أنا لا أعتد على كلامها. وأعتقد بأنك اصدق مما تنسبه اليك من الشك في اقوالها.

إيليز : كل الحق الى جانبك، يا سيدتي، فأنا لا يسعني إلا أن اقرّ بصدق نواياك، وأجدك أهلاً للثقة، واقدّر آراءك ومشاعرك وتعابيرك الأمانة في كل ما تخوضينه من مناقشات.

كلامين : في الحقيقة انا ايضاً لا أقصد إلا الصديق في كل ما اقول.
إيليز : هذا ظاهر للعيان، يا سيدتي. وأرى تصرفاتك طبيعية بكل معنى الكلمة. فأحاديثك ولهجة صوتك ونظراتك وخطواتك وأعمالك ودقة وصفك جميعها تنسّم بحسن النية، وتستأثر بإعجاب كل الناس. فأنا ألاحظ سلوكك في ما اراه واسمعه، وأجدني مقتنعة بأنك نزيهة وبعيدة كل البعد عن التحامل على أحد في أي موضوع كان.

كلامين : هل ترومين ان تهزأي بي، يا سيدتي ؟
إيليز : معاذ الله. سامحيني، يا سيدتي، إن كنت قد أزعجتك.

كلامين : أنا لست مثلاً أعلى، يا سيدتي.
إيليز : بلى، يا سيدتي، بلى.
كلامين : انت تبالغين في الثناء عليّ، يا سيدتي.
إيليز : كلا، كلا، يا سيدتي. انا لا اقول سوى الحقيقة المجردة.
كلامين : ارجوك ان لا تمعني في اطرائك، يا سيدتي.
إيليز : في الواقع، أنا لا أنسب اليك نصف ما تستحقينه من مديح، يا سيدتي.
كلامين : يا الهي. لنقف عند هذا الحدّ. لأنك، اذا تابعت، ستورّطيني في
مزيد من الإحراج. (لأوراني) : أخيراً اصبحنا اثنتين نعارض ما تبدينه من رأي.
صدّقيني إن قلت لك ان العناد لا يليق بمثيلاتك المثقفات.

المشهد الرابع

المركيز وكلامين وكالوبان واوراني وإيليز.

كالوبان (عند باب الغرفة) : قف مكانك، يا سيدي.
المركيز : بدون شك، انت لا تعرفني.
كالوبان : أجل، أنا أعرفك حق المعرفة. مع ذلك لن تدخل.
المركيز : لماذا تفتعل هذه الضجة، ايها الخادم ؟
كالوبان : لا يجمل بأيّ كان ان يدخل عنوة بدون استئذان.
المركيز : أنا أريد أن أقابل معلّمك.
كالوبان : اقول لك أن هذا غير ممكن هكذا.
المركيز : ها هي في الغرفة.
كالوبان : صحيح انها موجودة. لكنك لن تقابلها.
أوراني : ماذا يجري هنا ؟
المركيز : خادمك الأحمق يمنعني من الدخول، يا سيدتي.
كالوبان : أنا أبلغه أنك لست هنا، يا سيدتي. وهو يصرّ مع ذلك على
الاقترحام.

أوراني : ولماذا تقول له اني لست هنا ؟
كالوبان : في المرة السابقة ويختني لأنني قلت له أنك موجودة.
أوراني : هذا الخادم غبي. ارجوك، يا سيدي، ان لا تصدق ما يقول، لأنه
أحمق لا يدرك ما يتلفظ به.
المركيز : ارى ذلك بوضوح، يا سيدتي. ولولا احترامي شخصك الكريم،
لكنت لفتته درساً في احترام الأشخاص المرموقين مثلي.
إيليز : ابنة عمي ممنونة من صدور هذه اللياقة عنك، يا سيدي.
اوراني (لكالوبان) : أسرع بإحضار مقعد للسيد، يا ابله.
كالوبان : ألا يرى هذا المقعد القريب منه ؟
أوراني : أصمت وقدمه له.
(يدفع الخادم الصغير المقعد بخشونة ويخرج).
المركيز : لست ادري لماذا يحتقروني خادمك الصغير، يا سيدتي.
إيليز : هو مخطئٌ حتماً.
المركيز : اظن أن ذلك يعود ربما الى قلة تقديره مظهري. (يضحك). ها، ها،
ها.
إيليز : عندما يتقدم في السن سيحترم بدون شك شرفاء المجتمع أمثالي.
المركيز : بماذا كنتن تتحدثن، يا سيداتي الفاضلات، عندما قاطعت كلامكن
بدخولي.
أوراني : عن هزلية « مدرسة الزوجات ».
المركيز : وكيف تجذنها، يا سيداتي ؟ هل أعجبتكن.
كلامين : ارجوك، يا سيدي، أن تقول لنا كيف وجدتها أنت ؟
المركيز : وقحة بكل معنى الكلمة.
كلامين : كم أنا مسرورة بهذا الجواب.
المركيز : انها أردأ تمثيلية شاهدتها حتى الآن. إذ إنني بصعوبة إهتديت الى
مكان اجلس فيه بعد ان كدت اختنق من الزحام عند الباب. وكم داس
المتدافعون على قدمي. وكم اجتهدت في اعادة أشرطتي الى وضعها وترتيبها
المألوف.

إيليز : هذا برهان دافع على وجوب الانتقام من هزلية « مدرسة الزوجات »
كما تقول بحق، يا سيدي.
المركيز : ثم تُقدِّم على المسرح تمثيلية أشنع من هذه التي نتكلم عنها.
أوراني : ها هوذا دورانت الذي كنا ننتظره.

المشهد الخامس

دورانت والمركيز وكلامين وإيليز وأوراني.

دورانت : لا تزعجوا انفسكم ولا تكفّوا عن حديثكم. فأنتم تخوضون
موضوعاً لا ينقطع الناس منذ أربعة ايام عن مناقشته في جميع بيوت باريس،
ولم يشاهد أحد اروع من تنوع الآراء التي أبدت عنه في تقديره ومدحه أو
الامتعاض منه وذمه. فقد سمعت اقوالاً متضاربة في نوعية هذه الهزلية من
محبّديها ومن المتدّدين بها.

أوراني : وهاك سيدي المركيز لا ينفك عن شذبهها.
المركيز : هذا صحيح. فأنا قد وجدتها قبيحة الى آخر درجات البشاعة.
وليس ارذل من مضمونها ومغزاها.

دورانت : اما أنا، يا عزيزي المركيز، فأرى ان حكمك هو القبيح الذميم.
المركيز : ما هذا القول، ايها الفارس المغوار ؟ هل افهم منك أنك تقدّر هذه
المسرحية ؟

دورانت : اجل، انا اقدّرهما حق قدرهما.
المركيز : بذمتي، أنا أوكد لك أنها أحقر ما شاهدت.
دورانت : حكمك ليس مقنعاً. فلماذا، أيها المركيز، تجد هذه المهزلة كما
تدينها ؟

المركيز : لماذا هي بديعة بغیضة ؟

دورانت : نعم لماذا ؟

المركيز : انها بغیضة لأنها دنيئة.

دُورائت : بعد حكمك هذا المبرم لا مجال لأي نقاش عنها. إذ أصدرت سيادتك الحكم بشجبها. ولكن مع ذلك أسألك ان تشرح لنا ماذا دعاك من نقائصها الى اتخاذ هذا الموقف المنحرف

المركيز : انا لا أعلم تماماً لماذا. ربما لأنني لم أتكلّف عناء الاصغاء الى ما قيل اثناء تمثيلها. على كل حال، أنا واثق بأنني لم أشاهد مسرحية أسوأ منها. عاقبني الله إن كنت متحاملاً، وهذا دور يلاس الذي عارضت رأيه قد اقتنع بوجهة نظري، واعتبرها هو أيضاً كما رأيته انا.

دُورائت : حكمك سديد، وتشبّثك برأيك في محله. وها قد بينت لك صواب نظرتك.

المركيز : يكفي أن أشير الى قهقهات الضحك المتواصل في أرض القاعة حتى نحكم على هذه الهزلية بأنها سيئة وغير موقّعة.

دُورائت : انت اذاً، ايها المركيز، من هؤلاء الرجال المترفّعين الذين يابون ان يعترفوا بسلامة ذوق المشاهدين الجالسين في القاعة، ولا يقبلون ان يضحكوا اسوةً بالمتشامخين في مقصورتهم الفخمة، ولو كان الموضوع هزلياً طريفاً يستوجب الضحك. لقد صادفت ذلك اليوم، في المسرح أحد أصدقائي وقد أظهر سخافته في تعرّضه لهذا الموضوع بالتجريح ايضاً. لأنه أصغى الى الهزلية بأقصى الانتباه وبرصانة مثالية، وكان الجميع يقهقهون ضاحكين إلا شخصه الكريم الذي لازم العبوس وجهه المتجهم. وكلما ازداد الحاضرون ضحكاً ازداد هو عبوساً، ونظر الى المشاهدين في القاعة نظرة هزاء وازدراء. وهو لا يكفّ عن التردد : « إحكوا، يا جماعة القاعة، اضحكوا ». وكان منظره « هزلية » اخرى، وهو مقطب الحاجبين كتيب حزين. فأصبح سخرية جميع الحاضرين الذين أعلنوا بدون استثناء أنهم لم يشاهدوا مسرحية أجمل ولا أفكه منها. وبيّنوا الفرق الشاسع بين التمثيلية التي يدفعون نصف ليرة ذهبية لمشاهدتها وبين التي يدفعون ربع هذه القيمة لمشاهدة غيرها. وهذا طبعاً عائد الى سلامة الذوق، وسداد الرأي ودقة الملاحظة والحكم على قيمة ما يُقدّم على خشبة المسرح. لا سيما ان بين أهل القاعة في المسرح أقحاح يحقّ لهم أن يصدروا أحكامهم الصائبة على أي عمل فني ويميزوا بين الغث والثمين.

لأنهم لا يتعاملون عن رؤية الروائع، ولا يسعهم ان يتجاهلوا التحرك المصطنع والتبجح السخيف ازاء التحف التي تستحق كل تقدير وثناء.

المركيز : ها قد أصبحت، أيها الفارس، محبباً منصفاً تستحسن نظرة أهل القاعة. وهذا يسرني كثيراً، ولا يمكنني إلا أن أعتبرك من المدافعين المتحمسين عن آرائهم وميولهم كصديق حميم لهم. ها، ها، ها.

دورانت : إضحك بقدر ما يروق لك. فأنا اعرف ان أمير بين الذوق السليم المدرك وفورات الهوس الصادرة عن دماغ محموم كالمركيز مسكاري. لا شيء يزعجني اكثر من هؤلاء الأشخاص الذين لا يتورعون عن اظهار سخافتهم رغم المزايا التي يتحلون بها، هؤلاء الذين يصرون على التحدث عن كل المواضيع بدون أن يتعمقوا فيها ويذمّون ويمتدحون الامور بدون أن يفهموا جوهرها. وعندما يشاهدون لوحة زيتية مثلاً أو يستمعون الى مقطوعة موسيقية يرذلون أو يُعجبون مما ليسوا أهلاً لاستيعابه وتذوق روعته ولا يحجمون عن تشويه الجمال وترفيح القباحة أمام العارفين والخبراء في تقييم الروائع الفنية. ولهؤلاء المتبجحين اقول : « اصمتوا، يا سادة، واستروا عار جهلكم، فليس كل من صف الصواني اضحى حلواني ». ارجوك ايها المركيز، أن تحفظ رأيك في صدرك ولا تعرض قلة معرفتك للملأ خشية ان يفهموا حقيقتك ويبيّنوا لك مستواك.

المركيز : لماذا، ايها الفارس، تخاطبني بهذه اللهجة القاسية ؟
دورانت : ايها المركيز، أنا لا أقصدك شخصياً بهذا الشرح. اني أوجه كلامي الى العديد من الناس الذين يهينون غيرهم بمثل هذه الأحكام الطائشة فأنا لا أوافق سواهم ان أفراد الشعب يتشابهون في الحقارة. فأنا لا أوافق على هذا الاسلوب الخسيس الذي يلحق الغبن بأصحاب الفكر والرأي، كما هو الحال في رفع شأن من ليس اهلاً لأي تقدير، لعل هؤلاء المنصّبين ذواتهم ديّانين يدركون وعن غيهم يرعون.

المركيز : قل لي، ايها الفارس : هل تعتبر ليزان من المثقفين ؟
دورانت : أجل، بدون شك، بل هو واسع الثقافة والإطلاع.
أوراني : هذا أمر لا سبيل الى نكرانه.

المركيز : إسألته رأيه في هزلية « مدرسة الزوجات » وسترين كيف سيجيبك أنها لم تعجبه.

دورانت : يا الهي، كم أدت الثقافة الواسعة الى إفساد الأذواق. لأن كثرة الاضواء تُري الأشياء على غير لونها الحقيقي. وكم أدى تفرد البعض بأرائهم الى تحوير الأمور وازاحتها عن مجراها الطبيعي، لمجرد الافتخار باعتبارهم قادة الفكر واصحاب التوجيه.

أوراني : هذا صحيح. وصاحبنا هذا من هذه الفئة من الناس بدون شك. لأنه يريد أن يكون الأول في ابداء الرأي والوحيد الذي ينتظر منه الحكم على مستوى الأعمال الأدبية. وهو يعتبر أن كل قول يخالف رأيه يرمي الى حجب الأنوار الساطعة. لذا يتخذ موقفاً مناوئاً، لابرار حكمه ولو كان يغير الواقع. وهو مصرّ على وجوب الأخذ برأيه في كل عمل ثقافي. وانا على يقين بأن المؤلف لو عرض عليه مسرحيته قبل أن يقدمها للجُمهور لكان أكد له أنها أروع ما كتب حتى الآن.

المركيز : وما قولك في المركيزة أُرمنت التي تذيع في كل مجالسها أنها فظيعة، وانها شنيعة ولم تستطع إحتمال القذارات التي تحفل بها.

دورانت : انا اقول لك انها تستحق هذا الامتياز الذي ابرزته في سياق موضوعها، وان الكثيرين يبدون سخفاء لدى تبجحهم بأنهم شرفاء اكثر مما هم في الحقيقة. ومع أنها مثقفة، فقد تبعت المثل السيئ، وان اللواتي يفقدن بعض مواهبهنّ من جراء تقدّمهنّ في السن يحاولن استدراك ذلك بما يظهرنه من الحركات المصطنعة والتمسك بأهداب الفضائل للتعويض عما فاتهنّ من الصبا والجمال. وهؤلاء بالذات يبالغن في تصرفاتهنّ اكثر من غيرهن، فيوصلهنّ تشبهنّ بمهارة التمويه الى رؤية قباحات وقذارات لم يسبقهنّ اليها احد. وكم تمسك البعض بأوهامهم الى حدّ تشوبه تعابير لغتنا واستعمال كلمات فارغة خلت من مفهومها، لا سيما في العبارات التي لا يوجد لها رأس ولا ذنب، وتبتعد مسافات عن معناها الأصلي.

أوراني : لم اتصوّر قبلاً، ايها الفارس، انك بلغت هذه الدرجة من الهوس.

المركيز : لقد انتقلت، ايها الفارس، من ذم المسرحية، الى القدح بمن حكم عليها بأنها سيئة.

دورانت : كلا ثم كلا. انا أصرّ على القول أن هذه السيدة قد أخطأت في إبداء اشمئزازها.

إيليز : مهلك، يا سيدي الفارس، ربّما هنا سيدات غيرها يرين رأيها بالذات. دورانت : أعتقد أن هذا ليس رأيك الأكيد عن اقتناع بما شاهدت، وأنك عندما حضرت هذه المسرحية كنت ...

إيليز : هذا صحيح. لكنني غيّرت رأيي. وهذه السيدة عرفت كيف تدعم حكمها بالبراهين المقنعة الى حدّ أنها استمالتني الى وجهة نظرها.

دورانت (لكلامين) : ارجو منك المعذرة، يا سيدتي، فأنا مستعدّ لنفي كل ما صرّحت به اكراماً لشخصك الغالي، اذا كان هذا يرضيك.

كلامين : انا لا أريد ان تسايرني، بل أن تظل الى جانب الحق. لأنني متشبّثة بقولي ان هذه الهزلية لا تستحق اي دفاع عن صلاحها وجودتها، وانا شخصياً لا يسعني أن أعتبرها ...

أوراني : ها هوذا مؤلف المسرحية السيد ليزيداس. فقد جاء الى هنا لخوض الجدل القائم في موضوع تمثليته. فأرجوك، يا سيدي ليزيداس، أن تجلس على هذا المقعد بجوارنا لتشارك في المناقشة.

المشهد السادس

ليزيداس ودورنت والمركيز وإيليز، وأوراني وكليمين.

ليزيداس : لقد وصلت متأخراً، يا سيدتي، اذ كان عليّ ان اقرأ المسرحية في منزل حضرة المركيزة التي كملتك عنها. وما انهال على هذه التمثيلية من اطراء ومديح اضطرني الى البقاء هناك ساعة اضافية أكثر مما كنت اتوقعه.

إيليز : لا بد من أن يكون للثناء سحر خاص في نظر المؤلف لاحتجازه هكذا.
أوراني : تفضّل اجلس، يا سيدي ليزيداس، وستقرأ مسرحيتك بعد تناولنا طعام
العشاء.

ليزيداس : جميع من كانوا هناك وعدوني بمشاهدة التمثيلية، وهم على أتمّ
الاستعداد للقيام بما يترتّب عليهم من واجبات لمساندتها.

أوراني : لا أشك بذلك مطلقاً. ولكنني أرجوك مرة ثانية أن تفضّل وتجلس.
نحن الآن هنا للقيام بمهمّة يسرّني أن تؤديها شخصياً بعمق ودقة.
ليزيداس : اسمحي لي، يا سيدتي، بأن ألفت انتباهك الى أن معظم
المقصورات قد حُجرت.

أوراني : هذا حسن. على كل حال، حضرت لأنني بحاجة اليك والجميع هنا
يخالفون رأبي.

إيليز (لأوراني وهي تشير الى دورالت) : كان هذا الرجل يحبّد مسرحيتك. لكنه
حين علم بأن هذه السيدة (تشير الى كليمين) تخالفه في الرأي، انحاز اليها
وأصبح لزاماً عليك ان تبحث عن نجدة من لدن سواه.
كلامين : لا، لا اريد ان يمتنع عن مجاملة السيدة ابنة عمك، وأن يدع ذهنه
يعارض قلبه.

دورالت : اسمحي لي، يا سيدتي، أن أستجمع شجاعتي للدفاع عن نفسي.
أوراني : أولاً، علينا أن نعرف ما هو رأيك، يا سيدي ليزيداس.
ليزيداس : في أي موضوع، يا سيدتي ؟
أوراني : في موضوع « مدرسة الزوجات ».
ليزيداس : انه جيد جداً.

دورالت : وماذا يعني لك ما ورد فيها إجمالاً ؟
ليزيداس : لا شيء اقوله بنوع خاص في هذا المجال. وأنتم تعلمون أن علينا،
نحن المؤلفين أن نتبادل المناقشة في موضوع مسرحياتنا بجدّ ونزاهة.
دورالت : والآن، ما رأيك بهذه الهزلية ؟
ليزيداس : رأبي أنا ؟

أوراني : أجل. قل لنا، من فضلك، ما هو رأيك انت المعروف بنزاهتك وحيادك.

دورانت : رأيك الذي نقدره ونحترمه.

ليزيداس : طبعاً، لماذا لا أبديه ؟ أوليست أروع مسرحية في الدنيا ؟

دورانت : ها، ها. أنت عفريت سيّئ النية، يا سيدي ليزيداس. لأنك لا تفصح بصراحة عن رأيك الصادق.

ليزيداس : أعتذر اذاً عن قول أية كلمة.

دورانت : يا الهي. انا أعرفك جيداً. فلا تحاول أن تحجب عتاً رأيك.

ليزيداس : رأيي أنا، يا سيدي ؟

دورانت : ألاحظ أنك تُثني على هذه المسرحية من قبيل اللياقة والكياسة فقط. لأنك في سرّك لا بد من أن تجدها رديئة كما هو حال الكثيرين ممّن شاهدوها.

ليزيداس : ها، ها.

دورانت : إعرّف بأن هذه الهزلية عمل مُبتدّل لا يستحق الذكر.

ليزيداس : انا أقرّ بأنها لم تمل تأييد العارفين بأصول الفنّ.

المركيز : الآن سمعت الحقيقة، ايها الفارس، وقبضت ثمن تنكيتك. ها، ها.

دورانت : عليك أن ترفع رأسك، ايها المركيز. فقد أصبت الهدف بعينه.

المركيز : رأيت كيف نستميل العلماء الى ناحيتنا.

دورانت : هذا صحيح. ولحكم السيد ليزيداس وزن لا يستهان به. وهو يودّ

أن أسلم برأيه. وبما أن لديّ الجرأة الكافية للدفاع عن نفسي (يشير الى كلامين)

إزاء إعتراض هذه السيدة على ميولي، لذا لن يزي غضاضة في محاربة مشاربه

الشخصية ذاتها.

إيليز : هل اصبح الجميع ضدك، من هذه السيدة الى حضرة المركيز، الى

السيد ليزيداس، وأنت لا تزال مصمّماً على مقاومتهم جميعاً ؟ تَبّاً لك. هذا

غير مأنوس من شخص مدرك نظيرك.

كلامين : هذا الأمر حقاً يضايقني، لا سيما عندما أجد أشخاصاً ممتازين

يصرّون على الدفاع عن حماقات هذه المسرحية.

المركيز : صدّقيني يا سيدتي، انها سيئة من مطلعها الى خاتمتها.

دورانت : هذا لا يستبعد قوله، ايها المركيز. فلا أسهل من الوصول الى النتيجة الحاسمة كما جرى الآن. ولا ارى ان هناك ما يناقض صواب قرارك السديد.

المركيز : بدمتي، أوكد لكم أن سائر المسرحيين الذين شاهدوا هذه التمثيلية لم يوفروا تنديداً إلا رشقوها به.

دورانت : لم يعد لي من كلام أقوله. فالحق الى جانبك، ايها المركيز بما ان سائر المسرحيين يصفونها بأحطّ النعوت، فما عليّ إلا أن اصدّقهم وانحاز الى رأيهم. لأنهم جميعاً اشخاص منورون يتكلمون بدون أن يكون لهم اي غرض من وراء ذلك. أجل لم يعد لي من كلام أقوله. وهكذا أسلم بصواب رأيكم السديد.

كلامين : إن سلّمت أو لم تسلّم، انا واثقة بأنك لن تتمكّن من إقناعي بوجوب تحملي البذاءات والقذارات التي تعجّ بها هذه التمثيلية. ولا القبول بالذمّ والتحقير الذي توجّهه الى النساء بوجه عام.

أوراني : انا لا يسعني أن أنفعل ولا أن أحفل بكل ما يقال في هذه المسرحية. لأن هذا النوع من الدم ينهال رأساً على الاخلاق ولا يلحق بالأشخاص المقصودين إلا انعكاساً بصورة غير مباشرة. فلا نقبل أن ينوبنا اي نقد بشكل من الأشكال. وكل ما يدور في المسرحيات من هجوم علينا، يجب أن لا نقابله باستياء وندب من جرّاءه على كل الناس. لأننا مدعوون الى عدم رؤية نقائص الغير في ذواتنا، وإلا انتقصنا من صفاتنا ومزايانا وحملنا سوانا على الظن بأن في طباعنا ما ليس له في الحقيقة من وجود ابداً.

كلامين : انا لا أتكلّم عن هذه النقائص بالنسبة إلى ما قد ينعكس عليّ. لأنني واثقة ببعدي كل البعد عن أن أشبه إحدى هؤلاء الزوجات اللواتي دار الكلام عليهن فيها.

إيليز : بدون شك، يا سيدتي، لا أحد يبحث عن شخصك بين نماذج تلك النساء المبتذلة. لأنك لا تنتمين اليها بتاتاً.

اوراني (لكلامين) : لذلك أنا لم أقل، يا سيدتي، اية عبارة تمسك بالهجاء الذي طال اشخاص هذه المسرحية وقد ظلوا ضمن نطاق العموميات.
 كلامين : لا شك عندي في ذلك، يا سيدتي. والآن لننتقل الى فصل آخر. انا لا أعرف كيف تتقبلين الاهانات الموجهة الى جنسنا اللطيف في بعض مقاطع المسرحية. من جهتي، أنا أعترف لك بأن غضبي الهائل لا حد له بالنسبة الى المؤلف الذي دعانا أغبياء.

أوراني : ألا ترين ان المتكلمة كانت بلهاء حمقاء لا تعرف ماذا تقول ؟
 دورانت : ثم ألا تعرفين أن لا مفعول لإهانة العشاق، كما أن ضرب الحبيب حلو كالزبيب، حسبما يقال ؟ وأن هناك عشاقاً يثورون لأدنى مشكلة، كما أن هناك محبين يتحملون بصبر ولذة كل ما يصدر عن الحبيب من مساوئ ؟ ففي هذا المجال نجد أغرب الكلمات تتخذ معاني متباينة متناقضة احياناً، تدل في أغلب الحالات على التحبب والتودد رغم غلاظة مدلولها، وتنزل كالعسل على قلوب المحبين.

إيليز : قل ما تشاء، فأنا لن أقوى على تحمّل مواقف « الحساء — والحلوى الغارقة بالزبدة » التي تحدّثت السيدة عنها منذ هنيهة.
 المركيز : اجل موقف « الحلوى الغارقة بالزبدة » الذي أبديت عنه ملاحظتي. كم أنا مدين لسيدتي على تذكيرها أيّاي بهذا الموقف ذاته. هل في مقاطعة النورمندي تفاح يكفي لإعداد هذه « الحلوى الغارقة بالزبدة » ؟ أجل « الحلوى الغارقة بالزبدة » ؟

دورانت : وماذا تقصد من ترديد ذكر هذه الحلوى ؟
 المركيز : لا شيء غير الحلوى الغارقة في الزبدة بمعناها المعروف، ايها الفارس.

دورانت : لا بد من أن تقصد بها أمراً آخر.

المركيز : لا شيء ابداً غير الحلوى ...

دورانت : برهن لنا على صحة قولك.

المركيز : الحلوى الغارقة في الزبدة لا تعني سوى هذا التعبير الصريح.
 أوراني : لا بد من تفسير فكرته، على ما أرى.

المركيز : أقول الحلوى « الغارقة في الزبدة » يا سيدتي، ولا أعني غير الحلوى فقط.

أوراني : وماذا تقصد من ترديد ذكرها بشكل غير مألوف ؟
المركيز : أؤكد لك أنني لا أعني سوى الحلوى بحد ذاتها.
أوراني : إذاً لا شرح لديك.

إيليز : سيدي المركيز يعرف ماذا يقول. وهو قد أفحمتكم جميعاً بأسلوبه العذب الرقيق. والآن أسأل السيد ليزيداس أن يكمل النقاش، وأن يختمه بطريقة مرضية.

ليزيداس : ليس من عادتي أن أنهال باللوم على أحد، وأنا سمح للغاية في ما يخص تأليف سواي. مع ذلك بدون أن أقصد إزعاج صديقي، حضرة الفارس الذي يشهد بمقدرة المؤلف، لا بد لي من الإقرار بأن هذا النوع من الهزليات ليس منزهاً عن الأخطاء مطلقاً. وان هناك فرقاً كبيراً بين التافه والرائع من المسرحيات الرصينة. مع ذلك، أرى أن كل الناس يريدون أن يدلوا بدلائهم في هذه الأيام، والكل يسعون الى ذلك. لذا نجد فراغاً مخيفاً في هذه المؤلفات عندما تطال الحماقات فيها كل أهالي باريس. ولا أكنتم عنكم ان قلبي يقطر دماً عندما ألمس لمس اليد أن هذا الاسلوب المعيب شمل كل انحاء فرنسا.

كلامين : فعلاً، نرى أذواق الناس فاسدة بشكل مريع في هذا الموضوع بنوع خاص، لأن هذا العصر يتخبّط في الرذيلة بصورة رهيبة.
إيليز : هذا تعبير موفق « يتخبّط في الرذيلة ». هل هو من ابتكارك، يا سيدتي ؟

كلامين : نعم.

إيليز : لا شك عندي أبداً بمقدرتك.

دورانت : هل تعتقد، يا سيدي ليزيداس، ان كل الفكر وكل الجمال موجودان فقط في القصائد الرصينة، وان المسرحيات الهزلية ليست إلا تفاهات وسخافات لا تستحق الذكر والثناء ؟

أوراني : هذا ليس رأيي مطلقاً. لأن المأساة حقاً رائعة عندما يكون تنسيقها

موفقاً. غير أن للهزلية مذاقاً خاصاً وسحراً جذاباً، وأعتقد أن كلاً منها ليس اسهل ولا أقل قيمة من سواها بين الوان المسرحيات.

دورائت : بدون شك، يا سيدتي، لا سيما عندما تضيفين ميزة بارزة الى مصاعب الهزلية ربما تبلغين الحد الأقصى من التعبير. اذ أجد من الأسهل ان تتقبّل دافع العواطف السامية، وأن نرفض حجة الحظ العاثر، ونتهم المصير البائس ونبخس حقّ التفوّق، من ان نلج الى صلب سخافة الانسان الحقيقير، ونحصر نقائص البشر جميعها في موضوع المسرحية. عندما ترسمين صور الأبطال تبتكرين ما تشائين من المآثر، لأن هذه الرسوم التي تُبتدع عندما نكون مرتاحين لا يمكنها ان تتشابه بل تترك الخيال على سجيته يخلق في سماء العبقرية فيصل غالباً الى النبوغ، وهو يبحث عن جوهر الحقيقة. هكذا، عندما نحاول ان نرسم الناس لا بدّ لنا من أن نظهرهم على سجيّتهم. مع أننا في اعماقنا نبحت عن أبرز صور تشابه الواقع على علاته. وبهذه الطريقة لا نصل الى النتيجة المنشودة. لأن رسومنا اذ ذاك لا تنطبق على إنسان جيلنا كما كنا نوّد ان نصوّره. وبكلمة وجيزة، يكفي، لكي لا يقع علينا أي لوم، ان نسّمى الأمور في المسرحيات الرصينة، بأسمائها الحقيقية، ونكتب بأسلوب واضح ينمّ عن ذوق سليم ونهج صحيح. لكن هذا لا يكفي اذ لا بدّ لنا من أن نُدخل المزاح والمرح بنوع أخص في صلب الهزليات، لأن التوصل الى اضحاح المشاهدين المدركين المنزهين فنّ قائم بذاته.

كلامين : اعتقد أنني من هؤلاء المدركين المنزهين. مع ذلك، لم أجد كلمة واحدة تستدعي الضحك الفكاهي في كل ما رأيته من هذه الهزلية.

المركيز : وانا لم أجد ما ذهبت خصيصاً لأجله.

دورائت : من ناحيتك، ايها المركيز، لا أستغرب عدم عثورك على ما تبحث عنه في أعماق كيانك من عاصفة التهريج الرخيص.

ليزيداس : في الواقع، يا سيدي، ان ما تلاقيه اليوم، لا يساوي كثيراً، وجميع السخریات اضحت تافهة لا تستدعي حتى الابتسام.

دورائت : اما البلاط الملكي فلم يكن من رأيك في أي شكل من الأشكال.
ليزيداس : البلاط، يا سيدي ...

دورائت : أكمل، يا سيدي ليزيداس، فإني ألاحظ من قولك أن البلاط لا يدرك هذه النقاط الهامة. وهذه هي حجتكم الدائمة أنتم معشر الكتّاب حين لا تنجح تأليفكم أحياناً. فتقومون انحراف أخلاق العصر وتحامله وقلة المعرفة المتفشية بين أفراد الحاشية الملكية. ألا اعلم، يا سيدي ليزيداس، ان لهذه الحاشية عيوناً تبصر ما يفعله غيرها، وانها تفهم خفايا الأمور وتلاحظ ادق التوريات والاستعارات والتلميحات. ولا تنس ان حكم هذه الحاشية بالذات هو المعول عليه لأنه مقياس نجاح التمثيليات وإخفاها، اذ تعلم جيداً ان الذوق السليم هو اساس التوفيق في كل عمل ادبي، وان فنّ النجاح يدين لمن يعرف كيف يمسك بناصيته ويستخره لأهدافه، فيحظى بإعجاب الأذكاء والبسطاء من المشاهدين ويعرف كيف يقارن بين الغث والثمين ويفرق بين البديع والسخيف بصرف النظر عن النوايا المبيّنة والتصميمات المسبقة في الحكم بالنسبة الى شتى المواضيع.

أوراني : صحيح أنك من الذين تقع أنظارهم يوماً على مختلف الأعمال المسرحية، فاكنتست في حقلها خبرة لا يستهان بها، وبإمكانك ان تميّز بجلاء ووضوح سخرية موفقة في صلب الحديث، وأخرى تأتي سمجة كرقعة في غير محلها.

دورائت : لا يُنكر ان في الحاشية اشخاصاً ليسوا أهلاً لأخذهم بعين الاعتبار، وأنا أول من يجابه استنتاجاتهم الغامضة المريبة. لكن علينا أن نعرف بأن معظمهم من ذوي الثقافة العالية والفتنة الخارقة ويمكنهم أن يقدرّوا القرائح المبدعة والأقلام الخلاقة في سماء العبقرية. لذا، من الظلم ان ندين طول باعهم وإدراكهم قيمة نتاج الأذهان اللامعة في كل مجال، لا سيما في الهزليات وما تتضمّنه من مهارات في فنّ إضحاك جماهير المشاهدين مما تبرزه من رقة التعبير ونعومة التلميح وذوق رفيع في إيراد النكات وخاصة « المدهنة » وتشريح طباع اشخاصهم وتحليل عواطفهم وميولهم وافكارهم وتصرفاتهم حسب مصالحهم الذاتية ومحاربتهم كل ما ينسجم وروح الخير أو الشر الذي يكمن في أعماق كيانهم اثناء كفاحهم لنيل رضى المستمعين اليهم سواءً في مجالي النثر والشعر البليغين.

ليزيداس : لا مفرّ لنا، يا سيدي، من الإقرار بأن موليار موفق في جميع تأليفه، كما هو ناجح في تمثيل أشخاصه على أكمل وجه. وسرّ بروزه في هذا الميدان يعود الى من يرعاه ويعطف على عمله المسرحي ويشجع كتاباته اللاذعة في بعض الأحيان. ولكن علينا أيضاً أن نعرف أنه، مع كل ما يوجد به عليه جمهوره من تحبب وتشجيع أنه لا يخلو من نقائص ظاهرة للعيان، لأن الانسان لا يمكنه بلوغ درجة الكمال.

أوراني : هذا حقاً كلام غريب يصدر عنكم يا معشر الشعراء، اذ تمدجون ظواهر المسرحيات وتهجون حتى جوهر الناجحة منها وإن تسابق الجمهور الى مشاهدتها والتمتع بنكهة انتقاداتها، ولا تنبسون بنت شفة في موضوع المسرحيات التي يقطعها هذا الجمهور عندما لا يستسيغها. وهكذا تحتقرون بعضها وتمجدون غيرها لأسباب لا تتوصل الى ادراك ما يحملكم على التصرف هكذا.

دورانت : انت تعرفين جيداً ان كرم الاخلاق يوجب مناصرة المنكوبين. أوراني : على كل حال أرجوك، يا سيدي ليزيداس، ان تدلّني على النقائص التي لا أتمكّن من الاهتداء اليها.

ليزيداس : ان من تعمّق في مطالعة كتابات ارستطاليس وهوراسيوس بإمعان، يا سيدتي، يرى ان هذه المسرحية لا تنطبق ابداً على جميع قواعد الفن. أوراني : أؤكد لك أنني لست من المدمنين على قراءة تأليف هؤلاء الكتاب، وأنا لست من المتمرسين بقواعد الفن.

دورانت : انت اذاً من جماعة الذين يتمسكون بقواعدهم الخاصة، ويؤيدون الجهلة ويربكوننا كل يوم بوجهات نظرهم العرجاء. من يسمعك تتكلمين يظن أنك تعتبرين قواعد الفن من أغمض أسرار الكون، مع أنها ليست أكثر من سلسلة ترتيبات سهلة التطبيق نظّمها الإدراك المنفتح والذوق السليم لإتباعها في نظم مختلف أنواع الشعر، وهذا الذوق لا يزال يطبقها اليوم كما فعل في الماضي بدون اللجوء الى مساعدة هوراسيوس أو أرستطاليس. أودّ أن أعرف ما اذا كانت أولى قواعد المسرحيات هي العمل على نيل رضى المشاهدين والسير بهم على الدرب القويم الموصل الى هدف المؤلف في كتابة

مسرحياته. فهل تريدين أن لا يبدي الجمهور إعجابه بما يلائم مفاهيمه ورغباته وأن لا يلاقي كل منهم متعة في ابداء حكمه على ما يشاهده من خير أو شر، من نجاح أو اخفاق بالنسبة الى مقاييس ذوقه وادراكه ؟
أوراني : لقد لاحظت أمراً هاماً على هؤلاء السادة المتفلسفين، ألا وهو أنهم يبشرون أكثر من سواهم بالقواعد، لأنهم يعرفونها أكثر من سواهم، وهم ذواتهم يكتبون الهزليات التي لا يستسيغها أحد.

دورانت : هذا ما يدعو، يا سيدتي، الى عدم الأخذ بما يقوم فيما بينهم من مشاحنات في غاية الغموض والابهام. لأن المسرحيات التي تحترم القواعد لا تُرضي كالتي لا تتقيد بها، وتنال إعجاب الغالبية الساحقة من الجماهير. علينا اذاً ان ننبذ هذه المزايدات التي ترمي الى التحكّم بذوق الجمهور. علينا ان نحبذ الهزلية حسب ما تتركه من أثر في أعماق نفوسنا وكم تهز مشاعرنا، وان لا نركن الى الحجج الواهية التي تحول دون تمتعنا بما تدخله الى قلوبنا من بهجة وسرور.

أوراني : عندما أشاهد هزلية أنتبه الى الأمور التي تحرك إحساسي وعندما تعجبني لا أتساءل إن كنت مخطئة وإن كانت قواعد ارسططاليس تحرم عليّ الضحك والاستمتاع.

دورانت : هذا تماماً ينطبق على من يستطيب مرّاً لذيق الطعم ويريد أن يتفحص ما إذا كان هذا المرق ينطبق على قواعد كتاب الطباخ الماهر الذي طهاه.

أوراني : هذا ايضاً صحيح. وأنا أعجب بنعومة بعض الأشخاص في مسائل علينا أن نشعر بوجودتها في أعماق نفوسنا.

دورانت : الحق الى جانبك، يا سيدتي، اذا وجدت مثل هذه الصفات غريبة عنّا. اذ اننا في هذا الحال نكون مضطرين الى عدم تصديق إحساسنا. وهكذا تستبدد الأمور بمشاعرنا ولا نجرؤ ان نحكم على أية بادرة بأنها جيدة بدون اذن من حضرات السادة الخبراء.

ليزيداس : اخيراً، يا سيدي، أرى ان كل حججك قائمة على إعجابك بهزلية « مدرسة الزوجات » ولا يهّمك بتاتاً إن كانت خاضعة للقواعد، إلا اذا ...

دورانت : اسمح لي، يا سيدي، ليزيداس، بأن لا أوافقك على هذا القول. لقد أعلنت أن الفنّ المبدع غايته الأولى نيل الإعجاب. وبما أن هذه الهزلية قد أعجبت من كُتبتْ وقُدّمت لهم، لا يهمني الباقي ابداً. لكنني، مع ذلك، أؤكد لك أنها لا تخالف اية قاعدة من القواعد التي تكلمت انت عنها. لقد قرأتها، والحمدلله، كما قرأها غيري، وأنا مستعد لأن اثبت لك ان هذه المسرحية خاضعة أكثر من سواها للأصول المعروفة والمتبعة.

إيليز : تشجّع اذاً، يا سيدي ليزيداس، لأننا سنخسر اذا تراجعت عن رأيك. **ليزيداس :** ماذا تقولين ؟ بربك، أين المقدّمة والخاتمة والحبكة ؟ ...

دورانت : يا سيدي ليزيداس، انت ترهقنا بكلماتك الرثانة. ارجوك أن لا تعرض أماننا معلوماتك الواسعة. عليك أن تظل انساناً متواضعاً في حديثك، وان تدع جانباً لهجة آلهة الفنّ، وأن تتكلم لغة يفهما جميع البشر. هل تظنّ ان غموض هيكلية المسرحية هي التي تخلع عليها الأبهة والفخامة ؟ أو ليس الأولى بنا أن نتكلم عن شرح المسائل وبسط الأحداث واستخلاص العبر ؟ **ليزيداس :** لقد ذكرت أقسام التمثيلية كما هو مصطلح عليها. لكن، بما أن آذاننا لم تعود سماع هذه التسميات، سأعدها لك بطريقة أخرى، وارجوك أن تردّ إيجابياً على ثلاث أو أربع نقاط سأبسطها الآن أمامك. هل يمكن قبول مسرحية يخالف موضوعها عنوانها كهزلية أو غيرها ؟ اذ ان الاسم الشعري في كل مأساة يشقّ من كلمة مصطلح عليها تدل على نوعية العمل لتبرز طبيعة هذا الشعر في مستوى الهدف المبيّن في المسرحية. وفي هذه الهزلية لا وجود لأي عمل منهجي ما دام أساس أحداثها يرتكز على السرد الذي تقوم به أغني او يقوم به حبيها هوراس.

المركيز : لقد أصبت، ايها الفارس الشجاع.

كلامين : هذه بادرة هامة من الناحية الثقافية، تنحصر في التركيز على نعومة الأمور المعالجة.

ليزيداس : هل ترى في كل ما نناقشه هنا سوى مسألة ثقافية اكثر من بضع كلمات تثير ضحكك جميع المشاهدين ولا سيما عبارة « مجيء الأطفال الى هذه الدنيا عن طريق الأذن » ؟

كلامين : هذا استفهام ممتاز.
إيليز : ماذا تقولين ؟
ليزידاس : هناك مشهد الخادم والخدمة داخل المنزل. ألا تلاحظون أنه طويل
ممل ومبطن بالمعاني الشائكة ؟
المركيز : هذا صحيح.
كلامين : طبعاً، بدون شك.
إيليز : الحق الى جانبه.
ليزيداس : ثم ألا يقدم ارنولف امواله لهوراس بوفرة وسهولة ؟ وبما أنه
الشخص السخيف في المسرحية كان من المفروض ان يقوم بدور الرجل
الشهم السموح.
المركيز : حسناً. هذه ملاحظة تؤخذ بعين الاعتبار.
كلامين : بل تستحق الاعجاب.
إيليز : لأنها مذهشة.
ليزيداس : والموعظة القائمة على « حِكْمَ الزواج » ألا تجدونها مبتذلة تخدش
حرمة أبسط قواعد الحياة الزوجية الكريمة ؟
المركيز : هذا قول سيدي.
كلامين : أجل، هكذا علينا أن نتكلم جميعاً.
إيليز : لا أجد أروع من هذه المصارحة.
ليزيداس : ثم هناك السيد دي لاسوش الذي يبدو كأنه رجل مثقف وتظهر
رصانته في كثير من المواقف الحرجة. ألا تلاحظون أنه كان مهرجاً سخيفاً
في المشهد الخامس بنوع خاص، عندما شرح للفتاة أغني عنف هيامه بها إذ
يحدجها بنظراته الغريبة، ويُسمعها تنهداته المتذلة ويذرف امامها دموعه
الكاذبة التي أثارت قهقهات جميع الحاضرين.
المركيز : لعمرى، هذا منتهى الابداع.
كلامين : بل هذا هو أغرب الغرائب.
إيليز : ليحيى السيد ليزيداس.
ليزيداس : اني أهمل مئة ناحية أخرى خوفاً من أن أبدو مملاً.

المركيز : بدمتي، أيها الفارس، لم تفلح في استلحاق نفسك.
دورانت : لا بد لنا من تفحص القضية من جميع نواحيها.
المركيز : ها قد عثرت على الرجل الذي تبحث عنه.
دورانت : ربما.

المركيز : أجب، هيا أجنبي بكل صراحة.
دورانت : وبكل طيبة خاطر، أقول أنه ...
المركيز : أرجوك أن تكمل ردك.
دورانت : دعني إذا اتصرف. إذا ...

المركيز : وربّي، انا أتحدّك كي توضح جوابك.
دورانت : طبعاً، وان لا تتوقّف عن النطق.
كلامين : أرجوك ان تصغي الي حججه الدامغة.

دورانت : أولاً، ليس صحيحاً تصريحنا بأن المسرحية برمتها تعتمد على السرد. اذ فيها الكثير من الحركة حسب طبيعة الموضوع والنصّ. وبما أن هذا السرد موجّه في معظمه ببراءة متناهية الى الشخص المقصود الذي يدخل هنا في اغلب المشاهد، بفوضى تسلّي الحاضرين وتأخذ في ايراد كل خبر يخصّ جميع الأبعاد، إذ يصبح لزاماً تدارك وقوع الشر الذي يُخشى حدوثه.

أوراني : من جهتي انا ارى جمال الموضوع في هزلية « مدرسة الزوجات » يتجلّى في المسارات المستمرّة. وهذا يبدو لي مسلياً للغاية. لأن الرجل المثقف الذي يدرك كل براءة حبيبتة، ويظهر عداؤه لمزاحمه الطائش، لا يتوصّل الى تجنّب خيبة آماله.

المركيز : هذا امر تافه، تافه جداً.

كلامين : وجوابك هزيل، هزيل للغاية.

إيليز : وحججه باهتة غير مقبولة بتاتاً.

دورانت : أما موضوع « مجيء الأطفال عن طريق الأذن »، فلا ينال الاعجاب إلّا بعد تعليق ارنولف عليه. ولم يقصد المؤلف ان يلقي هنا كلمة مرضية بل أن يبيّن طبع العاشق ويرسم بذاءته بصورة أوضح. لأنه يورد حماقته المبتذلة على لسان أغني كأنها أروع تعبير يسرّها ابرازه بشكل غير معقول.

المركيز : هذا جواب غير ملائم وفي غير محله.

كلامين : لا يُرضي ولا يُقنع.

إيليز : لأنه لا معنى له البتة.

دُورانت : اما المال الذي يوجد به بدون حساب، فضلاً عن رسالة حبيته المخلصة فذلك يضفي على تصرفه ضمانة كافية بأنه مرغوب. لأن الانسان لا يسعه ان يكون جدياً في موقف معين وسخيفاً في موقف آخر. وفي مشهد « آلان وجورجيت » داخل المنزل، وقد اعتبره البعض طويلاً بيعث على الضجر، لا شك في أن له هدفاً. وبما أن ارنولف قد ضُبط متلبساً بجرمه أثناء سفره، ونظراً الى ثبوت براءة معشوقته، وقف طويلاً عند بابها من جراء رفض الخادم والخادمة فتح هذا الباب وعدم السماح له بالدخول، مع أنه هو الذي اتخذ جميع هذه التدابير لمنع خصمه من تخطي عتبة المنزل.

المركيز : لا قيمة لهذه الحجج الواهية.

كلامين : اجل هذه كلها أعدار هزيلة.

إيليز : تستدعي الشفقة.

دُورانت : أما الخطاب الأخلاقي الذي تدعوه موعظة، فلا شك أنه دليل على صدوره عن رجل وقور لا يبغي تخديش أي شعور كما تشير أنت اليه. ولا شك أيضاً في أن كلمات « جحيم، وخلقين الأبالسة » تخفف من مبالغة ارنولف إن لجأ اليها للكشف عن براءة مخاطبته. أما المفاجأة الغرامية الواردة في المشهد الخامس الذي اعتبرها البعض مهينة ومضحكة للغاية، فأردّ عليها اني اريد أن أعلم إن كانت موجهة الى العشاق بقصد ذمهم، وإن لم يكن طبيعياً صدورها عن أشخاص عقلاء إتخذوها وسيلة كسواهم في مثل هذه المواقف الحرجة ؟ ...

المركيز : الأفضل لك، ايها الفارس، ان تلازم الصمت التام.

دُورانت : حسن جداً. لماذا لا ننظر الى انفسنا ونفكر في ما يسعنا أن نقوله عندما نقع في شرك الهوى ؟

المركيز : انا لا استطيع ان أصغي الى ما تقوله انت فقط.

دُورانت : استمع اليّ، اذا شئت، حتى في موضوع شقاء الهيام ...

المركيز (يدمدم) : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

دُورائت : ما هذا ؟

المركيز : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

دُورائت : لست أدري اذا ...

المركيز : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

أوراني : يبدو لي أنك ...

المركيز : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

أوراني : تجري الآن امور مسلية في شجاركما هكذا. فأنا ارى أن المؤلف يستطيع أن يكتب هزلية صغيرة، وأن تأتي هزليته لا بأس بها في أعقاب « مدرسة الزوجات ».

دُورائت : الحق الى جانبك.

المركيز : بدمتي، ايها الفارس، ستقوم فيها بدور لن يكون سمجاً بالنسبة اليك.

دُورائت : هذا صحيح، ايها المركيز.

كلامين : أما أنا فأتمنى لك النجاح، على أن تعالج الموضوع كما جرى في الواقع.

إيليز : وانا اقوم بدوري بكل طيبة خاطر.

ليزيداس : وانا كذلك اظن أنني لن أرفض الدور الذي سيسند اليّ.

أوراني : بما أن السرور والرضى سيسملنا كلنا، ايها الفارس، عليك أن تكتب مذكرة بكل ما قلناه، وتقدمها الى موليار الذي تعرفه حق المعرفة، فيطلع هكذا على ما يترتب عليه أن يتقيّد به في مسرحياته المقبلة.

كلامين : اظنّه لن يتخفظ، لأن ذلك لن يكون على سبيل مجاملته.

أوراني : ابدأ، ابدأ. أنا أعرف مزاجه، وهو من جهته لن يقبل بأن تُنتقد مسرحياته على هذه الصورة، لا سيما اذا كان هذا النقد مصدره المشاهدون.

دُورائت : اجل، لكن أية عبرة سيلاقني في تعنته ؟ انه لن يرى في اعتراضاتنا كلاماً لا عن الزواج ولا عن عرفان الجميل، ولا أرى كيف يسعنا أن نختم هذه المناقشة الحامية.

أوراني : لا بد لنا من أن نتخيّل حادثاً مثيراً، لوضع حد لهذه الخلافات.

المشهد السابع

كالوبان وليزيداس ودورانت والمركيز
وكلامين وإيليز وأوراني.

كالوبان : المائدة جاهزة، يا سيدتي.
دورانت : هذا ما كنا نحتاج اليه لوضع آخر لمسات الخاتمة التي نبحث
عنها، ولا يمكننا أن نجد وسيلة طبيعية أكثر منها. اذ سيتسنى لنا أن نتناقش
بكل حرّية، وبدون أن يضطر أحدنا الى الاستسلام والتسليم بفوز خصمه. وإذا
بخادم صغير يأتي ليقول لنا : ان المائدة جاهزة. فهياً بنا ننهض، ليتناول كل
منّا طعام عشائه بسلام.
أوراني : حقاً، لا سبيل الى إنهاء انتقاد الهزلية بطريقة افضل من هذه، إذ علينا
ان نظلّ دوماً أصدقاء.

(تَمَّت)

إِرْتِجَالِيَّةٌ فِرْسَاي

أشخاص المسرحية

مركيز سخيف.	:	موليار
رجل رصين.	:	بريكور
مركيز سخيف.	:	لاكرانج
شاعر.	:	دي كروازي
مركيز غضوب.	:	لانورتيار
خادم.	:	بيجار
مركيزة متصنعة.	:	الآنسة دي بازك
مفكرة متعجبة.	:	الآنسة دي بري
هاجية مثقفة.	:	الآنسة موليار
لثيمة ناعمة الملمس.	:	الآنسة دي كروازي
خادمة متفلسفة.	:	الآنسة هرفي

الأحداث تجري في فرساي داخل قاعة المسرح.

فصل واحد

المشهد الأول

موليار، وبريكور، ولاكرانج، ودي كروازي، والآنسة دي بازك، والآنسة
بيجار، والآنسة دي بري، والآنسة موليار، والآنسة دي كروازي، والآنسة
هرفي.

موليار : (وحده يتحدث الى رفاقه الذين لا يزالون في مؤخرة المسرح).
هيا، يا سادتي وسيداتي، ما لي أراكم تهزأون بظرفكم ولا تريدون أن تأتوا
جميعكم الى هنا ؟ حصد الطاعون كل الأغبياء رُدَّ عليّ، يا سيدي بريكور.
بريكور : ماذا تريد ؟
موليار : يا سيدي لاكرانج.
لاكرانج : ماذا تقول ؟
دي كروازي : من فضلك.
موليار : أيتها الآنسة دي بازك.
الآنسة دي بازك : قل لي، ماذا تريد ؟
موليار : ايتها الآنسة بيجار.
بيجار : ما الأمر ؟
موليار : ايتها الآنسة دي بري.
الآنسة دي بري : ماذا تريد ؟
موليار : ايتها الآنسة دي كروازي.

الآنسة دي كروازي : ماذا ترغب ؟

موليار : ايها الآنسة هرفي.

الآنسة هرفي : ها أناذا.

موليار : اظن أنني سأفقد عقلي حيال كل هؤلاء الأشخاص. (يدخل بريكور ولاكرانج زودي كروازي) : يا جماعة، يا سادة، ألا تردون اليوم ان تراجعوا ادواركم ؟

بريكور : ماذا تريد أن نفعل ؟ نحن لا نعرف ادوارنا. فإذا قصدت ان تراجع الآن، كيف تريد أن نقوم هكذا بأدوارنا كما يجب ؟

موليار : تباً لكم من حيوانات غريبة. كيف استطيع أن أوجهكم كممثلين ؟ (تصل الآنسات بيجار، ودي بازك، ودي بري، وكذلك يصل موليار، ودي كروازي، وهرفي).

بيجار : ها نحن قد جئنا. ماذا تنوي أن تفعل ؟

الآنسة دي بازك : بماذا تفكر ؟

الآنسة دي بري : وما هي الغاية من استدعائنا ؟

موليار : من فضلكم، إصطفوا هنا. وبما اننا كلنا نلبس ثيابنا المسرحية، وبما أن الملك لن يصل قبل مرور ساعتين، تعالوا نقضي هذا الوقت في التمرين على التمثيل، وهكذا نرى كيف سنتدبر أمرنا.

لاكرانج : كيف تريدون أن نقوم بأدوار لا نعرفها ؟

الآنسة دي بازك : من جهتي أنا لا اذكر كلمة واحدة من الدور الذي يجب عليّ أن أقوم به.

الآنسة دي بري : انا على يقين بأنني أحتاج الى من يردني في دوري من أوله الى آخره.

بيجار : وانا لا أستطيع إلا تلاوة دوري في ورقة أمسكها بيدي.

الآنسة موليار : وانا ايضاً.

الآنسة هرفي : أما أنا فليس لدي سوى كلام قليل أقوله.

الآنسة دي كروازي : وأنا ايضاً. لكن لا أعلن أنني قادرة على اداء كل ما يترتب علي قوله.

دي كروازي : وانا أدفع عشرين فرنكاً لكي انسحب من تمثيل دوري.
 بريكور : وانا أنوي أن أنسحب ولو تلقيت عشرين ضربة سوط.
 موليار : ها أنتم عاجزون جميعاً عن القيام بأدواركم التي لا تعرفونها، وعلّيكم
 أن تمثلوها. فماذا كنتم تفعلون لو كنتم في مكاني انا المسؤول عنكم ؟
 بيجار : من ؟ أنت ؟ انت لا خوف عليك ابداً. فلأنك ألفت المسرحية لا بد
 من أن تتذكر بعض الكلمات.

موليار : وهل أنا لا أخشى أن أنسى ما يجب عليّ أن أقوله ؟ انتم لا يهتمكم
 أمر النجاح كما يهتمني انا وحدي. وهل تظنون ان تقديم الهزلية أمر بسيط
 هين أمام جمهور محترم كالذي نواجهه، وأن نسلي ونضحك اشخاصاً يكتون
 لنا كل مودة وتقدير، وهم لا يقهقهون إلّا متى شاؤوا ؟ وهل من مؤلف لا
 يرتجف امام مثل هذه المشكلة ؟ أوليس عليّ أنا أن أردّد أنني أودّ أن أنجح لقاء
 ما يفرضه عليّ العالم من توضيحات ؟

بيجار : اذا كان هذا الأمر يجعلك ترتجف، عليك أن تحتاط لكل الاحتمالات
 وأن لا تتعهد في مدة ثمانية أيام بإنجاز ما قبلت أن تقوم به الآن.

موليار : وكيف لي أن لا أوافق عندما يطلب الملك مني ذلك ؟
 بيجار : كان عليك أن تعتذر بلباقة، وحجّتك أن الأمر مستحيل إعداده في
 هذه البرهة الوجيزة التي حُدّدت لك. فإن سواك في محلك، يحسب حساب
 ما تؤول اليه سمعته إن أخفق ولم يتمكّن من إحراز النجاح المرغوب، خلافاً
 لما تسرّعت وقبلت به. ارجوك ان تقول لي الى اين ستتدحرج مكاتك اذا لم
 توفّق الى ما آليت به على نفسك ؟ وماذا سيكون موقف اخصامك من
 فضلك ؟

الآنسة دي بري : في الواقع، كان عليك أن تعتذر للملك، أو أن تطلب منه
 تمديد المهلة المحدّدة.

موليار : يا الهي. إعلمي، يا انستي، ان الملوك لا يحبّون عدم الاستجابة
 حرقياً لرغباتهم والخضوع لإرادتهم وهم لا يعترفون بوجود العقبات أمام
 تحقيق مطالبهم. ولا ينظرون الى الأمور بعين الرضى إلا اذا تمّت في الأوقات
 التي يتمنونها. واذا فرض عليهم تأجيل موعد تأمين تسليتهم مع حاشيتهم،

هناك الطامة الكبرى. فهم يرومون مشاهدة ما يسليهم في الأوقات التي تناسبهم. وكلما روعيت تلبية مشيئتهم في حينها، ولو بدون استعداد كافٍ، كلما ازداد إعجابهم بما نقدّمه لهم من ترفيه. وهكذا لا يسعنا إلا أن نتقيّد بظروفنا حتى غير الملائمة في سبيل ارضائهم. وحين يطلبون منا القيام بما نتوق نحن اليه، علينا أن نبادر الى استجابة رغبتهم لكسب رضاهم. لذلك يجب علينا أن نقوم بما تعهّدنا به ولو غير متقنٍ كما نتمنى. وإن خشينا أن لا ننجح تماماً في تأدية عملنا فذلك أفضل لنا، لأننا مع ذلك نقطف غار المجد بمجرد خضوعنا لأوامرهم التي يجب أن تطاع. والآن تعالوا نراجع ادوارنا، من فضلكم.

الآنسة دي كروازي : كيف تريد أن نتصرّف اذا كنّا لا نحفظها ؟

موليار : أوكد لك، انكم ستعرفونها. حتى إن لم تحفظوها كلها كما يجب، ألا تستطيعون أن تسدّوا الفراغ في اذهانكم بما أنكم ستلقون أدواركم نثراً لا شعراً، وأنتم مطّلعون على تفاصيل الموضوع.

بيجار : انا في خدمتك. لكن النثر أصعب عليّ من الشعر، كما تعلم.

الآنسة موليار : هل تسمح لي بأن أصارحك ؟ كان عليك أن تعدّ هزلية تقوم أنت بمفردك بدورها الأوحده.

موليار : أصمتي، يا امرأتي، لأنك جاهلة.

الآنسة موليار : شكراً جزيلاً على هذا الثناء، يا زوجي العزيز. هذا ما خبّاه لي الزواج الذي كثيراً ما يبذل الناس. لكنك لم تكن لتخصّني بهذا النعت الحقيير منذ ثمانية عشر شهراً قبل أن نتزوج.

موليار : ارجوك ان تسكتي.

الآنسة موليار : أمر غريب أن تصل بنا حفلة بسيطة الى ازالة جميع صفاتنا الحميدة عنّا، وان ينظر اليّ زوجي اللبّ بعينين مختلفتين كلياً عما ألفته منه.

موليار : ما هذا الخطاب الرئان.

الآنسة موليار : بدمتي، لو كتبت أنا هزلية سأجعلها تدور حول هذا الموضوع بالذات، وأبرئ عدداً كبيراً من الزوجات من كل التهم التي تُوجّه اليهنّ،

وسأبئن المعاملة السمجة التي يخصّهنّ بها ازواجهنّ عوضاً عن اللياقة المرغوبة.

موليار : دعونا الآن من هذا الجدل العقيم، فليس وقته في هذه الساعة الحرجة. لأنّ لدينا أموراً أخرى لا بد لنا من إنجازها.

بيجار : بما أن عملاً معيّناً قد طلب منا، دعنا نصبّ جهودنا على الانتقاد الذي وُجّه اليك على عدم كتابتك هزلية عن الهزليين الذين كثيراً ما حدّثنا عنهم مطوّلاً. هذه المسألة تأتي الآن في حينها، وتناسب هذا الطرف العسير بصورة أولى خاصة أنك تودّ أن ترسم شخصيتك، والفرصة سانحة لترسم شخصياتهم هم أيضاً، وتدعو ذلك رسم صور الشخصيات على علّاته كما يريدون أن يروا صورتك أنت للتنيكيت عليها، إذ أن تقليد الشخصية المضحكة في دور هزلي يأتي في الحقيقة كرسم شخصية الممثل ذاته إسماً على مسمّى. كذلك يأتي رسم شخصياتهم بألوانها الزاهية أو الباهتة كما يتسنى لك أن تصوّرها في لوحات اخلاقتهم السخيفة التي نقلد بها شخصياتهم حسب طبيعتهم. لكن تقليد الممثل الهزلي في أدوار رصينة هو تصويرها حسب عيوب أصحابها كما يراها الممثل نفسه، رغم أنهم لا يعجبهم أن يبصروا ذواتهم على حقيقتها الواقعية بما تنطوي عليه من نقائص وسخافات ملحوظة.

موليار : هذا صحيح. لكن لديّ اسباباً تضطرنني الى عدم تنفيذ رغبتني هذه حالياً. ولا أظن ان هذا العمل يستحق المغامرة. فضلاً عن أن الفكرة بحدّ ذاتها يقتضي تنفيذها وقتاً أطول لإعدادها بشكل مقبول. وبما أن ايام هزليتهم هي ايام هزليتنا عينها، لم يتيسّر لي أن أراهم بوضوح لكي أدرسهم بطريقة أولى وأعمق، إذ لم أتمكن من رؤيتهم منذ جئنا الى باريس سوى ثلاث أو أربع مرات فقط. لذا لم أحفظ من أسلوب حديثهم وتحركهم سوى ما لفت انتباهي فوراً. وأنا بحاجة الى دراسة أوسع لأحصي عليهم حركاتهم وسكناتهم وكيفية تخاطبهم، كي تجيء صورهم أقرب ما يمكن الى واقعهم الغريب العجيب.

الآنسة دي بازك : بالنسبة اليّ لقد حفظت بعض التفاصيل التي قدّمتها لي.
الآنسة دي بوي : انا لم اسمعك تتكلم عنهم.

موليار : هذه فكرة مرّت يوماً بخاطري، وقد أهملتها كأمر تافه أو مزاح
سمح، ربما لا يستدعي الضحك.

الآنسة دي بري : حدّثني عنهم قليلاً، بما أنك وصفتهم لسواي.

موليار : ليس لدينا الآن الوقت اللازم.

الآنسة دي بري : قل لي كم كلمة فقط.

موليار : لقد فكّرت في هزلية تضمّ شاعراً نويت أن أمثّل دوره انا بذاتي. فقد
جاء يوماً ليقدم مسرحية الى فرقة تمثيلية أقبلت حديثاً من الأرياف. وسألني :
هل لديك ممثلين وممثلات أهل لأن يبرزوا محاسن عمل ادبي ؟ لأن
مسرحيتي الممتازة فريدة من نوعها. فأجاب الممثلون : نحن رجال ونساء
مشهود لنا بمقدرتنا حيثما ذهبنا. فسأل : ومن منكم يمثل دور الملوك ؟
فأجبتة : هذا ممثل يجيد نظير هذه الأدوار أحياناً . فسأل أيضاً : ومن تعني ؟
أهذا الرجل الهزيل الجسم ؟ أتريد أن تهزأ بي ؟ لا بد من شخص طويل القامة
ضخم الجسم ليقوم بدور الملك. ولا بد من أن يكون منتفخ البطن عريض
الكتفين، كما يليق بالعاقل أن يكون، ليملاً العرش حين يجلس عليه بأفضل
صورة ممكنة. لا بد من أن تفهمني جيداً. فالملك يجب أن يتحلّى بقامة
مديدة. وهذا أول نقص ألاحظه في ممثلك المقترح. والآن دعني استمع اليه،
وهو يلقي على الأقلّ عشرة اشعار. هنا بادر الممثل الى إلقاء بعض الأبيات من
مسرحية نيقوماد :

ألم أقل لك يا أراسب أنه خدمني بعد أن وسّع بسط سلطتي.
وذلك بلهجة طبيعية للغاية حسب امكانياته الفنيّة. فما كان من الشاعر إلا أن
صاح : هل تعتبر هذا إلقاءً ؟ لقد شوّه الأشعار. يجب عليه أن يلقيها بأبهة.
إسمعني كيف ألقياها أنا. (ولقد « مون فلوري » الممثل الممتاز الذي يعمل في قصر
بوركوني. ثم أضاف : هل لاحظت هذا الموقف ؟ تمعن جيداً بذلك. هنا لا بد من أن تُبرز
البيت الأخير من الشعر. فبهذا تنال الاستحسان وتحرض الجمهور على التصفيق. لكن، يا سيدي
— اجاب الممثل — يخيل لي أن ملكا يخاطب وحده قائد حرسه، يتكلم بصورة أكثر انسانية،
ولا يلجأ الى هذه اللهجة المستهجنة. — اراك لا تعرف ما يجب عمله. تابع إلقاءك كما فعلت،
وسترى اذا كنت قادراً على استدرار أي اعجاب. والآن لتفتّح دور « عاشق وحبيبته ». هنا
بادرت إحدى الممثلات، وتبعها أحد الممثلين، للقيام معاً بتقديم مشهد كميل وكوزياس :

الآنسة دي كروازي : « هل تمضين أيتها الحبيبة العزيزة، وهل تفضّلين هذا الشرف الكتيب على كل ما تفاخرين به من خصال حميدة ؟ وأسفاه. انا ارى الامور بكل وضوح ... الخ. »
وقد أبدى كلاهما مقدرة وطبيعية مشكورتين حسب استطاعتهما. فاعترض الشاعر حالاً : « هل تهزأون بي ؟ إنهما لم يأتيا بما يستحق التقدير. هكذا، كان عليهما أن يلقيا ما قالاه كلاهما ». (يقلد الآنسة بوشاتو الممثلة في قصر بوركوني) :

« هل تمضين ايتها الحبيبة العزيزة ... لا، أنا أعرفك جيداً ... ».
هل رأيتم كيف جاء إلقائي طبيعياً مشوقاً ؟ « ألا اعجبوا بمحيّاها هذا الباسم، وهي تحافظ عليه رغم ما تنوء تحته من وقر المصائب ». هذه هي الفكرة التي أُلحّ على ظهورها في جميع من أجندهم من الممثلين والممثلات.
الآنسة دي بري : اجد هذه الفكرة مرضية، وقد لاحظتها منذ أول بيت شعر. ارجوك أن تواصل.

موليار : (يقلد بوشاتو الممثل المعروف، في مقطع من مسرحية « السيد »)
« لقد اخترق صميم فؤادي ... الخ ».
وهل لك أن تتعرّف اليه في دور بومبيّي في مسرحية « سرتوريوس » ؟ (يقلد ايضاً الممثل « هُوت روش »).

« الصداقة التي تسود الفريقين، لا تشرف كثيراً ... الخ ».
الآنسة دي بري : هنا اتعرّف اليه قليلاً. ولكن بينهم شخصاً يصعب عليك أن تحذو حذوه.

موليار : يا إلهي. ليس هناك من نستطيع أن نتشبّث به في أي موضوع، لو تسنّى لي أن ادرسه جيداً. لكنكم تضيعون الآن الوقت الغالي بالنسبة الينا جميعاً. دعونا نفكر في أنفسنا. ارجوكم أن لا تجعلونا نتلهّى اكثر مما فعلنا في إطالة الحديث بدون جدوى (يخاطب لكرانج) اجتهد ان تقوم إزائي بدورك في شخص المركيز.

الآنسة موليار : دائماً ادوار المركيز.

موليار : نعم، دائماً ادوار المركيز. من تريد ان تتخذ من اشخاص لتقييم الاخلاق على المسرح ؟ فالمركيز حالياً هو الشخص الذي ينال الاعجاب اكثر من سواه في الهزليات. وبما أن في كل المسرحيات القديمة نرى دائماً خادماً يُهرج ويُضحك المشاهدين، هكذا في كل مسرحيات ايامنا الحاضرة لا بد من

وجود مركز سخيضك الجمهور ببلادته.

بيجار : في الحقيقة لا سبيل الى الاستغناء عنه.

موليار : والآن، تفضلي، يا آنستي ...

الآنسة دي بازك : يا الهي. أنا لا أتمكّن من القيام بدوري كما يجب. ولست أدري لماذا أسندت اليّ شخصية المرأة المتصنّعة

موليار : بل يا الهي أنا. أرجوك، يا آنستي، ان تعودي الى ما طلب منك من انتقاد مسرحية « مدرسة الزوجات » الأمر الذي قمت به خير قيام، وأجمع الكل على ان ما أدّيته من القاء لا يتسنّى لأحدٍ سواك أن يؤدّيه بطريقة أولى. صدقيني، انك ستبدعين في هذه المسرحية ايضاً وستقومين بدورك بصورة افضل ممّا تأملين.

الآنسة دي بازك : وكيف يمكن أن يتفوّق عليّ إنسان، وليس في الدنيا من يتقن التصنّع اكثر منّي ؟

موليار : هذا صحيح، ويجعل منك ممثلة ممتازة لا تُجارى. لأنك تحسنين تمثيل الشخصية مهما ناقضت طبيعة مزاجك. أرجوك اذاً أن تتخيّلي كل المقوّمات الخلقية التي ينطوي عليها دورك، وان تتقمّصي واقع الشخصية التي تمثّلينها. (لدي كروازي) أنت ستقوم بدور الشاعر، وعليك أن تجسّد هذه الشخصية وتظاهر بما يميّز هذا المتحدلق الذي يتباهى باحتكاره أجمل ما في الكون من احاسيس وان تقلّد نبرة صوته الجمهوري الرنان ودقّة لفظه وإلقائه وتوقّفه عند كل كلمة يتفوّه بها من شأنها أن تسترعي انتباه سامعيه وتستدرّ إعجابهم بدون أن يدع أية هفوة أو شائبة تقلّل من أهمية كلامه. (ليبركور) أمّا أنت، فعليك أن تمثل دور الرجل الشهم الشريف كما فعلت في دورك أثناء انتقاد « مدرسة الزوجات » أي يجب عليك أن تتخذ موقفاً رصيناً حازماً، وطبقة صوت طبيعية معتدلة، على أن تقلّل من حركات يديك بقدر المستطاع. (للاكرانج) انت ليست لديّ اية ملاحظة ألفت انتباهك اليها، لأنني واثق كل الثقة بأنك ستقوم بدورك خير قيام. (للآنسة بيجار) أنتِ ستمثلين دور إحدى هؤلاء النساء اللواتي، عندما لا يغازلن الرجال، يعتقدن ان كل ما عدا ذلك مسموح به ولا غبار عليه. هؤلاء النساء اللواتي لا يتساهلن ابدأً في ما يخصّ

تزمتهن، فينظرن الى محيطهن نظرة استعلاء وشموخ، ويعتبرن ان كل ما تتحلى به غيرهن من فضائل لا تذكر بالنسبة الى ما يملكنه ويتشبن به من خُلقٍ وشرف لا يابه له المجتمع الذي تعشن في كنفه. عليك أن تضعي هذا الطبع الغريب نصب عينيك وتلتزمي بتصنع حركاتك كيفما تصرّفت. (للآنسة دي بري) اما أنتِ عليك أن تقومي بدور احدى هؤلاء النساء المرائيات اللواتي يتمسكن بمظاهر الفضيلة شرط أن لا يؤخذن متلبسات بذنوبهن كي لا يُثرن حولهن الشبهات وهن يُصررن على جعل أمورهن تسير بهدوء مهما حامت حولهن الظنون والأقاويل، لأنهن يعتقدن بأن الخطيئة لا تكمن إلا في الفضيحة التي يجتهدن ان يتحاشينها حرصاً على صيانة سمعتهن ولو ظاهرياً، وهن يسمين أصدقاء من يعتبرهم الآخرون عشاقاً. وأنتِ خير من يقوم بإبراز هذا الطبع المزدوج الخبيث. (للآنسة موليار) وانتِ ستمثلين الدور ذاته الذي قمت به في الانتقاد، وليست لديّ أية ملاحظة أبدية لك، لأنني واثق ملء الثقة بمقدرتك أنتِ أيضاً. (للآنسة دي كروازي) وأنتِ ستقومين بدور إحدى هؤلاء السيدات اللواتي يملن الى أعمال البر والاحسان حيال كل الناس، وبالبحري هؤلاء النساء اللواتي يلقين كلمة غمز (على الماشي) ويتضايقن بل يتألمن عندما يقال لهن انهن يغتبن قريههن. وانا على يقين بنجاحك في مثل هذا الدول الذي يلائمك. (للآنسة هرفي) أما أنتِ فتجسدن نموذج المتفلسفة التي تشترك من حين الى آخر في الحديث وتكرر، كما يتسنى لها، تعابير معلّمتها. — ها قد وصفتُ لكل واحدة منكن ما يناسبها وتجيده من الأدوار التي تنطبق أكثر ما يكون على نفسيّتها. والآن، هيّا بنا نراجع أدوارنا لنرى كيف سيدور مجرى الحديث فيما بيننا. ولكن، ها هوذا الإنسان المزعج قد أقبل. ولم يكن ينقصنا إلا حضوره الى هنا في هذا الوقت بالذات ليلهينا عن القيام بعملنا.

المشهد الثاني

لا توريّار، وموليار، الخ.

لا توريّار : نهارك سعيد، يا سيدي موليار.
موليار : انا في خدمتك، يا سيدي. (على حدة) حملته الأبالسة الى الجحيم.

لا توريّار : كيف حالك.

موليار : الحمد لله. وبماذا يمكنني أن أخدمك ؟ (للممثلات) يا آنساتي،
لا ...

لا توريّار : انا قادم من مكان لم أقل فيه عنكم إلا كل كلمة خير.
موليار : اشكرك جداً على لطفك. (حصدك الطاعون). (للممثلين) ارجوكم ان
تتبهوا الي ...

لا توريّار : هل تقومون اليوم بتقديم مسرحية جديدة ؟

موليار : نعم، يا سيدي، (للممثلات) لا تنسين ...

لا توريّار : هل طلب الملك منك إعدادها ؟

موليار : اجل، يا سيدي. (للممثلين) من فضلكم، فكّروا في ...

لا توريّار : ما هو عنوانها ؟

موليار : ماذا قلت، يا سيدي ؟

لا توريّار : سألتك ما هو عنوانها ؟

موليار : أوكد لك أنني لا أعرف. (للممثلات) يجب عليكن أن ...

لا توريّار : كيف ستكون ألبيستكم ؟

موليار : كما ترى. (للممثلين) ارجوكم ان ...

لا توريّار : متى ستبدؤون بها ؟

موليار : عندما يأتي الملك. (على حدة) ما أغلظ هذه الأسئلة.

لا توريّار : ومتى تظن أنه سيحيي ؟

موليار : خنقني الطاعون، يا سيدي، إن كنت أعلم متى.

لا توريّار : هل حقاً لا تدري ؟

موليار : أوكد لك، يا سيدي، إنني أجهل انسان على وجه الأرض. أقسم لك

أني لا أعرف شيئاً مما تستفهم عنه مني. (على حدة) أكاد أختنق. هذا الدخيل، بل هذا الغبي، قد أتى لي طرح عليّ ببلادةٍ كل أسئلته هذه، وهو لا يبالي بأن لديّ اشغالاً ملحةً يلهيني عن إنجازها.
لا تورّيّار : انا في خدمتكّن، يا أنساتي.

موليار : جميل سجداً. ها هو يلتفت الي سواي لإضاعة وقتنا.
لاتورّيّار (للآنسة دي كروازي) : أنت لطيفة وجميلة كملاك صغير. (ينظر الي الآنسة هرفي) : هل تمثّلان اليوم كلاكما معاً ؟

الآنسة دي كروازي : اجل، يا سيدي.
لا تورّيّار : هل تعلمين بأن المسرحية بدون دورك لا تساوي كثيراً ؟
موليار (للممثلات بصوت خافت) : هل من سبيل الي صرف هذا الرجل من هنا ؟

الآنسة دي بري (للاتورّيّار) : يا سيدي، ارجوك أن تأخذ علماً بأننا مجتمعون ها هنا لنراجع ادوارنا إستعداداً لتقديم المسرحية.
لا تورّيّار : بذمتي، أنا لا أريد أن أؤخركم عن عملكم. يمكنكم أن تتابعوا ما باشرتموه.

الآنسة دي بري : ولكن ...
لا تورّيّار : لا، لا. لا اريد أن أضايق أحداً. تصرّفوا أمامي بكل حرّية.
الآنسة دي بري : ولكن، كيف ؟
لا تورّيّار : انا رجل لا أبالي بالرسميّات، كما قلت لكم، وباستطاعتكم ان تراجعوا ادواركم حسبما يروق لكم.

موليار : يا سيدي، يصعب على هؤلاء السيدات ان قلن لك انهن يتمنّين ان لا يكون احد حاضرأ هنا، إن أمكن، حين يراجعن ادوارهنّ.
لا تورّيّار : ولماذا ؟ لا حرجّ علي من ذلك مطلقاً ولا ازعاج.
موليار : يا سيدي، هذه عادة يتمسّكن بالمحافظة عليها. وأظن أنك ستسّر بمشاهدتهنّ عندما تراهنّ على المسرح يمثلن ادوارهنّ بصورة أكثر إتقاناً.
لا تورّيّار : هذا يعني أنكم غير مستعدات كفاية، على ما أرى.

موليار : بل قل لسنا على استعداد بتاتا، يا سيدي. فأرجوك أن لا تستبق الأمور.

المشهد الثالث

موليار ولاكرانج، الخ.

موليار : ما هذا العالم الحافل بالفضوليين المرهقين. وعلينا الآن أن نبدأ. تصوّروا أولاً ان المشهد يجري في مدخل حجرة الملك حيث تتم كل يوم أمور مسلّية. إذ من السهل استقدام اي شخص كان الى هناك عند الاقتضاء، حتى أنني لا أجد مانعاً من إحضار النساء اللواتي ارغب في اصطحابهنّ الى ذاك المكان المحظور. وعلى هذا الاساس تُفْتَتَح الهزلية بوجود مركّزين في المدخل المذكور. (للاكرانج) تذكّر جيداً بضرورة مجيئك، كما قلت لك، بهندام لائق حسب عادات القصر، بعد أن ترتّب شعرك المستعار، وانت تدمدم أغنية معروفة : « لا، لا، لا. لا، لا، لا ». وانت عليكم أن تُصطَفُوا الى جانبه. اذ لا بدّ من تأمين الأبهة بحضور المركيزين، وهما شخصيتان بحاجة الى صحبة لا بأس بها، وبجوّ يوحي بالإحترام والإكرام. هيا باشروا.

لاكرانج : « نهارك سعيد، ايها المركيز ».

موليار : يا الهي. هذه ليست ابدأ لهجة تليق بمركيز، عليك أن ترفع صوتك وتفخّمه. لأن أغلب هؤلاء السادة المرموقين يتكلّمون بطريقة خاصة لكي يترفّعوا عن عامة الناس. كرّر اذاً « نهار سعيد، ايها المركيز » بلهجة مناسبة.

الآنسة دي كروازي : « نهارك سعيد، ايها المركيز ».

موليار : « انا في خدمتك » ...

لاكرانج : « ماذا جاء بك الى هنا ؟ »

موليار : « بذمتي، كما ترى، اني انتظر أن يُخلى جميع هؤلاء السادة لي الطريق كي أصل الى الباب وأتمكّن من إثبات وجودي هنا ».

- لاكرائج : « يا للعجب. ما هذا الجمع الغفير ؟ أنا لا أريد أن أزاحم احداً، وافضّل أن أكون آخر الداخلين، حين يتاح لي ذلك ».
- موليار : « هنا ما لا يقلّ عن عشرين شخصاً لا يرون كيف يمكنهم الدخول وهم لا يكفّون عن التزاحم وعن شغل الممرّات المؤدّية الى الباب ».
- لاكرائج : « علينا أن نصرخ بأعلى صوتنا ونُبلغ الحاجب إسمينا بصوت مرتفع لكي يعجّل لنا استدعاءنا الى الداخل ».
- موليار : « هذا يلائمك. أمّا أنا فلا أريد أن يقلّدني موليار في إحدى هزلياته ».
- لاكرائج : « أظنّ أيها المركيز، أنه قلّدك في مسرحيته « الانتقاد » ».
- موليار : « انا ؟ انا لست سوى خادمك. إنه قلّدك أنت شخصياً بالذات ».
- لاكرائج (يضحك) : « ها، ها، ها. هذا حقاً غريب جداً ».
- موليار (يضحك) : « ها، ها، ها. فعلاً هذا مضحك للغاية ».
- لاكرائج : « اراك تصرّ على نفي ما تمّ من تقليد شخصيتك في تمثيل دور المركيز من خلال مسرحية « الانتقاد » ».
- موليار : « هذا صحيح. لقد تعرّض لشخصي. ولا شك في أنه قصد التكلّم عني ».
- لاكرائج : « بذمتي. في الحقيقة، لقد قصدك أنت. ولا يسعك الإنكار. وأنا مستعدّ لأن اراهن على ذلك، وسنرى من منا يكون الحقّ الى جانبه ».
- موليار : « وعلى ماذا تريد أن تراهن ؟ »
- لاكرائج : « على مئة فرنك، أنّه قصدك انت ».
- موليار : « وأنا اراهن على مئة فرنك انه بالأحرى قصدك أنت بالذات ».
- لاكرائج : « رهاني على مئة فرنك نقداً ».
- موليار : « طبعاً نقداً : منها خمسة وتسعون فرنكاً من حساب آميثناس، وعشرة فرنكات نقداً مني ».
- لاكرائج : « انا موافق ».
- موليار : « هكذا تمّت الصفقة ».
- لاكرائج : « ان دراهمك تتعرّض لخطر جسيم ».
- موليار : « وكذلك مالك يقتحم مغامرة غامضة ».

لاكرانج : « لمن نلجأ كي يحلّ لنا هذه المعضلة » ؟

المشهد الرابع

موليار وبريكور ولاكرانج الخ.

موليار : « ها هوذا رجل مستعدّ لأن يحكم فيما بيننا، أيها الفارس ».

بريكور : « ماذا تقول » ؟

موليار : هذا رجل آخر يتكلّم بلهجة المركزي. ألم أقل لك أن دورك يتطلّب

منك أن تتحدث بطبيعيّة ؟

بريكور : هذا صحيح.

موليار : هيّا اذًا، « ايها الفارس ».

بريكور : « ماذا تقصد » ؟

موليار : « أحكمم بيننا على اساس رهانٍ ارتبطنا به ».

بريكور : « اي رهان » ؟

موليار : « لقد تناقشنا في موضوع المركزي الذي قلّده موليار في مسرحيته

« الانتقاد » ومن يكون هذا المركزي. والرهان هو على مَنْ منّا ينطبق الدور

الذي مثله، هل عليّ أنا أم عليه هو » ؟

بريكور : وانا أحكم انه لا عليك ولا عليه. فأتما كلاكما مهوسان، اذ

تريدان أن ينسب إحدكما الى الآخر مثل هذه الأمور الغريبة عنكما. فقد

سمعت ذلك اليوم أشخاصاً ينسبون اليك ما تنسبه أنت الآن اليه، وقال أن لا

شيء يزعجه نظير إتهامه بأنه يقصد شخصاً معيّناً في الصُور التي يرسمها عادةً.

لأنه يرمي الى رسم الأخلاقيات عامّةً بدون أن يقصد شخصيات معيّنة، وان

جميع الأشخاص التي يصوّرها تمثل افراداً لا وجود لهم في الواقع، وان

الاشباح التي يُلبسها أهواءه هي لتسلية المشاهدين ليس إلّا، وأنه سيحرق إن

نسب اليه أحد غاية غير التي يهدف اليها، وان ما سيدفعه الى الاقلاع عن

كتابة الهزليات هو التشبيه الذي تنسبه اليه كما يستتج ذلك اخصامه الخبثاء،

لكي يثبتوا عليه هذه الفكرة البغيضة وسيئوا الى سمعته لدى بعض الناس الذين لم يفكر في دخولهم بمثل هذه المواضيع الشائكة. وانا فعلاً أجد أن الحق كل الحق الى جانبه. ارجوكم أن تقولوا لي لماذا يصرح بصوت مرتفع ان فلاناً يقلد شخصية هذا أو ذاك، بينما ما يفعله يمكن أن ينطبق على مئة إنسان. نظير قضية الهزلية التي تمثل عامةً جميع نقائص البشر، وبنوع أخصّ اشخاص عصرنا الحاضر. اذاً يستحيل على موليار أن يرسم طباع اشخاص لا وجود لهم في اية بقعة من بقاع الأرض. واذا اضطررنا الى إتهامه بأنه يفكر في ذلك من خلال جميع الاشخاص الذين يرسم عيوبهم، لتحتّم عليه أن يكفّ عن تأليف الهزليات.

موليار : « بدمتي، ايها الفارس، أؤكد لك أنك تقصد أن تبرئ ساحة موليار وتسعى الى ابعاد التهمة عن صديقنا الحاضر ها هنا ».

لاكرايج : « كلا ثم كلا. أنت تريد أن يتجنّبك، وسنجد حَكماً آخر يفصل بيننا ».

موليار : لنسلّم بذلك. لكن، قل لي، أيها الفارس، ألا تعتقد بأن موليار قد أفرغ جعبته الآن وأنه لن يلاقي بعد اليوم أي موضوع لمعالجته.

الآنسة دي كروازي : « ألم يعد لديه اي موضوع آخر ؟ لا بد لنا، ايها المركز المسكين، من أن تؤمّن له على الدوام عدداً من امثاله، ونحن لا نريد أن نساير هذا الرجل العاقل الحكيم في كل ما يقول ويفعل ».

موليار : مهلاً، مهلاً. لا بد لنا من أن نتفحص قليلاً ما يقوله صاحبنا : « انه لا يجد ابداً موادّ... » يا ايها المركز المسكين، سنجد له نحن نماذج كافية لكي يسلك طريق التعقّل في كل ما يقول ويفعل. وهل استنفد في هزلياته كل سخافات البشر ؟ وبدون أن نخرج من البلاط، أليس أمامه عشرين مزية من طباع الناس لم يتناولها بعد بتشريحه وتجريحه ؟ أوليس لديه من يطلبون صداقة الجميع وحين يديرون ظهورهم يتسابقون في ميدان المنافسة لتمزيق بعضهم بعضاً ؟ أوليس لديه كل المخادعين في مجال الاغراء وكل المتملّقين المنافقين الذين لا لون لهم ولا مذاق ؟ هؤلاء الذي يضيفون المرّ والحلو الى مواضيعهم الباهتة التي تدمي قلوب من يقصدون إيذاءهم وإيلاهم، لانهم لا

يصغون الى اقوالهم ؟ أوليس لديه هؤلاء الجبناء المتزلفون الذين يبحثون عن اقتناص الغنائم، وهؤلاء الذين استعبدتهم المال وتحكمت بهم شهوة الثروة وهم يحرقون البخور أمام من أنعم عليهم الحظ بالازدهار، وانتزع من صدورهم عاطفة الشفقة والرحمة ؟ أوليس لديه جميع من ينقمون على البلاط الملكي والأتباع النفعيين الذين يعفرون جباههم على أعتاب المتنفذين وهم عديدون يترقبون الفرص لتأدية اية خدمة ترضي البعض طمعاً بالمكافأة الممنوحة لمن أرهقوا الأمير مثلاً طوال عشرة أعوام ؟ أوليس لديه ايضاً من يسايرون الجميع وهم يتباهون بما يتلقونه من ثناء وإطراء وإمعان في المديح، يميناً ويساراً، ويمشون في ركاب المتزلفين والمتوسلين للحصول على بعض الصداقات، ولا يحجمون عن ترديد : « انا أضع نفسي في تصرفك. — انا خادمك الأمين. — اعتبرني من أخلص أتباعك، يا سيدي. — إعتبرني من أوفى اصداقك، يا عزيزي. — انا مسرور جداً بمعانقتك، يا صديقي. — أرجوك أن تجود عليّ بلجوئك الى خدماتي. — كن علي ثقة بأني لك بكلّيتي. — انت الرجل الوحيد الذي احترمه وأكرمه في هذه الدنيا. — ليس في العالم إنسان أوقره اكثر منك على هذه الأرض. — استحلفك أن تصدق ما اقوله لك. — ألتمس منك أن لا تشكّ بصدق كلامي. — انا من أوفى انصارك وأخلص خدامك. الخ. الخ. » ألا أعلم، ايها المركيز، ان لدى موليار نماذج لا تُحصى من هؤلاء المتسولين، وان ما تحدّث عنه في مسرحياته الى الآن، لا يعدو كونه جزءاً زهيداً مما يبصره من شتى معايب المجتمع. في الحقيقة، على هذا النمط يتحتّم أن يكون التمثيل وإلا فلا.

بريكور : هذا يكفي.

موليار : يمكنك أن تتابع قولك.

بريكور : « ها هما كلامين وايليز ».

موليار (للآنستين بارك وموليار) : هكذا يمكنكما أنتما أن تتصرفا (للآنسة دي بارك) كوني على حذر، وهزّي ردّفيلك كما تشائين، وتصنعي الحركات التي تروق لك. أنا أعرف أن هذا سيغيظك قليلاً. لكن ما العمل ؟ لا بد للانسان في بعض الحالات من أن يلجأ الى العنف، وإن لم يكن من طبعه.

الآنسة موليار : « هذا لا شك فيه، يا سيدتي. فقد عرفتك من بعيد، وعلمت من حركاتك انك لا تستطيعين ان تظهري على غير حقيقتك.
الآنسة دي بازك : « انا هنا انتظر خروج رجل تربطني به قضية اريد أن اعالجها نهائياً ».

الآنسة موليار : « وانا كذلك ».

موليار : سيداتي، هذه صناديق يمكنكن أن تستعملنها كمقاعد لترتحن عليها بعض الوقت.

الآنسة دي بازك : هيّا اجلسي من فضلك، يا سيدتي.

الآنسة موليار : بعد أن تجلسي أنت، يا سيدتي.

موليار : حسناً، عَقِبَ هذه الرسميات واللباقات، كل واحدة منكن ستستقلّ مقعداً وتتكلم وهي جالسة. ما عدا المركزين اللذين سيقفان تارة ويجلسان طوراً حسب اضطرابهما الذي اجده طبيعياً. « ارجوك، ايها الفارس، ان ترتب هندامك ».

بريكور : « كيف ؟ »

موليار : « انك ترتدي بدون اصول ».

بريكور : « لقد سرّرتي عدوى فوضى المجون ».

الآنسة موليار : « يا الهي. كم أجدك، يا سيدتي، مخطوفة اللون، متجهمة الوجه، وشفتك بلون ناري عجيب.

الآنسة دي بازك : « ماذا تقولين، يا سيدتي ؟ لا تنظري الي ابدأ. فأنا لست أدري لماذا أبدو اليوم هكذا في غاية القباحة.

الآنسة موليار : ارفعي، يا سيدتي، شعرك قليلاً.

الآنسة دي بازك : « تَبّاً لك من ملاحظ. اراني الآني فظيعة الطلعة الي حدّ أني أرعبت نفسي، حين تطلّعت الي المرأة.

الآنسة موليار : « لا بل بالعكس، أجدك رائحة الحسن.

الآنسة دي بازك : « أبدأ، أبدأ.

الآنسة موليار : « تعالي الي هنا لترك جيداً.

الآنسة دي بازك : « تَبّاً لك. ارجوك ان لا تسخري مني.

الآنسة موليار : « من فضلك.
الآنسة دي بازك : « يا الهي. ماذا تقولين ؟
الآنسة موليار : « اجل، اجل.
الآنسة دي بازك : « انت تدفعيني الى حافة القنوط.
الآنسة موليار : « مهلاً. انتظري برهة.
الآنسة دي بازك : « لماذا ؟
الآنسة دي كروازي : « يا الهي. كم أنت غريبة التصرف، إذ تصرّين على ما
تريدين الوصول اليه.
الآنسة موليار : « يا سيدتي، أحلف لك أن ليس من صالحك أن تكشفني عن
خفاياك في رابعة النهار. فالألسنة الطويلة تدّعي انك حتماً تتبرّجين حين لا
تلمك اية زينة. وها أنت الآن تكذّبين هذه الأقاويل.
الآنسة دي بازك : « يا للأسف، أنا لا أفهم ماذا تقصدين بالتبرّج ... لكن الى
أين يذهبن هؤلاء السيدات ؟

المشهد الخامس

الآنسة دي بري، والآنسة دي بارك، الخ.

الآنسة دي بري : « هل تُرذَن، يا سيداتي، أن اتحفكَن بأروع نأ يسرّكن ؟
ها هوذا السيد ليزيداس يُعلمنا بأن مسرحية قد كتبت للتهجم على موليار،
ويقوم بتقديمها للجمهور كبار الممثلين.
موليار : « هذا صحيح، وقد شاء مؤلفها أن يقرأها لي، وهو المدعو بر ...
برو ... بروسو.

دي كروازي : « يفيد الاعلان عن تقديمها ان اسمه بروسو. لكن، في
الحقيقة، اقول لك سرّاً ان كثيرين قد اشتركوا في تأليفها. ولا بد من الانتظار
طويلاً لكي نشاهدها على المسرح. وبما أن جميع المؤلفين والممثلين الهزليين
يعتبرون موليار كألدّ أخصامهم، فقد اتحدنا كلنا لنبدي فيه رأينا الصريح الذي

لن يرضيه. وكل واحد منا قد رسم قسماً من صورته بدون أن تُذكر اسمائنا على عملنا هذا. وسُيعتبر شرفاً عظيماً في نظر الناس، ان يكون سقوطه على يد امثالنا من أهل الفن. ولكي نجعل فشله ذريعاً، أصررنا على اختيار مؤلف لا شهرة له ونسبناها اليه.

الآنسة دي بازك : « انا من جهتي أعلن ان سروري في هذه المناسبة ليس له حدود.

موليار : « وانا ايضاً. اذ لا بد من أن يقع الساخر يوماً في قبضة ساخر أمر منه، كما أن الظالم لا بد له من أن يُبلى بأظلم. وأنا واثق بأن خصمكم سينال جزاء ما جنت يده، بدون شك.

الآنسة دي بازك : « هكذا سيتعلم صاحبنا كيف يهجو ويمسخ كل ما تقع عليه عينه. كيف يريد هذا الوقح أن يعتبر المرأة خالية من كل نباهة؟ وهو يدين كل تعابيرنا اللبقة ويدّعي ان جميع أحاديثنا نحن النساء لا تتسم بأي سمو.

الآنسة دي بري : « الحديث ليس المهم، لأنه يهشم تعلقنا بالعواطف مهما كانت بريئة، وبالطريقة التي يتكلم عنها يُستنتج ان الجدارة هي في نظره جريمة لا تغتفر.

الآنسة دي كروازي : « هذا في الواقع تحامل لا يطاق. إذ لا يتسنى هكذا لامرأة ان تأتي بعمل جليل، بدون أن تضطر الى فتح عينيها وأخذ الحذر حتى مما تطمح اليه من الانجازات النبيلة.

بيجار : « هذا لا يزال مقبولاً بالنسبة الى مهاجمة النساء الخيرات اللواتي يخلع عليهن اسم الجنّيات الشريفات.

الآنسة موليار : « هو متطاول وقح، وعليه أن ينال عقابه.

الآنسة دي كروازي : « تمثيل هذه الهزلية، يا سيدتي، يحتاج الى مساندة. ومثّلوا قصر ...

الآنسة دي بري : « يا الهي. عليهم أن لا يخشوا سوءاً. فأنا أضمن لهم نجاح مسرحيتهم حتى بالدفاع عنها بواسطة السلاح الأبيض، اذا اقتضى الأمر.

الآنسة موليار : الحق الى جانبك، يا سيدتي. هناك جمهور غفير يهيمه أمرها،

وسيجدها رائعة. اني أدع لكم أن تتصوروا كيف سيغتنم الفرصة جميع من هزأ بهم موليار لكي ينتقموا منه في هذه المناسبة مبتهجين لدى مشاهدتهم الهزلية المذكورة.

بريكور (بلهجة ساخرة) : بدون شك. وأنا أتكفل لكم بتأمين اثني عشر مركزياً وستة متفلسفات وعشرين غادة متدلعة وثلاثين رجلاً خدعتهم زوجاتهم، لن يتردد أحد منهم في التصفيق تشفيماً وإعجاباً بهذا الهجوم على موليار الذي طالما تعرّض لهم بالقدح والذم.

الآنسة موليار : « فعلاً، لماذا السخرية من جميع هؤلاء الأشخاص الى حدّ إهانتهم، ولا سيما من خدعتهم زوجاتهم، ومع أنهم من خيرة الرجال.

موليار : « بدمتي، قيل لي أن مهاجميه ينوون تحطيمه هو ومجمل هزلياته، كما يستحق، وان الممثلين والمؤلفين من موقع الأرز الشامخ الى زاوية أصغر شجيرة مهملة، هم متحمسون حتى الهوى للإنتقام منه.

الآنسة موليار : « حقاً، هو يستحق أكثر من ذلك. لماذا يكتب مسرحيات خبيثة ليعرضها على أهالي باريس، وفيها يرسم صوراً نادرة يرى كل فرد وجهه فيها ؟ لماذا لا يؤلف مسرحيات مثل التي يكتبها السيد ليزيداس مثلاً ؟ لماذا لا يمتنع عن الاستفزاز فلا يكسب الاعداء، وهكذا يثني عليه ليفي المؤلفين ؟ لا أنكر ان مثل هذه الهزليات لا تستقطب اهتمام معظم المشاهدين، لكنها في المقابل تكون عادة مكتوبة بصورة لائقة مرضية، فلا يهاجمها احد، ويتمنى كل من شاهدها ان يعاود حضورها للتمتع بروعة أحداثها وطلّي حديثها.

دي كروازي : « وهكذا، أشكر الله على أنني لا أجد حولي من أخصام في هذا الميدان، فتحظى جميع مؤلفاتي باستحسان كافة العلماء.

الآنسة موليار : « اراك مسروراً بتصرفاتك ». وهذا في نظري افضل من كل تصفيقات الجمهور وكل الأموال التي تدرّها مسرحيات موليار على كاتبها المذكور. ماذا يفيدك إقبال الجمهور على هزلياتك ؟ المهم أن تنال رضى زملائك حضرات الكتاب.

لاكروانج : « أرجو أن تقول لي متى ستمثّل مسرحية « صورة الرسّام » ؟

الآنسة دي كروازي : « لست أدري. غير أنني استعدّ لأن أكون في طليعة من يهتفون لها : « هذا بديع رائع ».

موليار : « وانا كذلك.

لاكرانج : « وقاني الله من كل شرّ. وأنا ايضاً مستعدّ للهِتاف بهذا المعنى. الآنسة دي بازك : « أما أنا فإني مستعدة ايضاً للدفاع شخصياً عنها بكل ما أوتيت من قوّة. وسأعلن استحساني على رؤوس الاشهاد لكي ابدّد غيمة انتقادات مناوئيه. وهذا أقل ما يجب علينا أن نقوم به من تشجيع لاستدرار كل مديح انتقاماً وصوناً لكرامتنا ومصالحنا.

الآنسة موليار : « هذا قول سديد مفحم.

الآنسة دي بري : « وهذا ما يتحتّم علينا جميعاً أن نكرره على الدوام. بيجار : « بدون أدنى شكّ.

الآنسة دي كروازي : « بكل تأكيد.

الآنسة هرفي : لا رحمة ولا شفقة تجوز على من يقصد تهشيم الشخصيات ومسخها.

موليار : « بدمّتي، يا صديقي الفارس، لا بد لموليار من الاختباء.

بريكور : « من ؟ هو ؟ أعدك، أيها المركيز، بأنه بالعكس سيتقصد الذهاب الى المسرح ليضحك مع سائر الضاحكين ويسخر من الصورة المخزية التي سترسّم له.

موليار : « أوكد لكم أنه سيضحك. ولكن ضحكة هزلية للغاية.

بريكور : « لا، ربما وجد سبيلاً للضحك أكثر ممّا تتخيّل. لقد تصفّحت التمثيلية ولاحظت أن ما يعجب فيها هي الأفكار المأخوذة من مسرحيات موليار بذاته. وأعتقد أن السرور الذي ستدخله على قلوب المشاهدين سيضمحل الجميع بدون استثناء، لا سيما بسبب المقاطع التي ترمي الى النيل من مقدرته على الهزء بذوي النقائص والمبازل. وأكون خالياً من كل ادراك، إذا لم تتبيّن للجميع صحة هذا الرأي. لأن الأشخاص الذين حاول أن يسخر من معاييهم هم الذين سيهاجمونه قبل سواهم انتقاماً لما ابرزه فيهم من سخافات وتفاهات

رغم كل براعته في فنّ تصوير معالمهم في الآن ذاته كرجال مرموقين في مجتمعهم.

لاكرائج : « لقد ابلغني الممثلون انهم ينتظرون ردّه، وانهم ...

بريكور : « ردّه ؟ سيكون في نظري، أغبى المعنويين اذ تنازل وردّ على تطاولهم ». والجميع يعلمون اي دافع يحملهم على المبادرة الى ردّة الفعل هذه. وعندي، أن أفضل جواب يلقيهم اياه موليار لقاء تهجّمهم على نبوغه هو السكوت التام. لأن هذه الهزلية الساخرة ستنتج كعدد كبير من سابقاتها. وهذا سيكون حتماً خيراً وسيلة لانتقامه كما يجب من تطاولاتهم. وبما أنني ادري من سواي بمزاجاتهم فكلي ثقة بأن هذه المسرحية ستحرمهم من جمهور غفير يزعجه التندّر به هو بطلهم الساخر، كما يروق لهم قدحه وذمه بالشخصيات التي يتضايقون من تبجحاتهم.

موليار : « لكن، ايها الفارس ... ».

بيجار : اسمح لي ان اوقف مراجعة هذه الأدوار. هُنيئاً. (لموليار) هل تريد أن أقول لك كلمة. لو كنت مكانك لدفعت الامور باتجاه آخر. فالجميع يترقبون منك ردّاً عنيفاً. وحسب ما بلغني، انك عوملت بقساوة في هذه الهزلية، مع أنك محقّ بإفراغ جعبتك في انتقاد الممثلين بدون أن توقّر أو توقّر أحداً منهم.

موليار : انا مستاء جداً من كلامك هذا الذي استغربه منك، بل منكنّ انتنّ النساء، تجاهي بوجه الاجمال. تريدن أنتِ أن احنق على منتقديّ، وان اصبّ عليهم جام غضبي، وانها لعليهم بالشتائم والسباب، كما فعلوا هم بي. وهذا أقصى ما يرضي كرامتي المهانة، وجل ما أقابلهم به من تحقير واذلال. لأنهم بدأوا هم بمهاجمتي على هذا النحو. واذا ظلّوا مصمّمين على تقديم مسرحية « صورة الرسام » بدون أن يخشوا أي ردّ من قبلي، أظنهم يستعدّون للاجابة على كل من يعارضهم، ويقول : « دعوه يرشقنا بجميع الشتائم التي وجهناها نحن اليه، ويكفي ان نربح ما نرغب فيه من مال » هذا لعمرى ينافي اي شعور بالخجل من تصرفات بذيئة كهذه، ولن أنتقم لتهجّمهم على شخصي بعد أن

أغدقت عليهم ما يستحقونه من تحقير كانوا متأهين لتقبله وعدم الاعتراض عليه.

الآنسة دي بوي : لا يبرح من بالك أنهم على كل حال إشتكوا من ثلاث أو أربع عبارات قارسة رشقتهم بها في مسرحيتك « الانتقاد »، وفي مسرحيتك الأخرى « المتفلسفات ».

موليار : هذا صحيح. ان الجمل الثلاث أو الأربع كانت قاسية جداً، ولهم ملء الحق ان يذكروها. لكن حقيقة الأمر ليست كذلك. لأن الاهانة الكبرى التي وجهتها اليهم تكمن في كوني نلت إعجاب المشاهدين أكثر مما كنت اترقب. وكل وسائلهم منذ قدومنا الى باريس قد أكدت ما ألصقته بهم من أوصاف مزعجة. دعيهم يتصرفوا على هواهم فمساعيهم كلها لا تقلقني ابداً. هم ينتقدون مسرحياتي، وهذا من حسن حظي أنا اذ يقول الشاعر : « واذا أتتكم مذمتي من ناقص، فهي الشهادة بأني كامل » وانا أسأل الله ان يعينني على أن لا أقدم على ما يرضيهم. لأن أحجامي سيكون حتماً في غير صالحني. الآنسة دي بوي : على كل حال لا يسرنا أن تُمزق هذه المسرحيات وترميها في سلة المهملات.

موليار : هذا لا يهمني مطلقاً. أولم الاقي بهزليتي كل النجاح الذي تمنيتيه ؟ وقد جاءت انتقاداتهم غير المعجبة بحقي متأخرة جداً. فأرجوك أن تبيني لي إن كان هذا قد أثر على كتاباتي. وما قيمة التهجم على مسرحيتي التي نالت كل هذا النجاح والإعجاب ؟ أولاً يطال تنديدهم حُكم الذين أثنوا عليها أكثر مما يطال من ألفها ؟

الآنسة دي بوي : بذمتي، كم كنت أودّ تمثيل دور هذا المؤلف الصغير الذي يكتب مسرحياته الكبيرة عن أشخاص لا يفكرون به.

موليار : انت متحمسة جداً. الموضوع الذي يسلي جماعة الحاشية الملكية هو دور السيد بورسو. فكم أودّ أن أعرف كيف يمكن هؤلاء النقاد ان ينصفوا مثل هذا الانسان المبتدل المتطاوّل ليجعلوه طبعاً مقبولاً. واذا اطنبوا بمدحه على المسرح، لا بدّ من يسخر منهم جمهور المشاهدين، بل سيناله الشرف العظيم اذا قام احد الممثلين بتقليده امام حضور كريم كهذا. وهو شخصياً لا

يتمنى افضل من نجاحي هذا حين يهاجمني بأقصى قواه لينال الحظوة في أعين المشاهدين. أوكد لكم أن هذا الانسان ليس لديه ما يخسره، وان الممثلين لم يستفزوا ثورة غضبه إلا لكي يزجوا بي في هذا الصراع غير المتكافئ ويشنوني بهذه الحيلة المصطنعة عن كتابة باقي المسرحيات التي صمّمت على تأليفها على غرار سابقاتها طبعاً. مع ذلك أراكم مقصّرين عاجزين عن دفعي الى مواجهة هذه التحدّيات. أخيراً سأضطر الى اعلان موقفي المشرف على الملأ. أنا لا ادّعي اني سأردّ على انتقاداتهم وانعكاس انتقاداتهم. سأدّعهم يوجهون كل الانتقادات الممكنة الى هزلياتي بملء رضى. يسعهم أن يتناولوها بالتجريح وان يخلعوا تطاولاتهم كثوب فضفاض على مسرحياتهم، ويحاولوا الاستفادة من بعض ما اتمتّع به من الامتيازات التي يسرّهم أن يحتكروها، وانا أتنازل لهم عنها بطيبة خاطر، لأنهم بحاجة ماسّة اليها، ويروق لهم أن أساهم بما يسدّ رمقهم، بشرط أن يكتفوا بما أمنحهم اياه بلباقة. لأن المسائرة يجب أن لا تتعدّى حدود المعقول. ولأن هناك اموراً لا تضحك المشاهدين ولا من يدور الكلام عليهم من الشخصيات. وانا مستعدّ لأن اترك لهم مسرحياتي وتهكماتي وحركاتي واقوالي ونبرة صوتي وطريقة إلقائي حتى يتمكنوا من القول والعمل كما يحلو لهم، اذا كان لهم في ذلك بعض النفع والفائدة. فأنا لا أعارض هذه الوسائل التي لا يسعهم أن ينسجموا فيها، ويهيجني أن يُرضي هذا الانتحال كل المشاهدين. لكنني لقاء التنازل لهم عن كل ما ذكرت، أسألهم أن يتركوا لي الباقي، ولا يمسّوا بصورة طبيعية تلك القضايا الهامة التي تخصّني والتي ألمحوا لي الى أنهم سيهاجمونها في هزلياتهم. هذا ما ألتمسه من ذلك الرجل الشهم الكريم الذي يتعاطى كتابة مسرحياتهم. وهذا كل الجواب الذي سيتلقونه مني.

بيجار : لكن، في النهاية ...

موليار : أخيراً، ستدفعونني الى حافة الجنون. دعونا نقف هنا، ولا نُضِع وقتنا سدّي بالتحدّث اكثر ممّا فعلنا، ونحن نتلهى بإلقاء الحُطَب بدلاً من ان تراجع ادوار هزليتنا. إلى أين وصلنا عندما توقّفنا ؟
الآنسة دي بري : لقد وصلت الى المكان ...

موليار : يا الهي. أنا اسمع ضجة. هذا هو الملك قد اقبل بدون شك. وأرى اننا لن نستطيع التملّص من هذا المأزق. هذه نوتيجة التلهّي بما لا لزوم له. فأرجوكم أن تنصرفوا بأفضل ما يمكن من الطرق المفيدة.
بيجار : بدمّتي، أنا قلقة وخائفة، ولا أعرف كيف سأؤدّي دوري، اذا لم اراجعّه بكامله.

موليار : ماذا تقولين ؟ الا تعرفين كيف تؤدّين دورك ؟
بيجار : كلا.

الآنسة دي بازك : ولا أنا.

الآنسة دي بري : ولا أنا ايضاً.

الآنسة موليار : وانا كذلك.

الآنسة هرفي : وانا ايضاً.

الآنسة دي كروازي : وانا ايضاً وأيضاً.

موليار : ماذا يسعكم اذاً أن تفعلوا ؟ هل تسخرون جميعكم مني ؟

المشهد السادس

بيجار، وموليار، الخ.

بيجار : جئت أعلمكم، يا سادتي، ان الملك وصل، وإنه ينتظر منا ان نبدأ.
موليار : ها أنا الآن، يا سادتي أجدني في أخرج مأزق واجهته في حياتي. أنا لا أمل لي بالخروج من هذه الورطة سالم الكرامة. لأن هؤلاء النساء الخائفات يُعلنن لي أنهن لا يزلن بحاجة الى مراجعة ادوارهن قبل مباشرة تأديتها بعد لحظة. ألتمس منكّن أن تصبرن عليّ برهة. فالملك طيّب القلب رحب الصدر ويعلم أنه استعجلنا في تلبية طلبه. (يخرج بيجار) أرجوكم أن تثوب الى رشدك، وان تعتصم بحبل الشجاعة.

الآنسة دي بازك : لا بد لك من أن تذهب وتعتذر عن عدم الامكانية.

موليار : كيف تطيبين مني أن أعتذر ؟

المشهد السابع

موليار، والآنسة بيجار، الخ. وخادم.

احد الخدم : ارجوكم، يا سادتي، أن تبدأوا بالتمثيل.
موليار : بعد لحظة، يا سيدي. (على حدة) سأفقد عقلي بسبب هذه المعضلة
و ...

المشهد الثامن

موليار، والآنسة بيجار، الخ وخادم آخر.

خادم آخر : أرجوكم، يا سادتي، ان تباشروا اذاً.
موليار : بعد هنيهة، يا سيدي. (لرفاقه) والآن ما العمل ؟ هل تريدون أن
تلحقوا بي العار ؟

المشهد التاسع

موليار، والآنسة بيجار الخ. وخادم ثالث.

خادم ثالث : الرجاء، يا سادتي، ان تبدأوا حالاً.
موليار : نعم، يا سيدي. سنباشر فوراً (على حدة). كم رسول جاء يستحثنا
على البدء بقوله : « باشروا اذاً »، ربّما بدون أمر الملك.

المشهد العاشر

موليار، والآنسة بيجار الخ. وخادم رابع.

خادم رابع : ارجوكم، يا سادتي، ان تبدأوا بدون مزيد من التأخير ...
موليار : ها نحن سنبدأ، يا سيدي. (لرفاقه) برّبكم، ما العمل ؟ هل تريدون أن
أغرق في البلبلة والفوضى ؟

المشهد الحادي عشر

بيجار، وموليار الخ.

موليار : أتيت تطلب منا أن نبدأ، ولكن ...
بيجار : لا، يا سيدي، جئت لأعلمك بأننا أخبرنا الملك بحيرتنا والمأزق
الحرّج الذي نتخبّط فيه. وهو لطيفة قلبه الفائقة قَبْلَ بتأجيل تقديم هزليتك
الجديدة الى مناسبة أخرى، ويكتفي اليوم بما تستطيع أن تقدّمه له إرتجالياً.
موليار : أشكرك، يا سيدي، فقد رددت الى الحياة. لقد جاد الملك علينا الآن
بأفضل منّة إذّ منحنا الوقت الضروري الذي نتمناه للاستعداد كما يجب. وها
نحن ذاهبون كلنا لنشكر عطفه السامي علينا وتلطّفه وتفهمه وضعنا العسير
بسبب ضيق الوقت.

(تَمّت)

أَمِيرَةُ إِيلِيْد

أشخاص المسرحية

أميرة إيليد	
أكلالت	: ابنة عمّ الأميرة.
سينتي	: ابنة عمّ الأميرة.
فيليس	: مرافقة الأميرة.
إيفيتاس	: والد الأميرة.
أوريال	: أمير إيتاك.
اريسنومان	: أمير ميسان.
ثيوكل	: أمير بيال.
أزبات	: وكيل أمير إيتاك.
مورون	: مُعجَب بالأميرة.
ليكاس	: مرافق إيفيتاس.

أشخاص الفواصل الستة
التي تتخلل فصول المسرحية الخمسة.

الفجر
ليسيكاس : حارس.
ثلاثة خدام
ساتير : أحد الرعيان.
تيرسي {
كالامين }

الفاصل الأول

المشهد الأول

حكاية الفجر

الفجر : عندما يعرض الحب مناظر الطبيعة الخلابة أمام عيونكم، ابتهجوا ايها العشاق الظرفاء، ولا تأبُها لهذا التشامخ المتمرد الذي يزينة لكم الغرور، وأنتم في عمر الورود تنشدون ألحان الهيام، وتقدسون أواصر الودّ والوفاء. ثم تنشقوا عبير الوله والحرية، وتحدوا اللائم الحقود، فالقلب الرقيق لا يعرف القسوة، وينال إعجاب الجميع، ويسمو بشعائر الإخلاص، إذ ليس أروع في الكون من المودة المتواضعة.

المشهد الثاني

الموسيقيون والخدم

الخدم الأول: إنهضوا، إنهضوا وهيوا إلى الصيد المنظم ورتبوا كل أموركم. هيأ، قفوا بسرعة وسيروا إلى الأمام. فقد طلع النهار، وتهادت الشمس على أديم السماء.

الخادم الثاني : ها هي السمات تتلاعب بالأزهار، ولآلئها تلمع كالأضواء
المتوهجة..

الخادم الثالث : وأخذ البلبل يُنشد ترانيم الصفاء ببهجة، كأنه يحيي الطبيعة
ويسبح باري الكون.

الثلاثة معاً : هيا، هيا أسرعوا الى الأمام. (يكلمون لسيكاس الذي كان نائماً) :
ما هذا، يا لسيكاس ؟ ما بك ؟ إستيقظ. ها قد بزغ الفجر وانتشرت الأنوار
في كل الأرجاء. هيا انهض، وبادر الى الصيد المنظم، فلا بد من إعداد
كل الأمور. انهضوا جميعاً، انهضوا واسرعوا..

ليسيكاس : (وهو يستيقظ) : برّبي، أنتم مجتهدون نشيطون. وأراكم تفتحون
عيونكم على العمل باكرأ، وكلكم حيوية وانتباه..
الموسيقيّون : ألا ترى الشمس قد تألقت في كبد السماء ؟ هيا، يا لسيكاس،
هيا.

ليسيكاس : أرجوكم أن تتركوني أنام أيضاً بعض الوقت.
الموسيقيّون : لا، لا. عليك أن تهبّ واقفاً، يا لسيكاس.
ليسيكاس : أنا لا أطلب منكم سوى منحي ربع ساعة من الزمن.
الموسيقيّون : كلا، ثم كلا. هيا انهض.

ليسيكاس : أرجوكم ...

الموسيقيّون : هيا انهض.

ليسيكاس : لحظة، من فضلكم.

الموسيقيّون : كلا.

ليسيكاس : التمس منكم ...

الموسيقيّون : لا، يتحتم عليك أن تنهض حالاً.

ليسيكاس : إرحموني.

الموسيقيّون : كلا. انهض.

ليسيكاس : أريد أن ...

الموسيقيّون : لا، لا، لا.

ليسيكاس : أمهلوني لحظة ...

الموسيقيون : كلاً، ثم كلاً. هيا الى النهوض، يا ليسيكاس، واسرع الى الصيد. عليك أن تهني كل المطلوب منك. هيا عجل.

ليسيكاس : دعوني أنهض على مهل. انتم قوم غريبو الأطوار كي تضايقوني هكذا، وتسببوا لي الإنزعاج طوال النهار بهذا الإلحاح السمج. أنا لا أزال مفتقراً الى النوم، لأنه ضروري لا غنى عنه للانسان. وإلا تراكت علي المتاعب والكوارث ...

الخادم الأول : يا ليسيكاس ...

الخادم الثاني : يا ليسيكاس ...

الخادم الثالث : يا ليسيكاس ...

الثلاثة معاً : يا ليسيكاس إنهض ...

ليسيكاس : إذهبوا إلى الجحيم، أيها الصاخبون. كم أتمنى أن تلتهمكم السنة اللهب.

الموسيقيون : إنهض، إنهض. قف على رجلك أيها الكسلان، وعجل ...

ليسيكاس : لقد هدّ التعب قواي، وقلة النوم قرّحت عيني.

الخادم الأول : يا دجال.

الخادم الثاني : يا منافق.

الخادم الثالث : يا كسلان.

الثلاثة معاً : يا شيطان.

ليسيكاس : ها، ها، ها. أتمنى أن يقضي عليكم الطاعون، أيها الصاخبون. وليمسخني إبليس إذا لم أخطم رؤوسكم الفارغة. ألا ترون كيف تضايقونني، أيها الرعاع ؟ من دعاكم الى تمزيق طبلة أذني هكذا بصراخكم، أيها الملاعين.

الموسيقيون : هيا انهض.

ليسيكاس : عدتم الى نغمتكم المرهقة.

الموسيقيون : هيا أسرع.

ليسيكاس : أمضوا الى جهنم، أيها المزعجون.

الموسيقيون : هيا، هيا، قم الى العمل أيها الكسلان.

ليسيكاس : (وهو ينهض) : هكذا تنصرفون حيالي كل مرة تذهبون أثناءها

الى الصيد. هذا حقاً مزعج للغاية. الآن وقد استيقظت، عليّ أن أوقظ الآخرين. هيّا بدوركم أنتم أيضاً، أيها السادة، استيقظوا وانهضوا. هيّا أسرعوا الى الصيد المنظم، ولا بدّ من إعداد كل ما يلزم. هيّا انهضوا، انهضوا. فقد استيقظت أنا لسيكاس ونهضت، وجاء الآن دوركم، يا كسالي، إنهضوا.

الفصل الأول

المشهد الأول

أوريال، وأرباب

أرباب : هذا السكوت الحالم الذي لم نتعوده يدعوكم في كل لحظة الى البحث عن الوحدة والإنفراد. وهذه التنهّات الطويلة التي تفلت من أعماق صدوركم، وهذه الأنظار الشاحصة المتعبّة تبوح بأمر كثيرة لمن هو في مثل عمري، وأنا أظنّ، يا سيدي، أنني أسمع لأول مرة هذه اللغة الغريبة عني. ولكن، بدون أن أستأذنكم، وخوفاً من أن تكون مغامرتي هائلة، لا أجسر على شرح غوامضها لكم.

أوريال : فسّر لنا، يا أرباب، بكل حرّية هذه الآهات وهذه النظرات الشاردة وهذا السكوت العميق. فأنا أسمح لك هنا بأن تقول كيف فرض الحب عليّ شريعته وتحذّاني بدوره في عقر داري، ولو لم أحملك على الخجل من ضعف قلبي المعذب الذي يأبى الخضوع والإذعان..

أرباب : أأنا ألوّمك، يا سيدي، بسبب عواطفك الرقيقة، وميل قلبك الولهان ؟ إن أحزان الأيام السالفة قد أضنت فؤادي وعذبني لهيب الحب، وكاد يحرق أنفاسي، وإن كانت أيامي قد أشرفت على المغيب. لذا لا أنكر أن الهوى يليق بأمثالك، وأن نور المحبّي الجميل يُبهج فؤادي. لكنه لا يُحيي آمالي، كما يُلهب عواطفك الفتية. فهمة الشباب، يا أيها الأمير، لا تزال تملأ

جوانبك، والكرم ينبع من بين ضلوعك. فإن الهوى أروع عاطفة وأنبلى فضيلة يتحلّى بها الانسان. وما هي مُهَج الأبطال تتهدى فوق ذرى المجد والحب والعطاء. فهياً، يا صديقي، الى أعاليك لتسرح في آفاق العزّ والهناء التي تليق بشخصك الكريم. بينما أنا المسكين أندب حظي العائر وأجرّ أذيال الخيبة في دنيا العشق بين طيّات ظلام تعاستي، راجياً لك دوام العزّ طوال عمرك المديد، أيها الأمير المفدى.

أوريال : إذا كنتُ تحدّثتُ زمناً جبروت الهوى، يا عزيزي أرباب، فما هو الآن ينتقم منّي، وقد عرف أن قلبي غارق في وهدة سحيقة، أنت لا ترضاها أن تكون مثواي الأخير، بعد أن علمت بأني أهيم بحب أميرة إيليد. أنت تعرف كبرياء هذه الصبيّة البهيّة الطلعة التي تتحاشى زمرة العشاق، وهم يحاولون الاستيلاء على عواطفها، ولا تجهل قوّة الجاذب الذي يهيمن على عواطفنا. فأنا عند رجوعي من « أرغوس » مررت بهذه الإنحاء، فلفت إنتباهي بهاء أميرة إيليد، بكل ما تتمتع به من جمال الخلقة وسمو الأخلاق. واستحوذت على مشاعري وبعين خيالي أبصرت شواطئ « إيتاك » البعيدة التي مضت عليّ سنتان بدون أن أشاهد أراضبها الواسعة. وقد بلغني وأنا في بلاطي كيف تنظر هذه المرأة الشابة الى الزواج بحقد وكره شديد. وكيف تجوب الغابات الفسيحة مسلّحة بالقوس والسهم، لا تعشق من ملذات الحياة سوى الصيد. لذلك جعلتُ شبّان الأغرّيق ينتهدون حسرة على روعتها المهيبه. ومصيرها الحزين في تشبّثها بمقاطعتها الزواج. وهذا ما دفعني الى التعلّق بها والسعي الى امتلاك فؤادها وحمّسني على قهر برودها واستمالتها اليّ دون سواي. وقد بلغني أنّ والدها إيفيتاس يجمع حوله لفيماً من أمراء الإغرّيق ليختار لها منهم عريساً ملائماً.

أرباب : ما الفائدة، يا مولاي، من الإحتياطات التي تأخذها ؟ ولماذا التكتّم الذي تتمسك به. تقول إنك تحب هذه الأميرة الممتازة، وقد جئت لتناول الحظوة في عينيها بدون أن تعلن من جهتك عن حبك ولهفتك. أنا من جهتي لا أفهم هذه السياسة الملتوية. ولن أحاول أن أفهم الخطط التي يدجأ اليها العشاق لتحقيق أمنياتهم وأحلامهم، لأنّي أجهل ما هي الوسائل

التي يستخدمها المحبون لبلوغ مرامهم في يوم من الأيام.
 أوريال : ما العمل، يا أرباب؟ فأنا عندما اشكو ضناني لا ينوبني سوى
 ازدراء هذه الصبية المتشامخة، وأزج نفسي بين العديد من الامراء الخاضعين
 لأهوائها. وها هما ملكا ميسان وبيال يقدمان علي مذبح غرامها قليهما
 كضحية غير مقبولة، ويعرضان أمسي فضائلهما رخيصة لتصبح عند قدميها
 كنفائات مهمة لا تتنازل وتلتفت اليها. فأرجوك أن تصون حبي من عنف
 أهوائها، ما دمت أقرأ في نظراتها حُكماً مبرماً علي قلبي بالهلاك المحتم.
 أرباب : انتبه، يا صاح، فانك باحتقار عنفوانها وبالاهتمام بنيل رضاها لن
 تفوز بكسب عطفها بل تزيدها بروداً لقاء حرارة تعلقك بشخصها المتعالي.
 ولن تصل الي مرامك مهما تذرعت بالصبر الجميل والإمتثال الي رغباتها
 المتعددة فأنت لا تملك سحراً فعالاً أكثر مما لدى أولئك الأمراء المغرمين
 بته دلالها والمعجبين مثلك بروعة حسنها.

أوريال : كم يلد لي أن أسمع من فمك الإشادة بما يجيش بين حنايا
 ضلوعي من ميل جامع لا يخضع لأي عقل راجح. وبما انك تود أن
 أصارحك بما يجول في خاطري، عليك، يا أرباب، أن تطلع الأميرة علي
 ما أقاسيه من عذاب في هواها. وأنت تعلم أنها ذهبت عند بزوغ الفجر
 الي الصيد حين نوى مورون أن يفتحها نيابةً عني بما يكوي فؤادي من
 لواعج ولهي بها ...

أرباب : ذكرت اسم مورون، يا مولاي؟.

أوريال : قد يدهشك هذا الاختيار، لما يبدو احياناً علي هذه الانسان من
 دلائل الهوس. فإنه رغم الانجازات التي حققها، لا يزال حسه أوعى من
 الذين ينتقدونه ويتحاملون عليه. فالاميرة تعجبها نكاته وفورات مرحة ومزاحه
 التي تحببها اليها وربما اقنعتها علي طول المدى بصدق مودته وغزارة مواهبه،
 عساها تجد في شخصه الرفيق المناسب الذي يؤنس ليايها الموحشة وهي
 معتصمة في وحدتها. إسمح لي، يا صديقي، أن أحاول بواسطة ما يمهده
 المال من سبل الفرج أن أتوصل الي بلوغ ما تتوق اليه أشواقك من تحقيق
 احلامك الذهبية.

المشهد الثاني مورون، وأرباب، وأوريال

مورون (بدون أن يراه أحد) : النجدة، النجدة. أنقذوني من هذا الوحش الضاري.

أوريال : يخيل إلي أنني أسمع صوتاً.

مورون (بدون أن يراه أحد) : من فضلكم، خلصوني، أغثوني.

أوريال : هذا هو بعينه. إلى أين هو مسرع هكذا، والرعب يبدو على محيّاه. مورون : كيف يتسنّى لي أن أنجو من هذا الخنزير البرّي؟ أيها الآلهة انتشليني من أيابه الهائلة. أعدك بأن أحرق في سبيلك أربع مكابيل من البخور وأن أضحي بأسمن عجائز لديّ، إن أنقذتني، وإلا هلكت لا محالة. موريبال : ما بك؟

مورون : ظننتك وحشاً مفترساً أطلّ عليّ بشدقته المريتّين. يا إلهي. إني لا أتمالك نفسي من الفزع.

أوريال : ماذا تقول؟

مورون : مزاج الأميرة غريب محيّر، وإذا تابعتنا مسيرة الصيد في هذه الأجواء المقلقة، سنفاجأ حتماً بالمزعجات. أية متعة يجد الصيادون في تعريض ذواتهم إلى ألف مصدر خوف. هذا إذا اكتفوا بصيد الأرانب والغزلان، هذه الطرائد اللطيفة التي تهرب أمامهم. ولكنهم يتورطون بالسعي وراء البهائم الرهيبة الخبيثة التي لا تهاب الإنسان بل تهاجمه بوحشية منقطعة النظير.

أوريال : أنا لا أعلم أية لذة يلاقون في هذه المجابهة الخطرة؟

مورون : (وهو يلتفت) : إنه حقاً لتمرين شاقّ. برّبك، ماذا يُحبّب الأميرة المدلّلة بمثل هذه الغرائب : كسباق العربات في هذا النهار المكفهر؟ كان علينا أن نتحمّل تقلّبات الطقس أثناء هذا الصيد المرهق الذي نفرنا من مفاجاته ... لكن، أسكت ... لنعد إلى قصّتنا. أين وصلنا في هذا الموضوع؟

أوريال : كنت تتكلّم عن تمرين شاقّ.

مورون : نعم، ما أفضح هذه المهمة. وأنا في الصيد متعثر الحظ من أول النهار الى آخره. واذا بي أبتعد عن كل رفاقي لأبحث عن زاوية هادئة تحت شجرة وارفة أستسلم في ظلها الى النوم بعض الوقت. ثم إهتديت الى المكان المناسب لأغط في نوم مريح. لكن خنزيراً برياً باغتني وروّعني ... أوريال : ماذا تقول ؟.

مورون : أجل، هذا لم يزعجني بمقدار ما كان ينتظرنني من مفاجآت. إقترب لعلّ روعي يهدأ قليلاً فأتمكّن من سرد باقي القصة على مسمعك. لقد شاهدت الخنزير البري الذي كان صيادونا يطاردونه. وهو منكس الرأس مفتوح الشدين، بارز الأنياب، ينطلق كالسهم ... لك أن تتصوّر وضعي وأنا أمامه معرض للغارة التي يشنّها عليّ. لكن الحيوان المسرع هاجمني حين كنت أنحني لألتقط من الأرض سلاحي الذي سقط من يدي بسبب شدة فزعي.

أرباب : وانتظرته أنت بأقدام ثابتة ؟.

مورون : تبا لحماقتي. لقد رميت كل ما كان في يديّ، وهربت بأقصى السرعة.

أرباب : هل حقاً هربت من الخنزير البري، ومعك سلاح تستطيع أن تقتله به ؟ إعترف بأنّ هذا تصرف غير مشكور.

مورون : لا أخالفك بأنه عمر غير مقبول. ولكن، ما كان بإمكانني أن أفعل غير ذلك.

أرباب : لو كنت سريع الخاطر لاستطعت ...

مورون : إشملي بحلمك، يا عزيزي. أنا أفضل ألف مرة أن يُقال عني إني هربت، على أن يقال رحمة الله عليّ أنا مورون، لأنني لم أفرّ من أمام الخنزير البري. نعم أنا أفضل ألف مرة أن لا يقال عني : إن مورون أظهر شجاعة نادرة في مجابهة الخنزير، فقتله الخنزير، رحم الله مورون رحمة واسعة.

أوريال : حسن جداً.

مورون : نعم، نعم. أفضل الفرار لأعيش يومين بسلام في هذه الدنيا، على أن أدخل التاريخ لدى آلاف السنين قبل الأوان.

أوريال : في الحقيقة كان موتك كدر صفو عيش الأصدقاء. لكن قل لي الحقيقة : ألا يزال فؤادك يتقلّى على نار الغرام ؟

مورون : يتحتّم عليّ، يا مولاي، أن أخفي عنك أنني لم أفعل شيئاً بعد، ولم أجد متسعاً من الوقت لأكلّمها كما أشاء. وموضوع غرامك شائك، ولدى الأميرة قضية دولة هامة جداً. وفي رأسها سياسة معقدة بعد أن أعلنت الحرب على الزواج. وهي تنظر الى الحب نظرة إرتياب كأنه نمر يريد أن ينقضّ وينشب أظفاره وأنيابه في الضحية التي تغامر وتواجهه في هذا الميدان البغيض. دعني أبلغها برويةٍ ما أعرفه عنك من لباقة وتُعدّ نظر، علّني أوفّق الى تقريب وجهات النظر المتباينة بينكما. أنت تعلم كم كانت أمّي في صباها رائعة الجمال، وكم كان محيطها متشبّثاً بالتقاليد الموروثة. وكم كان المرحوم والدك أميراً كريماً سخّي الكفّ. وكم كان أبي، « ألبينور » رجلاً مقداماً نبيل الأخلاق حائزاً على احترام الجميع في وسطه. وإذ احتاجا كلاهما يوماً الى وساطة، تقدّمتُ أنا لبذل جهودي ... ولكن، ها هيذا الأميرة مقبلة ومعها اثنان من منافسيك.

المشهد الثالث

الاميرة (وحاشيتها)، واريستومان، وثيوكل، وأوريال، وأربات، ومورون

اريستومان : هل يسعلك، يا مولاتي، أن تتجاهلي ما لسحر عينيك من تأثير على هذين الشابين الشهمين ؟ لقد اعتقدت ان قتل الخنزير البرّي كان مغامرة مسلّية، ونحن نجهل أنك خارجة الى الصيد. ولكني لقا برودك هذا كان عليّ أن أشعر بعاطفة مغايرة لأنني لا أودّ أن أقابل معاكسة حظي العائر بإهانة لا أقصدها.

ثيوكل : أمّا أنا، يا مولاتي، فأعترف لك بأن إسماعاك هو أعزّ أمانني قلبي، ولا أريد أن تقودني أيّة مغامرة الى ازعاج خاطرک العزیز. لذا مهما کلّفتني الأمر سأظل طوع بنانک.

الاميرة : وهل تظن، يا مولاي، أنني بحاجة الى الإلحاح لكي أفرض مشيئتي التي يتفانى الجميع في تليينها حالما أَلْمَح الى رغبتني تلميحا، لكي يجوب كل الرجال كافة الجبال والوديان والغابات لتأمين راحتي وسلامتي، أثناء خروجي الى أي صيد كان. وأنا مصرّة على النجاح في اصطیاد الغزلان والخنزیر البریة الوحشية على السواء، رغم ما يتّصف به جنسي اللطيف من النعومة واللباقة. فأرجوك، يا مولاي، أن تعلمني ما كانت نتيجة صيد الخنزير في هذا اليوم المشنوم، واحسبني أحد الدخلاء المتطفلين.

ثيوكل : ولكن، يا مولاتي ...

الاميرة : اری انک تريد إقناعي بأني مدينة لك بحياتي. أنا لا أنكر ذلك، وإلا كنت جاحدة، لا أقدر فضلك عليّ. فأشكرک من كل قلبي على إغاثتك. ولن أتأخر عن إطلاع الأمير والدي على هذه المنة الفائقة التي طوّقت بها عنقي، أيها الفارس الشهم المفضل.

المشهد الرابع

أوزيال، ومورون، وأزبات

مورون : هل شاهدت رجلاً أكثر حماقة من هذا الذي يمتعض لمقتل خنزير بري شرس ؟ كم كنت أنا أغدقت عليه المكافآت والهدايا لقاء تصرفه النبيل.

أزبات : أراك كثير التفكير في هذا الأمر الغريب. ولكن لا شيء يستطيع أن يقف أمام رغباتك، يا مولاي. ستأتي ساعتها، وسنعرف كيف نصون كرامتك، ونضطرها الى الاعتذار.

مورون : لا بدّ لها من أن تدري بحبك قبل أن تذهب، وأن ...

أوريال : لا، لا، يا مورون. أريد أن لا تفوه أنت بكلمة، وأن تدعني أحكّ جلدي بظفري. فقد قررت الآن أن أسلك طريقاً مخالفاً لدربها. لأنني أرى أن اتجاه عواطفها هو عكس ما أصبو أنا اليه. ولكي أتغلب على ما يعترض سبيلي من عقبات، عليّ أن ألجأ الى طرق جديدة مجددة. وأملني كبير في بلوغ مرامي قريباً.

أزبات : وهل لي، يا مولاي، أن أعرف الى أين تذهب بك آمالك وأحلامك ؟.

أوريال : سترى، يا عزيزي، بدون إمهال، فهيّا. فقط عليك أن تلتزم الصمت بعض الوقت.

الفاصل الثاني

المشهد الأول

مورون

مورون : الى اللقاء. أنا باقى هنا. ولي حديث قصير مع هذه الاشجار والصخور. فيا أيتها البراري والينابيع والأزهار، أودّ أن أعلمك بأني أعشق حبيتي « فيليس » وقد تعلق بها قلبي، وأنا أشاهدها تحلب بقرتها، ويدها ملوثتان حليياً فازداد بياضهما. ومجرد هذه الفكرة تسحر لبي الآن. يا « فيليس »، يا « فيليس » أين أنتِ ؟ إن أمرك حقاً لعجيب غريب.

المشهد الثاني

دبّ، ومورون

مورون : يا سيدي الدبّ، أنا خادمك الأمين. فأرجو أن تشفق عليّ. أوّكد لك أن لا غذاء في جسمي لكي تفترسني. فأنا جلد وعظم ولا أشبعك، بل أرى أن هناك أشخاصاً يلائمونك أكثر مني لتتغذى بلحومهم. فأرجوك أن تنصرف عني، يا سيدي الدبّ أنت دافئ الفراء، رشيق القوام، مياس القدّ، تتلوى يميناً ويساراً كأنك تؤدّي أحلى الرقصات. عينك برّاقتان، وأنفك

صغير، وفمك ظريف، وأظفارك ناعمة. فآتمس منك أن تبتعدك عني سريعاً
وتتركني وشأني. وإلا، يا الهي، وجدتني هالكاً لا محالة.

(يظهر بعض الصيادين)

يا سادة، اشفقوا عليّ وارثوا لحالي. أرجوكم أن تقتلوا هذا الوحش المفترس.
شكراً لكم. ها هو قد فرّ، لأن أحدكم قد لطمه على رأسه. غير أنه
توقف، وراح يهاجمكم. هيّا، يا أصدقائي، ادفعوه عني بقوة. ها هو قد
سقط أرضاً على وشك أن يفارق الحياة. هيّا نضربه مئة ضربة. الآن قُضي
علي. أكرر لكم شكري الجزيل، وأهنئكم على هذا الانتصار.

الفصل الثاني

المشهد الأول

الاميرة، وأكلانت، وسينتي

الاميرة : أجل، أنا أحب أن أمكث في هذه الأمكنة الهادئة الجميلة. إذ ليس في ربوعها إلا ما يبهج النفس، وكذلك في جميع قصورنا المزينة بأروع الزخارف التي تضاهي جمال الطبيعة في أيام الربيع، من أشجار وصخور ومياه وعشب أخضر، وكلها تشدني إليها بحسنها الفائق.

أكلانت : أنا أيضاً نظيرك أحب هذه المناظر الفتانة، وأقصدتها لأرتاح في كنفها من زحمة المدينة وضجيجها، وأمتع انظاري بما تحفل به من الروائع المدهشة التي تزين باب « أليس » حيث يلتقي الهاربون من الصخب لينعموا بسكون هذه العزلة الممتازة بعد عناء المدينة وإرهاقها هنا يتأمل كل أمير بعظمة الكون، ويرتاح نظرك بفخامة عربات السباق التي تستحق أن تطيل الشخوص بعينيك الى تنسيقها الفريد.

الاميرة : لماذا كل منهم يلتمس حضوري ؟ ماذا علي أن فعل لأبني حب استطلاعهم ؟ وكلهم يسعون الى نيل رضاي وامتلاك قلبي العطوف ؟ وكم تزداد دهشتي إذا لم يتوصل أحدهم الى استمالة عواطفني.

سينتي : الى متى سيظل قلبك النفور يتمرد على طالبي ودّه الأبرياء الذي يبدلون بدون جدوى كل ما يملكون من جهود ؟ أنا لا أجهل كم يقاوم

قلبك الخُضوع والإستسلام الى النزوات العابرة. لأنه يبغى أن يحتله العاشق
الولهان الى الأبد. ولسوء حظي، أنا لا أقوى على التراجع أمام عنفوانك
وصمودك لدى ردّ عواطفي خائبة. أنا الجدير بكسب مودّتك واستدرار
حنوك. لأنني لا أستطيع العيش بدون حبّ، وقد ملأ هواك شغاف قلبي.
أكلّنت : أوّكّد لكم أن أنبل عاطفة في الوجود هي الحب والسعي الى
تحقيق السعادة، وإلّا أضحت كل مباحج الحياة باهتة، لولا الحب الذي
يُضفي عليها زهو المودّة وروعها.

الاميرة : هل يسعكما كلاكما ان تتلفّظا بهذه الكلمات الحكيمة ؟ بدون
ان تحمّرّ خدودكما حياءً وانتما تساندان هذا الهيام الخاطئ الذي يدل
على الضعف والإنسياق والفوضى والقرف وكافة النزوات التي لا تشرف
جنسنا اللطيف. أنا مصرّة على التمسك بالإباء حتى آخر لحظة من حياتي،
ولا أنوي أبداً أن أخضع لأهواء المستبدّين المتعتّين. فكل الدموع والتنهيدات،
وكل الشاء والتبجيل لا تبرّر جبانتهن. وأنا حين أنظر الى أمثالهم من أصحاب
الدناءات الجشعة التي تحطّ من قدر الاشخاص مهما كانوا أقوياء ان أسمع
إقرارهم بالعجز عن التغلّب على تسكّعهم وخجلهم.

سينتي : يا مولاتي، هناك نقاط ضعف يزرح تحت وطأتها الإنسان وإن
بلغ أعلى ذرى السلطة والمجد. فأرجو أن لا تغيري يوماً أفكارك. وإن
شاء الله نسمع قريباً بأن قلبك مال ...

الاميرة : كفى. لا تتابعي الإندفاع وراء أمنيّتك الغريبة. فأنا أكره هذا النوع
من الإنحطاط، وإن قُدّر لي أن أنحدر عن مستواي، فلن أغفر لنفسي هذا
الإنحراف الفظيع.

أكلّنت : حذار، يا مولاتي، فالحب يعرف كيف ينتقم لكرامته المهذورة،
وربّما ...

الاميرة : لا، لا. أنا أتحدّى هذا النزعة والسلطة الواسعة التي ينسبونها اليه،
وما هي في الحقيقة إلّا وهم باطل، وحجّة واهية تنذرّع بها أصحاب القلوب
الضعيفة، فيعتون الحب بالقويّ الذي لا يُقهر، ليُضفّو السلطة والجبروت
على عواطفهم الهزيلة التي تجرفهم الى هاوية الغرام.

سَيْتِي : لكن، لا تنسني أن الجميع يعترفون بقوة الهوى وسلطانها، حتى ان الآلهة ذاتها قد خضعت أمام سطوته. وها هو الإله « المشتري » قد جعله العشاق المزعنون لأهوائهم خاضعاً هو أيضاً مراراً عديدة لمشيئة الإلهة ديانا، التي تشيدين بعظمتها، وتسيرين على خطاها، هي التي لم تخجل من ارسال آهات الهيام والحسرة.

الاميرة : لا تنسني أن معتقدات عامة الشعب حافلة بالأخطاء. مع أن الآلهة من طينة غير طينة البشر، ونحتقرها عندما ننسب اليها ضعف طبيعة الانسان.

المشهد الثاني

مورون، والاميرة، وأكلانت، وسيتي، وفيليس

أكلانت : هيّا اقترب، يا مورون. تعال وساعدنا في الدفاع عن الحب من تعسف مشاعر الاميرة الجائرة.

الاميرة : ها قد انضمت اليك قوة لا يستهان بها للدفاع عن وجهة نظرك.

مورون : صدقيني، يا مولاتي، أنا أعتقد أن لا سبيل إلى إضافة حرف على ما قيل نبي، ولا الى ذم سلطة الحب الغالبة دائماً. فلقد جابهت طويلا هذه العاطفة وبذلت جهدي كغيري. لكن إبائي انهزم أخيراً لأن مولاتك قد روضت كبريائي وجعلت عنفواني طيعاً كالحمل الوديع. فامثل نفوري الراض ونفذ رغباتها بعد أن سيطرت على قلبي في ميدان الغرام. وكما انجرفت أنا أمام هذا السيل المتدفق، لم يسلم سواي من الغرب.

سيتي : ماذا تعني ؟ هل إنساق مورون في تيار الحب والهيام ؟

مورون : نعم أنا أيضاً غُلبتُ على أمري.

سيتي : وأنت أيضاً ملت مع نسمات الهوى.

مورون : ولماذا لا ؟ لماذا أقاوم ؟ أولستُ أهلاً لما يقدقه عادةً على البشر من بهجة وهناء ؟ أعتقد أن هذا الوجه الجميل يستحق الإعجاب، وأن

طلعته البهيّة، والحمد لله، هي من أسمن النعم التي لا اتنازل عنها لأي انسان.
سينتي : بدون شكّ، تكون مخطئاً إذا ...

المشهد الثالث

ليكاس، والاميرة، وأكلانت، وسينتي، وفيليس، ومورون

ليكاس : يا مولاتي، سيأتي والدك الأمير الى هنا ليزورك، وهو يصطحب
أمراء بيال، وإيتاك، وميسان.
الاميرة : يا إلهي. ماذا يقصد بجلهم إليّ ؟ هل ينوي أن يدبر هلاكي
بإجباري على اختيار أحدهم كزوج ؟

المشهد الرابع

الأميرة، وأوريال، وأريستومان، وثيوكل، والاميرة، وسينتي، وفيليس،
ومورون

الأميرة : يا مولاي، أسألك أن تسمح لي بقول كلمة لأعبر عن الأفكار
التي تجول في بالي. هناك حقيقتان، يا مولاي، كلتاها ثابتتان، أودّ أن
أؤكدكما لك : الأولى هي أنّ لك عليّ السلطة الأبوية المطلقة، ومهما
أمرتني به، لمن أوجب الواجبات عليّ أن أطيعك طاعة عمياء. والثانية هي
أنّي أنظر الى الزفاف نظرتي الى الموت الزؤام، وأنّ من رابع المستحيلات
أن تغلب عليّ كرهه الطبيعي هذا. فإنّ أرغمتني على الزواج فكأنك حكمت
عليّ بالأعدام. ولكن مشيئتك هي بالنسبة إليّ أولى الأولويات وإطاعتي أوامرك

هي أعزُّ أمنيّاتي وأغلى من حياتي. بعدئذٍ تكلم، يا مولاي، واحكم عليّ
كما تشاء بالموت أو بالحياة.

الامير : يا بنيّتي الحبيبة، أنتِ مخطئة إن أصبحتِ حذرة الى هذا الحدّ.
وأنا غير مرتاح الى تفكيرك هذا الذي يحدو بك الى اعتبار إرادة أبيك
مجحفة بحقك هكذا. وأنتِ تُسيئين بهذا العنف الى عواطفك الغريبة عن
أمثالك الصبايا اللواتي يحلمن بالحب والزواج. أتمنّي أن تنجلي الحقيقة
لعينيك وأن يفتح قلبك لحبّ أحد الشبان النبلاء الذين تأبى شهامتهم ومروءتهم
إلاّ اسعاد فؤادك المتلهّف للسعادة. إذ لا بدّ في طول بلاد الإغريق وعرضها
من وجود الرجل الذي يستحقّ أمانتك وسمو أخلاقك. فأنا ألتمس من
السماء أن تمنّ عليك بالهناء الذي يوفّره لك الزواج الصالح، وامتناه لك
من صميم قلبي. ولكي استمطر هذه النعمة عليك قدّمت في هذا الصباح
بالذات ذبيحة للإلهة فينوس. وعلى ما فهمت جيداً من الآلهة، فقد وعدتني
إلهة الجمال هذه أن تجود علينا بمعجزة خارقة. على كل حال مهما حصل،
أنا مصمّم على التصرف حيالك كأب حكيم إذ يهمني بالدرجة الأولى
هنأوك وسعادتك، يا ابنتي العزيزة، بصرف النظر عن كل مصالح مملكتي
وما تجرّه العلاقات الاجتماعية عليّ من مغامم اذا كانت لا تؤول الى تأمين
رضاك وسلامتك قبل كل شيء. وما أطلبه منك هو أن تكوني أكثر مسايرة
ولياقة في تعاطيك مع زوّاري بدون أن تضطرينني الى الاعتذار عن برودتك
وقلة اكتراثك. أرجوك أن تعاملي هؤلاء الأمراء بما يستحقّون من البشاشة
والإكرام والتقدير لقاء ما يقدّمونه كل من الإحترام والغيرة على هنائك،
وأن ترافقيني الى ميدان السباق حيث كل منهم يودّ أن يُظهر لك براعته
وجرأته واكرامه.

ثيوكل : الجميع يسعون الى بذل كل جهودهم لإحراز قصب السباق. ولكني،
في الحقيقة، قلبي الحماس لفوزي أنا، ما دام قلبك ليس المكافأة المتنازع
عليها.

أريستومان : أمّا أنا، يا مولاتي، فلا أطمح إلاّ الى جائزة واحدة هي فؤادك
العزير عليّ، وأنا مستعد أن أبذل قصارى جهدي للفوز به في هذه المباراة

التي تبيّن مهارة المتسابقين. ليتك تعلمين كم من الاهميّة أعلّق على الفوز في هذه المباراة التي آمل فيها بأن أحوز على بهجة تقريبي الى قلبك العطوف وشملي برضاك الذي أعتبره غاية المنى.

أوزيال : أمّا أنا، يا مولاتي، فلست من هذا الرأي مطلقاً. وبما أنني أعلنت دوماً إنني غير ميّال الى الحبّ، فإن اهتمامي ينصرف الى ما لا يهدف إليه سواي. فأنا لا أبغي امتلاك قلبك لأن الفرح الوحيد الذي أرمي إليه في هذا السباق هو الغاية التي أسعى إليها كما قلت لك. (يغادرها وينصرف).

الاميرة : من أين أتى بكل هذا الشموخ البغيض الذي لم أكن لأنتظره. فيا أيتها الاميرات، ما رأيكنّ بمثل هذا الامير الغريب الأطوار ؟ هل لاحظتن بأية لهجة متعجرفة حدّثنا هذا المتشامخ ؟.

اكلانت : لا شكّ لدي أن في اعتداده بنفسه بعض التطرّف.

مورون : ما اروع العزيمة التي يلبسها في رجله.

الاميرة : ألا ترى أنّ الأجدر به أن يُخفّف من حماسه وتفاجره وأن يراعي ظروف قلوب بنات حواء التي تجاوره ؟.

سينتي : بما أنك معتادة أن لا تتلقي إلا عبارات الثناء والتقدير من أفواه الجميع حقّ لك أنّ تندهشي من المديح الذي صدر عنه بدون مبالاة.

الاميرة : لا أخفي عنك أن حديثه قد ضايقني. وأني أتمنّى أن يتسنى لي تذليل كبريائه وعجرفته. وكم وددت أن لا أشاهد هذا السباق، غير أنني أصرّ الآن على الذهاب خصيصاً لحضوره، وأن أبذل كل جهودي لأثير عواطفه وأشواقه.

سينتي : حذار، يا مولاتي، فالمهمّة خطيرة. إذ عند تحريك العواطف لا يسلم المرء من تحمّل القسم الأكبر من فورة الشهوات التي تضطرب جذورها في أعماق الأنسان.

الأميرة : ارجوك أن لا تخشى أي طارئ. هيّا، أنا كفيلة بعدم المبالاة بأيّ تحريض كان.

الفاصل الثالث

المشهد الأول

مورون، وفيليس

مورون : هل تنوين، يا فيليس على البقاء هنا ؟.

فيليس : كلاً. دعني أرافق سائر الحاضرين.

مورون : تباً لك من قاسية. لو كانت تيرسيس هي التي ترجوك أن تذهبي معها لقررت فوراً بقاءك هنا لمشاكستي.

فيليس : قد يجوز أن أفعل ذلك. وأنا موقنة بأنني أسرّ بمرافقة هذا وذاك على السواء. لأنني أرتاح الى صوتهما. بينما نقيقك كالضفادع يخذش أذني. وحين تنشد مثل غيرك أعيدك وعداً قاطعاً بأن أستمع إليك حتماً.
مورون : لا بدّ لك من المكوث ولو قليلاً.

فيليس : لا أستطيع.

مورون : أرجوك.

فيليس : لا، لا، أبداً.

مورون : لن أدعك تذهبين.

فيليس : ما هذا الكلام ؟.

مورون : لا أطلب منك إلا البقاء بصحبتني لحظةً.

فيليس : سأبقى معك، اذا وعدتني بتنفيذ أمر ما.

مورون : ما هو ؟
فيليس : أن لا تتكلم بتاتا.
مورون : ما هذا الطلب الغريب، يا فيليس ؟
فيليس : وإلا، لن أبقى بمعيتك لحظة واحدة.
فيليس : هل تريد أن ...
فيليس : دعني أتصرف.
مورون : إبقى، فلن أنبس بينت شفة.
فيليس : كن على حذر. ولدى أول كلمة تنطق بها سأفرّ هاربة.
مورون (يأتي بحركة مسرحية) : كما تشائين، يا فيليس. آه منك. أنهرين،
ولا يسعني أن أمسك بك ؟ إسمعي جيداً ما أقول لك : لو كنت أعرف
الغناء لهان الأمر. فأغلب نساء اليوم يقعن في شرك الحب عن طريق السمع.
لذلك تراهنّ السبب في جعل الجميع يميلون الى الموسيقى، ولا يلقى أي
رجل حياهنّ ذرة من الإعجاب إلا بعد أن ينشد بعض الأشعار الغزلية
بحضورهن. لذا أنا أنوي أن أتعلّم الغناء لأكون نظير غيري. ها هو ذا
الرجل الذي أنتظره.

المشهد الثاني

ساتير، ومورون

ساتير : لا، لا، لا..
مورون : يا صديقي ساتير، هل تذكر ما وعدتني به منذ زمن طويل ؟
أرجوك أن تُعلمني الغناء.
ساتير : لا مانع عندي. لكنّ قبل ذلك أنصت الى هذه الأغنية التي أفتها
منذ هنيهة.
مورون : هو معتاد على الإنشاد، ولا يسعه أن لا يتكلم عن فنّ سواه.
هيا أنشد، وأنا كلّي آذان صاغية لسماحك.

ساتير : كنت أحمل ...
مورون : أنت تكلمت عن أغنية.
ساتير : كنت أحمل ...
مورون : تبا لك. أنشد أغنية غرامية.
ساتير : كنت أحمل في قفص،
عصفورين التقطتهما،
عندما جعلت الصبية كلوريس
بعض الزهور تتلألأ
في إناء قاتم اللون،
وانعكس بريقها على محياها
لكن، يا للأسف، ذكرت عصفورين
عندما وقعت عليهما لمحة من عينيها
فانبعث من لحظها سحر تسلط عليهما
تعزياً أيها العصفوران الصغيران
فالذي التقطكما اضحى سجيناً مثلكما
لدى سماع زقرتهما اللطيفة العذبة
أنشدا وعدداً أوصاف جمال حبيبي
أجل غنوا جمعكم أيها العصافير
لأن آلامي المبرحة قاتلة.
ولكن إذا ما غضبت هذه القاسية
عند سرد حكايتي الصادقة الموسمية
التي تروي العذاب الذي أعانيه بسببها.
اسكتي، أيتها العصافير، وكفي عن الإنشاد.
مورون : ما أروع هذه الأغنية، أرجوك أن تعلمني إياها.
ساتير : لا، لا، لا..
مورون : لا، لا، لا.
ساتير : فا، فا، فا.
مورون : فا، فا. تبا لك أيها الغبي الأحمق.

الفصل الثالث

المشهد الأول

الاميرة، وأكلانت، وسيتي، وفيليس

سيتي : صحيح، يا مولاتي. هذا التصرف قد أبرز مهارته غير العادية، والهنّام الذي بدا فيه أدهش الجميع للغاية، إذ كان الفائز في السباق. غير أنني أشك كثيراً بأنح حصل على القلب الذي حلم بامتلاكه. لأنك جعلت من الصعب على ملامحه أن توضح تعابيرها، وبدون التطرق الى سائر شؤونه. وكان لروعة رقصك وعذوبة صوتك الرخيم أثر بليغ يلبّن أقسى القلوب. الاميرة : ها هوذا يخاطب مورون، وسنطلع منه، ولو قليلاً، على ما كانا يتداولانه هكذا باهتمام، دعهما يكملان حديثهما، ولنسلك هذا الدرب كي نلاقيهما في الطرف الآخر من الطريق.

المشهد الثاني

أوريال، ومورون، وأزبات

أوريال : لا أنكر أنني ابتهجت جداً، وأنّ عينيّ وأذنيّ لم تستمتعا هكذا قبلاً مثل الآن. صحيح انها محبوبة في كل زمان ومكان، لكنها الاضن

فاقت كل ما تحلّت به في الماضي، وجمالها تعدّى جميع الحدود في الروعة والكمال. ولم يزهو محياها بمثل هذا اللون الوردى، ولا بدت عيناها بمثل هذا السحر الأخاذ، ولا كان لنظراتها هذا التعبير البليغ. لقد ارتدّت عنذوبة صوتها، طابعاً رخيماً كأنه صادر عن حنجره ملاك جهوريّة تشدو بعظمة السماء وأمجاد الأرض. وها هي نبرات ألفاظها الناعمة تخترق أعماق نفسي وتملأ شغاف قلبي المتيمّ بهواها. وإذا بحركاتها الرشيقة تتجاوب مع ما ينبض في عروقي من حماس وأشواق واندفاع نحو قدّها الأهيف وقامتها المتناسقة، كأنها منحوتة من رخام صافٍ تتفاعل جاذبيّتها ألف مرة بين ضلوعي، لما فيها من قوّة لا تُقهر، ترمي بقلبي ملوّعاً عند قدميها، كما يجثو المتعبّد الخشوع أمام إلهة قديرة.

مورون : ارجوك أن تحذرها، يا مولاي، اذا أردت أن تظلّ مالكا نفسك. فلقد اكتشفت مخلوقة أخرى، أعتقد أنها تناسبك أكثر منها. فالنساء في هذا العالم يشبهن الغزلان الغريبة الأطوار. إن دللناهنّ أفسدناهنّ بالطفان. فيتمردن ويحاولن السيطرة على شعورنا، بينما يجب علينا نحن أن نتعلّب على كيدهنّ ونتحكّم بعواطفهنّ تماماً بعكس ما نظهره لهن من الاحترام والمسايرة كما يفعل سائر الرجال.

اربات : يا مولاي، ها هيذا الأميرة تبعد عن حاشيتها وتتّجه نحونا. مورون : كنّ حازماً وسير بأقدام ثابتة في الدرب الذي تسلكه. وسأسمع قريباً ما ستقول هي لي : في هذه الأثناء تنزّه قليلاً في المماشي الخضراء المزهرة. وتظاهرْ بعدم الإكتراث لما في نفسك من رغبة الإجتماع بها. وإذا صادفتها أمكث معها أقلّ فترة ممكنة.

المشهد الثالث

الاميرة، ومورون

الاميرة : أنت صديق حميم، يا مورون، تربطك بأمر إيتاك أوثق العلاقات.
مورون : نعم، نحن على صلة قديمة، يا مولاتي، وتجمعنا مودة وثيقة.
الاميرة : أخبرني، لماذا لم يأتِ الى هنا، وسلك طريقاً آخر حالما أبصرني ؟
مورون : لأنه رجل غريب الأطوار، لا يرتضي إلا الاكتفاء بأفكاره وآرائه.
الاميرة : هل بلغك ما أغدقه عليّ من الثناء منذ برهة ؟.

مورون : نعم، يا مولاتي، سمعته بأذني، ووجدته يخرج قليلاً عن المألوف
بجسارته. فأرجوك أن تغضبي الطرف عنه، يا صاحبة السموّ.

الاميرة : أنا لا أخفي عنك، يا مورون، أن تهربه قد أزعجني وأنا أودّ
من كل قلبي أن أتبادل الحديث وإياه، لكي أخفّف قليلاً من تشامخه.
مورون : لن تكوني مخطئة، يا مولاتي، بل أجد أن تصرفك هكذا هو
عين الصواب. لأنه يستحقّ الصدّ والجفاء. غير أنني أكتمك أنني أخشى
أن لا يكون النجاح حليفك.

الاميرة : ماذا تقول ؟.

مورون : أقول إنه أقوى مكابر عنيد، وأسوأ مشاكس صلب العود، إذ يُخيّل
إليه أنه الوحيد في هذه الدنيا يحوي كامل الصفات والخصال الحميدة.

الاميرة : على كل حال، ألم يحدثك عني ؟.

مورون : هو ؟ أبداً، يا مولاتي.

الاميرة : ألم يكلّمك عن إعجابه بصوتي وبرقصي ؟.

مورون : على الإطلاق. لم ينطق بكلمة واحدة قط.

الاميرة : أجل، هذا ازدراء مزعج، وأنا لا أطيق تحمّل مثل هذا المتشامخ
المتجبّر الذي لا يعجبه المعجب.

مورون : هو لا يقدر ولا يحب إلا نفسه.

الاميرة : سأفعل المستحيل لأخضع عنفوانه لمشيتي كما أشتهي.

مورون : لا تنسِي، يا مولاتي، أن ليس في جوارنا رجل قادر على الصمود أكثر منه.

الاميرة : ها هو يقترب منا.

مورون : أنظريه كيف يسير بدون أن ينتبه أو يلتفت إليك.

الاميرة : من فضلك، يا مورون، إذهب ونبهه الى وجودي ها هنا، واستدرجه للمجيء اليّ.

المشهد الرابع

الاميرة، وأوريال، ومورون، وأرباب

مورون : يا مولاي، جئت لأُعلمك أن كل الأمور تسير على ما يُرام. وها هي الأميرة تمتنى عليك أن توافيها. ولكن، لا بدّ من أن تتابع القيام بدورك كما ينبغي، وخشية أن تنسى ما عزمت عليه، يجب أن لا تطيل وجودك معها.

الاميرة : اراك تحبّ العزلة هذه الأيام، يا مولاي. وهذا مزاج غير مأنوس منك، يا صاحب السموّ. إذ ليس من طبعك أن تتجنّب هكذا جنسنا اللطيف، وأن تهربّ منه، وأنت في عمر الورود، تنعم بهذه اللياقة واللباقة والوسامة التي يحسدك الجميع عليها.

أوريال : هذا المزاج، يا مولاتي، ليس في الحقيقة خارق العادة، وليس ممّا يعزّ وجوده في هذه الديار. فأرجوك أن لا تحكمني عليّ هكذا بقسوة، وتستائي من تفضيلي الوحدة أحياناً بدون أن تحسبي حساباً لعواطفك أنت أيضاً.

الأميرة : الفرق شاسع بين ما يليق بجنس النساء ؟ ولا يليق بجنس الرجال. أولاً ترى أنّ من المستحسن أن تكون المرأة حسّاسة، وأن تحفظ طهارة قلبها من أدران الهوى وتحترس من الإحتراق بلهبه. وأنت أدرى الناس

بأنَّ الإباءَ والتمنَّعَ في الواقع فضيلة تتحلَّى بها المرأة، بينما يمسي نقيصة بل جرماً يصمُّ الرجل بالعار. وكما أنَّ الجمال يزَيِّنُ جنسنا الناعم، ولا يجدر بنا أن نحبَّ بدون أن نستحقَّ ما نحبُّه من إكرام وتقدير، طبعاً بدون أن نسبِّب إحراجاً نندم عليه ربما مدى العمر.

أوريال : أنا لا أرى، يا مولاتي، موجباً لإظهار أي اهتمام بالهوى من قِبَل من لا ترى أية فائدة في مثل هذا الحَرَج.
الاميرة : هذه ليست حجة، يا مولاي. فأنا لا أرى من مانع أن تقبل الحب من لا تريد أن تقع هي نفسها في شبك الهيام.
أوريال : من جهتي، لست من هذا الرأي بتاتاً. وفي وضعي أنا الذي لا أرغب في أن أكون مُحبِّباً، يُغيظني جداً أن أكون محبوباً.
الاميرة : وما السبب ؟.

أوريال : علينا واجبات نحو من نحبُّ، وأنا لا أقبل أن أكون عقوقاً.
الأميرة : وبما أنك ترفض أن تكون جاحداً، عليك إذاً أن تحبَّ من يُحبُّك.
أوريال : أنا، يا مولاتي، لا أقبل بذلك أبداً. أكرِّرُ أنني آبي أن أكون جاحداً أنكر أي فضل عليّ، لكنني أفضل مع ذلك أن أكون عقوقاً على أن أحبَّ أي شخص كان.

الاميرة : ربما أحبُّك هذا الشخص، فهل يطاوعك قلبك أن ...
أوريال : كلاً، يا مولاتي، ليس في الكون من يستطيع امتلاك قلبي. فحريتي المطلقة هي السيدة الوحيدة التي تسيطر على مصيري. وعندما تمنَّ السماء عليّ بمن يتجلَّى فيها البهاء الكامل، وتُجسِّد في نظري أروع نفس في أحلى جسد، ويتبيَّن لي أنها تمثِّلُ أصفى ذهن وأبرع مهارة وأرقى حُسن، وأنَّ هذه المخلوقة الحاوية كل الحنَّية والرقة واللطافة التي يمكن أن يتصوَّرها الرجل، أَعترف لك بكل صراحة أنني سأهواها بكل جوارحي.
الاميرة : وهل هذا مستطاع في دنيانا غير الكاملة ؟.

مورون : تَبَّاً للتجبرِّ الوقح. كم أتمنى أن أنزل به ضربة قاضية.
الاميرة (تكلِّم ذاتها) : ما حيلتي بمثل هذا المتكبرِّ العنيد الذي لا أجد سبيلاً إلى إذلال عنفوانه ؟.

مورون (يخاطب الامير) : تشجّع، يا مولاي. فهذا أفضل ما نطقت به.
أوريال : آه، يا مورون، لم أعد أطيق صبراً، رغم كل الجهود التي أبذلها.
الاميرة : هذا يدلّ على فقدان الإحساس بشكل لم يسبق له مثيل. لأن
حديثك تعدّى كل حدود المنطق السليم.
أوريال : ما حيلتي أنا، وقد جبلتني يد الباري من هذه الطينة الجافّة. لكن
يا مولائي، أود أن أقاطع نزهتك، لأنني أشعر ضمناً بأنك بتّ تميلين مثلي
الى الوحدة والانفراد.

المشهد الخامس

الاميرة، مورون، وفيلس، وتيرسيس

مورون : هو لا يفوقك كثيراً، يا مولائي، في مجال قسوة القلب.
الاميرة : أنا مستعدّة لأن أتنازل عن كل خيرات الدنيا، لكي انتصر عليه
وأذلّ كبريائه.
مورون : أنا أقدر موقفك، يا مولائي.
الاميرة : فهل لك، يا مورون، أن تساعدني علي ذلك.
مورون : أنتِ علي يقين، يا مولائي، بأني دوماً في خدمتك.
الاميرة : كلّمه اذاً عني في سياق أحاديثك، وامتدّخ له مهارتي، وبيّن له
عراقة نسبي وحسبي، وحاول أن تهزّ عواطفه بأحلى الوعود والآمال. وأنا
أسمح لك أن تقول ما يحلو لك للوصول الي حمّله علي النظر اليّ بعين
الرضى والإعجاب.
مورون : دعيني أتصرف.
الاميرة : أنا مُصرّة علي بلوغ أربي في هذا الميدان. وأرجو بكل إلحاح
علي إيقاعه في شرك حبي.
مورون : هذا اللعين في الحقيقة يحوي كل الصفات الحسنة. فهو وسيم

جذاب أنيق لبق يليق فعلاً بأحلى أميرة تمتاز بالجمال الرائع والأخلاق الحميدة.

الاميرة: أخيراً يمكنك أن تأمل بالحصول على كل ما تطلبه مني، إذا وجدت سبيلاً الى جعل فؤاده يهيم بحبي.

مورون: ليس من أمر مستحيل على دهائي. لكن، يا مولاتي، إذا افترضنا أن أحبك، قلبي لي ماذا يكون موقفك إذ ذاك حياله؟.

الاميرة: حينئذٍ سأبهج وأتلذذ بانتصاري عليه وإخضاع غرورة لمشيتتي، وأعاقبه على البرود الذي قابلني به، فأذيقه طعم الجفاء والصدِّ والقسوة التي ستخطر ببالي إزاء تجبره وتمردّه عليّ أنا التي يتزاحم الجميع على نيل رضاي والحظوة في عيني.

مورون: كوني على يقين، يا مولاتي، بأنه لن يستسلم بسهولة.

الاميرة: آه، يا مورون، لا بدّ من إخضاعه لإرادتي، لا بدّ.

مورون: لا، لا. هذا غير ممكن. فأنا أعرفه حق المعرفة، وأعتقد أن كل المساعي في هذا السبيل ستذهب هباءً متثوراً في مهبّ الرياح.

الاميرة: علينا أن نحاول بكل الوسائل ان نصل الى مبتغانا. وسنرى ان كان قلبه قد قُدم من الصخر الأصمّ. هيّا، أنا أودّ أن أخاطبه وأن أحاول تحقيق خطةٍ فعّالةٍ خطرت الآن ببالي.

الفصل الرابع

فيليس، وتيرسي

فيليس : تعالي، يا تيرسي. ها هما ذاهبان. والآن أخبريني عما يعذب قلبك. منذ مدة طويلة أرى في عينيك ما تريدان أن تصارحيني به، وأنا كلّي آذان صاغية لسماعك.

تيرسي (تنشد) : أنتِ الآن تستمعين إليّ

والحزن يسحق فؤادي

أجل قلبي غير مطمئنّ

يا أحلي حلوات زماني.

ها أنا أوصل صوتي الى اذنيك

بدون أن أتمكن من دخول قلبك

فيليس : هيّا أكملني. لقد بلغ غناؤك مسمعي، وهذا ليس بالأمر اليسير. وها هي الأيام تمهد السبل لحصول المعجزة. فانشيدن شكواك ونجواك وما يُخالج فؤادك من شجون وهموم.

المشهد الثاني

مورون، وفيليس، وتيرسي

مورون : ها قد أمسكتُ بخناقك، أيتها المحتالة. أنت تبتعدين عن الجماعة لتستمعي الى ما ينشده خصمي ومنافسي.
فيليس : نعم، ابتعدت لهذه الغاية. وأعترف لك مرة اخرى بأني أُسرُّ بصحبته. وكم يلدُّ لي سماع شكوى العشاق المتيمين حين يُعلنون هموم غرامهم بهذه الفصاحة والصراحة. فلماذا لا تُغني أنت مثله لكي أصغي اليك بشوق فائق؟.

مورون : واذا كنتُ لأ أحسن الغناء؛ فأنا أتقن فثا آخر. وحين ...
فيليس : أصمت، أريد أن أنصت الآن اليها هي. قولي لي، يا تيرسي، ما تشائين أن تُسمعيني إياه.

مورون : آه منك، يا قاسية.

فيليس : قلت لك أسكت، أو أستاذ منك وأحنق عليك.
تيرسي : أيتها الاشجار العارية، وأنتِ أيتها البراري الجرداء، برد الشتاء قد جرّدك من كل ثيابك الخضراء.
لكن الربيع لن يلبث أن يعود، ويكسوك زهواً وبهاءً.
إنما نفسي الحزينة ستظل محرومة من البهجة والهناء
لأن حبيبي هجرني وكاد أن يسفك مني الدماء.

مورون : تبا لي أنا المحروم من الصوت البديع. لماذا بخلت عليّ أيتها الطبيعة القاسية بصوت حنون أعبر فيه عن أساي، كما يفعل سائر المحبين؟.
فيليس : في الحقيقة، يا تيرسي، ليس أروع من التغلب على جميع اخصامك.
مورون : لكن، لماذا لا أستطيع الغناء؟ أوليس لي من روايا، ومن حنجرة، ومن لسان كسائر المخلوقات؟ أجل، أجل. هيا، أريد أن أنشد أنا أيضاً، وأبرهن لك أنّ الحب يجترح المعجزات. ها هيذا أغنية ألّفها لأجلك.
فيليس : هيا، أسمعني ألعانك. أودّ أن أشنف أذنيّ بصوتك الذي قلّ أن يصدح بأنغام الهوى والشباب.

مورون : عليّ إذا أن أتشجّع. وعليك أنت أن تعتصمي بالصبر الجميل.
مورون (يُشد) :
تسلطك على قلبي
يرهق إحساسي

أه، يا فيليس، حبك أرهق أنفاسي
فتنازلي الي مواساتي. لكن،
هل تقوين إلا على سلمي
نعمة الحياة من بين ضلوعي ؟

ألا حيي معي، أنا مورون، إنشادي هذا الذي يُحاكي شدوّ البلبل الصّدّاح.
فيليس : هذا أفضل ما سمعته أذناي. ولكن، يا مورون، كم أفضل التغيّي
بفضائلي على أن يموت شخص في سبيل غرامي. فهذه حسنة لم أتمتع
بمثلها حتى الآن. وأنا أشعر في أعماق روحي بأنّي أحبّ أيّ انسان يرتضي
الموت في سبيل هواي.

مورون : هل حقاً تحبين أي شخص يموت في سبيل هيامة بك ؟
فيليس : نعم. وما الغرابة في ذلك ؟
مورون : وهل هذا شرط أساسي لكي ينال إعجابك ؟
فيليس : كلا..

مورون : هذا قول يريح ضمير السدّج فقط. وسأبرهن لك أنني أعرف
كيف أموت عندما أشاء أنا، لا حين يشتهي لي ذلك سواي.
تيرسي (تنشد) : ما هذه الحلاوة الجارحة، الكامنة في موتٍ يرضي الحبيب ؟
مورون : ارجوك أن تهتمّي بما يعينك، وأن تدعيني أقتل نفسي على هواي
كما يحلو لي. هيّا، أريد أن أفوق كافة العشاق. فأنا لست من أولئك
الذين يتكلفون ويتصنعون. أنظري الي هذا الخنجر المرهف الحدّين. كيف
سأغرزه في صدري (يسخر من تيرسي). أنا خادمك الأمين : تبا لغباوتي
وحماقتي.

فيليس : هيا يا تيرسي. تعالّي واشرحي لي ما غنّيت لي من أقوال، لأنني
لم أفهم تماماً ما ترمين اليه.

الفصل الرابع

المشهد الأول

أوريال، والاميرة، ومورون.

الأميرة: أيها الأمير، كم بدا متّاً حتى الاضن من التوافق في عواطفنا؟ كأن السماء شاءت ان تزيد تعلقنا بحريتنا، ونفورنا الشديد من الحبّ. فأنا مرتاحة لأنّ أفتح قلبي وأبوح لك بسرّ تبدّل ميلي الذي سيفاجئك. لقد نظرت دوماً الى الزواج كبير ثقيل مرهق، وأقسمت أن أغادر هذه الحياة، بدون أن أتنازل عن حرّيتي المطلقة. ولكن مرّت بي لحظة عجيبة حملتني على الاستغناء عن هذه الحرية العريضة لقاء حنان لم أكن أرجوه. والفضل يعود في ذلك الى الأمير الذي فتح اليوم عينيّ على حقيقة كنت أجهلها. فحدثت المعجزة وأصبحتُ مرهفة الحسّ إزاء ما يحفظه لي من العواطف النبيلة التي كنت أزدرى بها. لقد وجدت أسباباً كي أسمح لنفسي بهذا التغيير المباغت، ويمكنني أن أدعمها بالرغبة في استجابتي التماس أبي، وأمنيّة دولةٍ بكاملها. لكنني في الحقيقة مستاءة من الحُكم الذي أصدرته بحق ذاتي، وأودّ أن أعرف إذا كنت أنت تدين أو لا تحبذ الزواج هكذا. أوريال: يسعلك أن تختاري من تشائين، يا مولائي. وأنا أوافق على قرارك بدون أيّ تردّد.

الاميرة: بمن تنصّحني إذا ان يقع عليه اختياري؟.

أوريال : لو كنت داخل قلبك، لكنت أرشدتك الى من ؟ غير أنني لست فيه ولا أستطيع أن أشور عليك.

الاميرة : يسعك أن تحزر، وتسمّي لي من تراه مناسباً.
أوريال : أخشى كثيراً أن أخطئ في ذكر الشخص المرغوب.
الاميرة : على كل حال، من تمنّي أن أعلن عن تفضيلي إياه كعريس أحلامي؟

أوريال : أنا أعرف جيداً في الواقع، من أتمنى أن يكون هذا العريس. ولكنني قبل أن أسمّيه، أودّ أن أعرف رأيك.
الاميرة : لا مانع عندي، أيها الأمير، من إعلانه لك. وأنا واثقة بأنك ستوافق على اختياري. ولكي لا أدعك تنتظر أكثر مما فعلت، أقول لك بصراحة إن أمير ميسان هو الذي يستحقّ أن يكون بطل أحلامي.
أوريال : يا إلهي.

الاميرة (بصوت خافت) : لقد نجح ابتكاري هذا كل النجاح، يا مورون، وها هو مضطرب النفس.
مورون (يخاطب الأميرة) : حسن، يا مولاتي. (يخاطب الأمير) : تشجّع، أيها الأمير. (يخاطب الاميرة) : لقد وقع صاحبنا في الفخ. (يخاطب الأمير) : لا تكثر لهذا الأمر.

الأميرة : ألا ترى أن الحق الى جانبي ؟ وأن هذا الأمير يستحق مثل هذا الإختيار.

مورون (يخاطب الأمير) : استفق من ذهولك، يا صاح، وفكّر في الجواب. ماذا دعاك، أيها الأمير، الى هذا السكوت التام ؟ أراك في غاية الدهشة.
أوريال : في الحقيقة جاءت المباغطة مذهلة، يا مولاتي. وأنا أتساءل كيف خلّقت السماء كائنين متشابهين في كل النواحي نظيرنا، وعواطفنا متطابقة، وقرارنا يتحدّى سلطان الحب، وفي الوقت عينه نبدي كلانا سهولة غير منتظرة للوصول الى نتيجة واحدة محيرة. لأنني، يا مولاتي، ومثالك يسمح لي بهذا التصريح المدهش، إذ لا أخفي عنك أن الهوى ملك اليوم فؤادي، وأن إحدى جاراتك الأميرة، أعني الحسناء أكلانت قد ملأت فراغ قلبي،

وأضحت محبّة آمالي وقبلة امنياتي. أنا سعيد، يا مولاتي، بمثل هذه المعادلة بيني وبينك في تعديل أفكارنا. ولم يعد لديّ أدنى شكّ في صواب اختيارك الجدّي، كما ارتحتِ أنت أيضاً الى اختياري الملائم. ولا بدّ لهذه المعجزة من أن تظهر للملأ، لأنها غمرت قلوبنا معاً بالفرح والسرور. فأنا أتمنّى، يا مولاتي، أن تكوني راضية على من ستصبح من نصيبي وشريكة حياتي، وأن تسمحي لي بالذهاب الى والدك الأمير لطلب يدها منه. مورون : ما أنبل شهادتك، وما أطيب قلبك الكريم.

المشهد الثاني

الاميرة، ومورون

الاميرة : آه، يا مورون، لم أعد أتحمّل أكثر من هذا. فالضربة التي لم أكن أتوقّعها قد تغلّبت كلياً على صمودي وإصراري المعهود. مورون : لا أنكر أن هذا النبأ فاجأني، وقد اعتقدت أن خطّتك قد نجحت تماماً.

الاميرة : لقد حدث هذا التباين حقاً بعكس كل ما توقّعت. ولا أصدّق ان صبيّةً غيري قد ظفرت بحبّه الذي كنت أنا أنوي امتلاكه.

المشهد الثالث

الاميرة، وأكلانت، ومورون

الاميرة : لي عندك رجاء، أيتها الأميرة أكلانت، ولا بدّ ن أن تستجيبه إكراماً لي. أمير إيتاك يحبّك ويريد أن يطلب يدك من والدي الأمير. أكلانت : هل ذكرتِ أمير إيتاك، يا مولاتي؟

الأميرة : نعم. هو بذاته أكد لي أمنيته هذه، وقد سألتني أن أساعده على تحقيق رجائه. غير أنني ألتمس منك أن ترفضني هذا الطلب، وأن لا تُصغني الي ما يمكنه أن يقوله في موضوع كهذا.
أُكَلِّتُ : لكن، يا مولاتي، إن كان صحيحاً ما يريد هذا الأمير، وأنه يحبني حقيقةً، لماذا تطلبين مني أن أُخَيِّبَ أمله ؟
الاميرة : لا، يا أُكَلِّتُ. أنا ألتمس منك هذه المنّة، وأرجوك أن تلبّي رجائي. واعلمي أنني بسبب رفضه حبّي، أُصِرّ على حرمانه من تحقيق أعزّ أمانيه، وهي أن تزفني إليه.
أُكَلِّتُ : يا مولاتي، عليّ أن أطيع أمرك. لكنني أعتقد أن امتلاك قلب كهذا سعادة لا يسعنا أن نرفضها، ولا نبالي بها.

المشهد الرابع

أريستومان، ومورون، والاميرة، وأُكَلِّتُ

أريستومان : يا مولاتي، جئت أشكركِ على رغبتك في مساندة ميلي وشعوري وعدم رضاك على مسايرة منافستي، وأنا أطوع من بنانك، إذ ألتمس مباركتك أغلى أمنياتي.

الاميرة : ماذا تقول ؟ أوضّح.

أريستومان : أمير إيتاك، يا مولاتي، أكد لي منذ برهة انك تعطّفت وأعلنت عن اختيار عريسك المرتقب الذي مال اليه قلبك بين شبّان سائر أنحاء بلاد الإغريق.

الاميرة : وهل ذكر لك أنني أنا قد أخبرته بذلك ؟.

أريستومان : نعم، يا مولاتي.

الاميرة : هو شاب طائش. وأنت تسرّعت، أيها الأمير، في تصديق النبأ الذي نقله اليك. يبدو لي أن تصديق مثل هذا الخبر يتطلّب التريّث بعض

الوقت للتثبت من صحته، كما يجدر بك أن تفعل حتى إن سمعته من فمي أنا بالذات.

اريسْتومان : يا مولاتي، إن كنتُ حقاً تسرّعت في تصديقه ...
الاميرة : من فضلك، أيها الأمير، لنكفّ حالياً عن مواصلة النقاش، وإذا شئت أن تُسدي إليّ معروفاً، أرجوك أن تسمح لي بدقيقتين أُخلو أثناءهما بنفسي منفردة في التأمل بهذا الموضوع الخطير.

المشهد الخامس

الاميرة، وأكلانت، ومورون

الاميرة : ما أغرب هذه المغامرة. وكم تعاملني السماء بصرامة محزنة. على الأقلّ تذكّري، أيتها الأميرة أكلانت، ما رجوته منك في هذه القضية بالذات. أكلانت : كما قلت لك سابقاً، يا مولاتي، عليك أن تسائري الظروف. مورون : لكن، يا مولاتي، لو كان هذا الأمير يهواك، لما قبلت أنا به. ومع ذلك لا تريد أن يكون لسواك. ألاّ تجدين هذا غير معقول على الإطلاق؟

الاميرة : كلاً، لا أُطبق أن يكون خصمي هذا سعيداً بصحبة امرأة غيري. ولو تحقّق هذا الزفاف، لمُتُّ قهراً وكمدأ.

مورون : لا بدّ من الرضوخ للامر الواقع، يا مولاتي. فقد كنت تودّين أن يصبح شريك حياتك. وفي جميع تصرفاتك حياله ليس من الصعب أن نلاحظ ما كنتِ تحفظينه لهذا الرجل من الحب السافر رغم محاولتك إخفائه بدون جدوى.

الاميرة : أنا أحبّه؟ يا الهي. أنا أهواه؟ كيف بلغت بك الوقاحة الى التلفّظ بهذه الكلمات المخضبة؟ هيّا أغرب من وجهي أيها المستهتر، ولا تُرني صورة وجهك بعد الآن..

مورون : يا مولاتي ...

الاميرة : قلت لك : إنسحب من هنا فوراً. وإلا أجبرتك على إخلاء هذا المكان بطريقة اخرى.
 موروون : لقد وصلني حقّي. وأنا أستحقّ اكثر من ... (يلتقي نظره بنظر الاميرة فيضطر الى الانسحاب).

المشهد السادس

الاميرة

الاميرة : ما هذا الإحساس المجهول الذي يغمر قلبي ؟ وما هذا الإضطراب الخفي الذي يُقلق طمأنينة نفسي ؟ أولاً يكون صحيحاً ما قيل لي منذ لحظة، وبدون أن أكون على علم به، إن هذا الأمير الشاب ليس من نصيبي ؟ أه، لو كان الأمر حقيقة ملموسة، لتبين لي أنني لا أستطيع أن أحبه مطلقاً. وهل يسعني أن أرتكب مثل هذه حماقة ؟ لقد أبصرتُ معظم شبان الدنيا يجثون عند قدمي بكل خضوع وامثال، ويقدمون لشخصي جزيل الاحترام والتبجيل والإذعان، ولم يتوصلوا الى التأثير على فؤادي. هكذا فاز إبائي وازدراي، واحترقت كل من أحبوني. بينما أنا أحب الرجل الوحيد الذي يحتقروني. لا، لا، أنا أعرف جيداً أنني لا أحبه، وليس لدي من حجة لنبذه. وما أشعر به الآن ليس حياً. فما هو إذا ؟ ومن أين أتاني هذا السّم الزعاف الذي يجري في عروقي بسرعة، ولا يدعني أرتاح لحظة واحدة ؟ أخرج من قلبي أياً كنت، أيها العدو اللدود المتنكر بمظهر الصديق المخلص. جابهني علناً، وإن كنت في نظري أفضح وحش مفترس يتسلط على غابات الدنيا بأسرها. فتخلصني منك أشواكي وسهامي الفتاكة. وانتم، أيها الأحباء، يا من تستحقون كل إعجاب على حلالة أناشيدكم التي، بما تحويه من سحر، تُلطّف أصعب الإضطرابات والمشاغبات. إقتربوا مني، من فضلكم، واجتهدوا أن تدخلوا البهجة والمرح الى صدري الذي ضاقت به الأحزان وسحقه الهمّ والقلق.

الفاصل الخامس

كاليمان، وفيليس

كاليمان : قولني لي، يا فيليس، ماذا يعني الحب ؟.

فيليس : ماذا تعرفين أنت عنه، يا صديقتي العزيزة ؟.

كاليمان : قيل لي إنَّ لهيبه أفتك من برائن الصقر والباشق، وإنَّ عذابه آلم من أيِّ كارثة مفاجئة.

فيليس : أمَّا أنا فقد قيل لي إنه أسمى عاطفة في الوجود، وإنَّ الحياة بدون حبِّ هي شكل من أشكال الموت.

كاليمان : فأني هذين التفسيرين علينا أن نصدِّق ونتَّبِع في حياتنا ؟.

من نصدِّق ؟ وفي أيِّ من الاثنين علينا أن نتوسَّم خيراً أو شراً.

كاليمان وفيليس معاً : الحب هو السبيل الأصح، ومنه يتبيَّن ما علينا أن نصدِّق.

فيليس : ها هي « كلوريس » تنشُد الحب في كل مكان، وتشيد بمآثره التي لا تُحصَى.

كاليمان : بينما « أمارانت » تزرف عليه الدمع أسفاً في كل مكان وزمان.

فيليس : إذا كان الحب مصدر كل هذه المشاكل والأحزان، لماذا لا يُحجم الجميع ع ن التعلُّق به والتسليم لأهوائه.

كاليمان : إذا كان دِفِّقه، يا فيليس، حافلاً بكل هذه الحسنات، لماذا يُحرِّم علينا مذاق عذوبته المستساغة ؟.

فيليس : لأنيّ منهما علينا أن نميل ؟.

كاليمان : ماذا علينا أن نختار؟ أشره أم خيره؟ : كلتاها معاً : الحب
هو السبيل الأصح.
ومنه نتبين ما علينا أن نُصدّق.
الاميرة (وهي تقاطعها، تقول لهما) : تابعا السير وحدكما اذا شئتما. فأنا
لا يتيسر لي أن أرتاح هنا. ومهما كانت أناشيدكما حُلوة، فلا يسعها إلا
أن تضاعف قلقي وهمي.

الفصل الخامس

المشهد الأول

الامير، وأوريال، ومورون، وأكلانت، وسيثي

مورون : أجل، يا مولاي، هذا لم يعد مزاحاً. فقد أُقصيتُ عن مكائتي لديه، وكان عليّ أن أتدارك تدهوري بأسرع ما يمكن. ولا سبيل الآن لي الى رؤية أحد يتشقى بإخفاقي نظيرة في تحقيق آمالي.

الاميرة : كم أنا مدين لهذه الحيلة الغرامية، أيها الامير، فقد كشفت لنا سرّ التأثير على قلبه وعواطفه.

أوريال : مهما قيل لك، يا مولاتي، أُجرؤُ أنا أن آمل بتحقيق هذا الحلم الجميل. لكن، إذا كان ذلك يُعدّ مني جسارة زائدة في تمنّي الحصول على سعادة هذا الزواج، وإن كانت شخصيتي ودولتي ...

الاميرة : دَعْنَا من الدخول في متاهات هذا المشروع، أيها الامير. فأنا أجد في شخصك ما ستجيب أمنيات أبٍ نظيرك. ولو كنت تمتلك قلب ابنتي، لما خانك الحظ في هذا الوجود.

المشهد الثاني

الاميرة، والامير، وأوريال، وأكلانت، وسينتي، ومورون

الاميرة : عجباً. ماذا أبصر هنا ؟.

الامير، نعم، ثمن زفافكما باهظ جداً. وأنا مستعد بكل طيبة خاطر لتلبية كل ما تحتاج اليه من طلبات.

الاميرة : إنني أجنو عند قدميك، يا مولاي، لألتمس منك منةً. فقد عودتي دائماً على سماحة حنوك الفائق. وأعتقد أنني مدينة لك بالكثير من الألفاظ التي جدت بها عليّ بدون حساب. وإذا كنت يوماً حفظت لي بعض المودة، فأنا أرجوك اليوم أن لا تحرمني من حاجة عزيزة على قلبي، وهي أن لا تصغي بتاتاً، يا مولاي، الى طلب هذا الأمير، وأن لا تمنحه يد ابنتك أكلانت لتصبح شريكة حياة خصمي.

الامير : ولأني سبب، يا ابنتي، أنت تريدين أن تمنعي هذا الزفاف ؟.
الاميرة : لا لسبب إلا لأني أكره هذا الأمير، وأريد، إن استطعت أن ألغي مشروعه هذا البغيض.

الامير : هل تكرهينه الى هذا الحد، يا ابنتي ؟.

الاميرة : لقد بالغ في احتقاري.

الامير : كيف ؟.

الاميرة : لم يجدني جديرة بحصر أمنيته في الإقتران بي.
الامير : وبماذا أعاظك تصرفه هذا ؟ وأية إهانة تجدينها في هذا التفضيل الذي يحق له ؟.

الأميرة : هكذا احتقروني ولم يحبني كغيره من الشبان. كان عليه أن يهواني وأن يترك لي الحق بأن أرفضه. فإن اختياره الآن سواي ليس إلا ازدراء سافر بكرامتي، وإهانة موجهة الى شخصي بإغفاله ايدي على هذا النحو من الاهمال. الأمر الذي يلحق بي العار، وقد اختار من بلاطك بالذات صبية أخرى لتزف اليه وتصبح رفيقة عمره.

الامير : وأي سوء ينوبك من جراء ذلك ؟.

الاميرة : أنا أنوي، يا مولاي، وأصرّ على الانتقام منه بسبب عدم إكترائه لي. وبما أنني أعرف جيداً أنه يهيم بحبّ أكلانت، أريد أن أحول دون إتمام هذا الزواج، إن شئت، يا مولاي الكريم، لكي أحرمه التمتع بحب صبيّةٍ غيري.

الامير : وهل تلحين على بلوغ مرامك ؟.

الاميرة : نعم، يا مولاي، بكل تأكيد. وإذا تسنى له الحصول على ما يتوق اليه ستراني أموتي كمدماً أمام عينيك.

الامير : هيا، يا ابنتي، اعترفي هنا بفضلٍ خطير، وهو أن هذا الامير قد فتح عينيك على حقيقة ناصعة ملموسة وهي أنك تحبينه رغم إنكارك هذا الواقع الأكيد.

الاميرة : أنا، يا مولاي ...

الامير : نعم، أنت تهوينه.

الاميرة : أتقول إنني أهوى ؟ هل أنت حقاً تلصق بي هذه التهمة الباطلة ؟ يا إلهي، تبّاً لحظي العائز. وهل يسعني أن أسمع هذا القول المغلوط بدون أن أموت قهراً ومذلّةً ؟ هل كُيّدَ عليّ أن أتدهور الى هذه الوهدة من الشقاء بما تتهمني به من حبّ هذا الإنسان الغريب الأطوار الذي طالما ازدري به وتجاهل وجودي. لو كان شخص آخر سواك، يا مولاي، يتهمني بأنّي أحبّه، لعرفت كيف أجابه وأجبره على التراجع عن تصريح غير الصحيح. الامير : نعم، يا ابنتي، أوكد لك أنك لا تحبينه بل تكرهينه من كل قلبك. ومن جهة أخرى ترينني موافقاً على التماسك، وفي سبيل إرضائك، أرفض أن أزف اليه ابنة عمك الأميرة أكلانت.

الاميرة : يا إلهي، ها أنت قد رددت اليّ حياتي، يا مولاي.

الامير : ولكي أطمئنّ أنا وأطمئنك أنت أيضاً الى أنه لن يقترن بها أبداً، ها أنا أصرّ على زفك أنتِ بالذات اليه.

الاميرة : هل تسخر مني، يا مولاي ؟ إنّ هذا الحلّ ليس ما يطلبه الأمير المخالف ويتلّهف الي تحقيقه سريعاً.

أوريال : اعذرني، يا مولاتي، على قلة لباقتي في هذا الموضوع، وأنا أستشهد

بقول والدك الأمير في هذه اللحظة، لأنني لم أطلب يدك في الماضي لتكوني شريكة حياتي. فأصرارك على موقفك الخاطئ غير مقبول. عليك أن تنزعي القناع عن وجهك، وأن تُظهري شعورك الحقيقي الذي استشفه من خلال نفورك ورفضك. وإن أردت أن أقدم برهاناً لا يناسبني، سأكشفُ لعينيك حقيقة ميل قلبي، فأعلن الآن صراحةً أنني حتى هذه اللحظة لم أعشق صبيّة سواك: فأنت، يا مولاتي، تهمينني بأنني لا أهواك. وأنا لا أنكر أن كل ما أظهرته لك من عواظي كان مخالفاً تماماً لواقعي، وقد أوحى به إليّ إحساس خفي إتبعته بطريقة صارمة لا تخطر ببال إنسان معتدل. وكان لهذه الخطبة ان تتوقف حتماً بدون شك، وأنا أعجب لدوامها مدةً وجيزة فقط. لأنني في الحقيقة كدت أموت غماً، وكاد قنوطي من صدك يقضي على حلمي الغالي، بالإقتران بك يوماً ما. ثم إن ما كنت أبذله من جهد لكبت شعوري الحقيقي نحوك. فإن غاظك هذا الكتمان، يا مولاتي، فأنا مستعد أن أموت هذه الساعة في سبيل الانتقام لكرامتك من عنادي المتجبر. فما عليك إلا أن تصدري قرارك جدياً، وأنا فوراً يسرّتي أن أنفذُ حالاً حكمك الذي تعلنينه بحقي لتعاقبيني.

الاميرة : لا، لا، أيها الأمير. أنا لست مستاءة، لأنك عاكست رغبتني. وكم أنا مسرورة، لعلمي أن ما كان منك هو تصنع محض، ما دامت الحقيقة لا تختلف عما أحلم به أنا أيضاً وهو الاقتران بك.

الامير : اذاً، إتفقنا، يا ابنتي، على قبولك بهذا الأمير زوجاً لك.

الاميرة : أنا لا أعلم حتى هذه اللحظة، ماذا أريد فعلاً، يا مولاي. فامنحني مهلة وجيزة لأفكر ملياً في الامر، وأرجوك أن تساعدني هكذا على جلاء الفوضى التي تعصف في رأسي علني أرى بوضوح ما يجب عليّ أن أفعل بغية أن لا أندم في المستقبل على تصرفي المتسرّع.

الامير : عليك أن تستنتج، أيها الأمير، ما يعني هذا الكلام، وأن تبني عليه ما عليك بالتالي أن تفعله لحل هذه المشكلة الأساسية.

أوريال : سأنتظرك، يا سيدتي، مدى ما تحتاجين اليه من الوقت لكي تتّخذي قرارك النهائي في تحديد مصيري الذي أضعه أمانةً بين يديك، حتى إن

حكمت عليّ بالأعدام. فأنا مستعد ان أقبله وانفذه بدون أي إعتراض.
الأمير : تعال، يا مورون، هذا يوم الحسم، وأنا على أتم الاتفاق والحبيبين.
مورون : يا مولاي، سأكون أفضل ناصح في المرة القادمة، وسأحرص
على عدم إبداء رأيي في مثل هذا الموقف الحرج.

المشهد الثالث

أريستومان، وثيوكل، والامير، والاميرة، وأكلانت، وسينتي، ومورون

الامير : اخشى، أيها الامير، أن لا يكون لصالحك اختيارك ابنتي كعروسك.
ولكن هاتين الاميرتين يسعهما أن يُعزّيانك وينسيانك هذا الإخفاق الطفيف.
اريستومان : نحن نعرف جيداً كيف نختار ما يلائمنا، يا مولاي. وإذا
كانت هاتان الأميرتان اللطيفتان لا تكرهان الشائين، اللذين اختاراهما، يمكننا
أن نعود اليك لعقد زفائيهما السعيدين اللذين يصبوان اليهما.

المشهد الرابع

فيليس، وأريستومان، وثيوكل، والأمير

فيليس : يا مولاي، أعلنتِ الإلهة فينوس منذ لحظة مباركتها بكل وضوح
أمر تغيير ميل الأميرة في موضوع الحب والزواج. ها هم كافة الرعيان
والراعيات يظهرون بهذه المناسبة البهيجة فرحهم بالرقص والغناء. وإذا كنت
لا تكره هذا المشهد السارّ ستري الفرحة يعمّ الجميع في سائر أنحاء البلاد.

الفاصل السادس

تدور حلقات الرقص بين الرعيان والراعيات وترتفع الأصوات بانغام هذا
النشيد :

تصرّفن بحكمة أيتها الرائعات المتباهيات
بسحر البهاء وقوّة الجاذبية في عيون الحسان
أُحِبِّينَ، أيتها الراعيات
فقلوبنا مفتوحة للهوى
ومهما كان الانسان جباراً
لا بدّ من أن تسري جهاراً
بين ضلوعه نسمات الهيام
فتستسلم المهج لسلطان الغرام
فكّروا أيها المحبّون، باكراً واقصدوا
ان تتبعوا الدروب المتبعة واطردوا
آفة التردّد منذ البدء فييزغ فجر الحب
ومهما كان المرء جباراً
لا بدّ من أن تسري جهاراً
بين ضلوعه نسمات الهيام
فتستسلم المهج لسلطان الغرام.

(تَمَّت)

تَرْتُوف

أشخاص المسرحية

السيدة بَرْنال :	والدة أُورْكون.
أُورْكون :	زوج أَلْمِير.
أَلْمِير :	زوجة أُورْكون.
داميس :	إبن أُورْكون.
مَرْيان :	إبنة أُورْكون، وحببية فالير.
فالير :	حبيب مَرْيان.
كليانت :	زوج أخت أُورْكان.
تُرْتوف :	منافق يتظاهر بالتقوى.
دُورين :	مرافقة مَرْيان.
لُوتِيال	: رقيب في الجيش.
ضابط أمن }	
فليوت :	خادمة السيدة بَرْنال.

الأحداث تجري في باريس

الفصل الأول

المشهد الأول

السيدة بَرْنال، وفليوت خادمتها، وألمير، ومرّيان، ودورين، وداميس،
وكليانت

السيدة بَرْنال : هيا، يا فليوت، نتخلّص منهم.

ألمير : أراكِ تسرعين الخطى بصورة لا تمكّنيني من تتبّع سيرك.
السيدة بَرْنال : دعك من المجاهدة، يا كتنّي، ولا تراققينني أكثر ممّا فعلتِ،
فلستُ بحاجة اليك.

ألمير : عليّ واجب لا بدّ لي من تأديتخ نحوك. ولكن، يا أمي، لماذا
تخرجين هكذا باكراً؟

السيدة بَرْنال : لا يسعني ان أتحمّل كل هذه المشاكل. اذ لا أحد يهتم
براحتي. وها أنا أغامرك غير مسرورة، لأنّي في كل القصص أراني مغبونة،
ولا يحترمني أحد، ما دام الجميع يتكلّمون هنا بصوت عالٍ والفوضى ضاربة
أطناها عندنا.

دورين : إذا ...

السيدة بَرْنال : أنتِ، يا صديقتي، ابنة تابعة غير متبوعة. ولسانك الطويل
يَنَمّ عن وقاحتك، وتتدخّلين كثيراً بما لا يعنيك، لمجرّد فرض رأيك.

داميس : ولكن

السيدة بَرْنال : أنتَ، يا ابني، شابٌ أحمق. وأنا جدّتك لا أتردّد في مصارحتك بذلك. لقد نَبّهتُ والدك ألف مرة الى إنك تتخذ دائماً موقفاً الولد المزعج. وهكذا لا ينوبه منك سوى وجع الرأس والعذاب.
مريان : أظنّ ...

السيدة بَرْنال : يا إلهي، كم أنت مسالمة، وكم أنت لطيفة. لكنك لا تتوقّفين في إصابة هدفك. ليتك تتذكّرين هول المآسي التي تنطوي عليها المياه الهادئة. وهكذا تتصرّفين بطريقة اعتباطية لا تؤمّن عقابها.
الأمير : لكن، يا أمّاه ...

السيدة بَرْنال : لا، لا تستائي، يا كتنّي. فإن تصرّفك غير سليم، وعليك ان تكوني في نظر أهلك قدوةً صالحة تُحتذى. أوّكد لك ان المرحومة والدتك كانت أفضل منك بما لا يُقاس. فأنت مسرفة، وهذا ما يغضبي كثيراً ولا أعفّره لك. ها أنت، ترتدين ألبسةً تليق بالأميرات. لا أنكر أنك تبغين بذلك إرضاء زوجك، يا كتنّي، لكنه هو لا يتطلّب منك هذه الزينة المبالغة.

كليانت : لكن، يا سيدتي، لا بدّ ...
السيدة بَرْنال : أمّا أنتَ، يا حضرة صهري العزيز، فأنا أقدرُك وأحبّك وأكرمك، لكن، ولو كنت كإبني، أرجوك أن لا تدخل بيتي. فأنت لا تكفّ عن وعظ الناس بحكّم سديدة، أنت لا يتقيّد بها. بينما أنا أصارحك ولا ألوّك الكلام الذي أصرّ على اسماعك إياه، كما يفرضه عليّ طبعي الحرّ.
داميس : صاحبكُ ترتوف المناق سعيدي بون شكّ.

السيدة بَرْنال : هو رجلٌ خيرٌ يجب الاستماع الى أقواله، ولا يسعني أن أرى مهووساً نظيرك يخاصمه بدون أن أتألّم واستشيط غضباً.
داميس : ماذا تقولين ؟ أترضين بأن ينتقدنا مراوغ مثله يغتصب السلطة ويستبدّ بدون أن نتمكّن من لومه، كما هو حال هذا المتشامخ علينا ؟.

دورين : إذا أصغى الانسان الى حكّمه وصدّقها، لا بدّ له من ان يمتنع عن ارتكاب الجرائم، لأن هذا الغيور على الفضيلة يراقب كل أفعالنا.
السيدة بَرْنال : وما يراقبه، يراقبه جيداً. وهو يظنّ أن يقود سواه الى درب

الجنة. وبما أن ابني يحبه عليكم أن تكرموه أنتم أيضاً.
 داميس : لا، يا أمّاه، هو ليس كالأب الحنون الذي يريد الخير لجميع
 أولاده. وأنا أخدع نفسي إذا تحدثت عنه بطريقة أخرى. لذا ترينني استشيظ
 غيظاً واخشى أن اتوه في مجاهل هذا الدجال.

دورين : نعم، سلوكه يزرع الشكوك في النفوس لأنه نكرة مجهول يحاول
 أن يتربّع على عرش المبرّات. بينما هو لصّ حقير خسيس النوايا. يوهم
 الناس بأنه يلبس مسح التوبة وهو أكبر المحتالين. يدّعي السيادة والكرامة
 وهو أغبي العبيد السفلة.

السيدة برّنال : أشكرك على تأييد وجهة نظري بفضح مآربه الوضيعة.
 دورين : أجل، هو يعتبر ذاته قديساً أمامكم، ولا يفيض باطنه في الواقع
 إلّا لؤماً ونفاقاً ومرءاة.

السيدة برّنال : هذا لسان حال جميع من خبروه.

دورين : أمّا أنا فلا ثقة لي به البتّة، مهما تظاهر به من أمانة وإخلاص.
 السيدة برّنال : وأنا أجهل حقيقة هذا الخادم الأحمق الذي يدّعي انه سيّد
 خطير. فأنتم لا تنوون له الشرّ ولا تصدقونه، لأنه يكشف لكم جميعاً
 حقيقتكم، ما دام قلبه ينفر من الذنوب، وهو لا يسير إلّا في الدروب
 المستقيمة.

دورين : ولكن لماذا منذ بعض الوقت، لا يريد معاشرتكم ؟ وهل تغضب
 السماء لزيارته المشرّفة حتى يضجّ هكذا بصخب ؟ وهل من سبيل للتفاهم
 فيما بيننا ؟ أظنّ أنه يغار منك، يا سيدتي.

السيدة برّنال : أصمتي، وفكّري بما تقولين. ليس هو وحده من يشجب
 هذه الزيارات. والشاهد على ذلك كل ما تشامخين بواسطته على هؤلاء
 الناس، اي كل هذه العربات المتزاحمة على بابك وكل هؤلاء الخدم المنشغلين
 بإبراز وجاهتك المزعجة في هذا الجوار. أريد أن أعتقد أنهم ليسوا سوى
 مظاهر خدّاعة كالسرّاب. على كل حال، ألسنة عديدة تلوك سمعتك. وهذا
 ليس بالامر الحسّن.

كليانت : هل تريدن، يا سيدتي، أن لا يكلم أحدنا الآخر ؟ وهذا في

الحياة مكروه ومذموم. فلو أنصتنا الى الأقاويل المغرضة لتحتم علينا ان نستغني عن أصدقائنا بسبب ما يبلغ سمعنا من نذالة أحاديثهم. وعندما نصمم على فعل ذلك، هل تضطر الألسنة الصديقة الى الصمت؟ إعلمي أن لا حدود للنميمة، فعلينا أن لا نُعير بذيء الكلام اذناً صاغية، وان نجتهد لنعيش ببراءة، وندع الثرثرة تختنق في حناجر النمامين.

دورين : جارتنا « دَفْنَة » وزوجها أوكيسا ممن يغتابون سُمعتنا باطلاً؟ وهما سيئا السلوك الى درجة تستدعي الهزء بهما، لأنهما دائماً اوائل الاشخاص الذين ينتهزون الفرصة لذمنا وتحقيرنا.

السيدة بَرْنال : كل حججكم باطلة لأننا نعلم أن « أورانت » امرأة مثالية وكل مساعيها تهدف الى عمل الخير، ومنها فهمت أنها لم تُنجج مع ذلك من الألسنة القارصة.

دورين : هذا مثل رائع لأن هذه المرأة فاضلة. لا أنكر أن نظرتها الى الأمور صارمة. لكن عمرها يشفع بغيرتها على عمل الخير. وكلنا نعرف أنها حريصة على إبقاء صفحتها بيضاء كالثلج، وأنها لا تألو جهداً في سبيل كسب القلوب، وأنها جديرة بكل ما تتمتع به من صفات حسنة. لكنها عند مشاهدتها ما يتبادله المحيطون بها من قُبَل، وهم يميلون الى التخلّي عنها، وصرف النظر عن نتائج ضعفها، تغضّ الرف عن عقوقهم وتقاوم الإستسلام بعد القلق الذي ساورها وترفض قساوة النساء المتعاليات وعتبهن الخاطيء، ولا تجهل مساوى الناس المتوارية وراء الخداع والرياء. وهي مقتنعة بأن التغاضي في هذه المواقف اثم اكثر من ان يكون ثواباً وجزاءً.

السيدة بَرْنال : هذا هو ما تستحقينه من روايات غريبة لإرضاء غرورك، يا كتنّي. لذا مع أنني أفضل في ضيافتك أن أأزم الصمت، وأنت لا تنقطعين طوال اليوم عن الثرثرة، أراني مضطرة الى التكلم عندما يأتي دوري لأقول لك : إن ولدي لم يكن عاقلاً باستضافة هذا الشخص الورع في بيته، كأن السماء أرسلته اليه بُغية إصلاح حال كل من ضلّ سواء السبيل. وأن خلاصكم من الهلاك المحتم يقتضي الإصغاء الى نصيح لضمان خيركم وسلامكم. هذه الزيارات والحفلات والاحاديث هي كلها من وحي ابليس.

فهنا لا يسمع المرء اقوالاً تدل على التقوى، لأنها بأجمعها لعنات وادّعاءات باطلة ترذل خيَار البشر، الأمر الذي يزعج أصحاب الضمائر الحيّة. في الحقيقة هذا برج بابل، بلي جحيم لا يُطاق. كل إنسان يتصرّف على هواه، ويهذي على غير هدى. أولاً تسمع هذا المتبجح يتمتم بالتفاهات ؟ إذهبوا الى المهووسين فيما بينكم ليُغرقوكم بالضحك والقهقهة. وأنا بدون أن أُودّعك، يا كُتتي، لا أُريد أن أزيد حرفاً على ما قد صرّحتُ به. واعلمي أنني لن أعود اليك إلاّ عندما يتغيّر هذا الوضع من الأساس. (تصفع فليبوت) هذا نصيبك، أيتها الواعظة، وسأعرف كيف أفرك لك اذنك عند اللزوم. هيا، سيرى أمامي فوراً.

المشهد الثاني

كليانت، ودورين

كليانت : لا أريد أن أذهب الى هذه المرأة، خوفاً من أن تشتمني وتشاجرني

...

دورين : حقاً، من المؤسف أن لا تسمعك وأنت تنطق بهذه الكلمات.

وإلاّ قالت عنك كل ما يرضيك، ويدعك تقابلها بأحسن التمنيات.

كليانت : مع انها حنقت على ترتوف ونعنته بأشنع الأوصاف..

دورين : أجل، كل هذا لا يليق بابنها، ولو سمعتها لصرخت : هل هناك

أقبح من هذه السماجة. لقد أرهقت أعصابنا لأنها، لإرضاء نزوتها، لم تحجم

عن إفراغ جعبتها من الإهانات بجسارة نادرة. ولكنها أضحت كالمغفل

المتهور منذ أن علمت بموقف ترتوف العنيد. لقد اعتبره ابنها كأخيه وأحبه

أكثر من أمه وابنه وابنته وزوجته. وجعله امين سرّه الوحيد ومستشاره في

اعماله يدلّله ويعانقه ويحنو عليه أكثر من أعزّ صيقه حميمة. هذا الذي

يرغب في تصدّر المائد، ويزدرد المآكل بمقدار ما يتناوله ستة اشخاص،

ويبتغي أطيب المآكل ويتدبر أمره لكي يتنازل له عنها الآخرون، وإذا « تدشى » يحبّ ان يقول له الجميع « رعاك الله ». (هنا تتكلّم إحدى الخادمت، وتواصل دورين قولها) أخيراً هو المهووس وحده يظنّ أنه محور كل ما في الحياة، وأن البطل، ويُعجّب ويتباهى به الجميع، ويؤتى على ذكره في كل مناسبة. أبسط أفعاله تبدو له كمعجزات، ويُعتبر كافة كلماته كأنها حُطَب رنانة. وانه هو الذي يعرف جيداً كل الأشخاص الذين يحتالون عليه ويتلذذون بالسخرية منه، فلا ينقطع عن التنديد بهم، ولا يتردد عن تلقينهم الدرس تلو الدرس كلما سنحت له الظروف بذلك. ثم ينتقل إلينا ليعاملنا نظيرهم باستعلاء وشموخ، ويلقي علينا مواعظه كأنه نبيّ قديس ونحن من أتابع ابليس.

المشهد الثالث

ألمير، ومريان، وداميس، وكليانت، ودورين

ألمير : أنت سعيد، لأنك لم تأتِ لتستمع الى الحديث الذي خاضته حماتك عندما كنتا قرب الباب. لكنني شاهدت زوجي بدون أن يراني. وها أنا صاعدة الى فوق لأنتظر مجيئه.

كليانت : أما أنا فأنتظره هنا، لأن الضجّة في هذا المكان أقل ممّا في سواه. وأودّ أن أراه لألقي عليه السلام فقط.

داميس : ألمحي له قليلاً الى زواج أختي، لأنني أظن أن ترتوف يعارضه نوعاً ما. وسيُجبر والذي على المواربة واللف والدوران، وانتم لا تجهلون كم يهمني أن أتدخل في الأمر، وإن كانت شقيقتي وفالير غاطسَيْن في هذه المشكلة المعقّدة. لأن أخت هذا الصديق عزيزة على قلبي، وإذا اقتضت المسألة ...

دورين : ها هو يدخل.

المشهد الرابع أوزكون، وكيانت، ودورين

أوزكون : نهارك سعيد، يا أخي.
كيانت : كنت على أهبة الخروج، ويسرني أن أراك عائداً. فالبرية الآن
غير مزهرة تماماً بعد، كما أتمنى.
أوزكون : يا دورين ... أرجوك أن تنظري بعين العطف الى زوج أختي،
وان تخففي الهمّ عني بما تزوديني به من أنباتك السارة. أحمد الله على
أنّ كل الأمور في هذين اليومين إنقضت على خير. قولي لي : ماذا يجري
هنا ؟ وكيف حالك الآن ؟.
دورين : لقد انتابت الحمى السيدة يوم أمس ولازمتها حتى المساء ورافقها
صداع شديد لا يُطاق.
أوزكون : وماذا حلّ بصاحبنا ترتوف ؟.
دورين : ترتوف يتمتع بصحة جيدة، وهو ممتلئ شحماً ولحمًا، وخذاه
وردياً اللون.
أوزكون : مع ذلك، مسكين هذا الرجل.
دورين : مساءً داهم السيدة قرفٌ غريب، ولم تستطع على المائدة أثناء
العشاء أن تضع لقمة على فمها، وقد أرهاقها الصداع.
أوزكون : وترتوف ماذا دهاه ؟.
دورين : لقد تعشى وحده أمامها، وبكل خشوع إلتهم حجّلين كاملين مع
نصف فخذٍ مفروم.
أوزكون : يا له من مسكين قليل الشهية حقاً.
دورين : إنقضى الليل بطوله ولم يغمض للسيدة جفن. لأن الحمى لم تدع
لها مجالاً كي تغفو لحظة. فسهرنا الى جانبها تقريباً حتى طلوع الفجر.
أوزكون : وترتوف ؟ أرجوك أن تُعلميني ماذا فعل ؟.
دورين : غلب النعاس عليه فانتقل من غرفة الطعام الى حجرة النوم، وفي
سريه الدافئ نام حالاً بدون أي انزعاج حتى صباح الغد.

أوزكون : مسكين هذا الرجل، مسكين.
دورين : في آخر الأمر، نرؤ عند إلحاحنا رضيت السيدة بأن تُفصد، فما عتمت أن ارتاحت.
أوزكون : وترتوف، كيف تصرف ؟.
دورين : استعاد شجاعته كالمعتاد، وبدون اي قلق عوّض للسدة ع ن الدم الذي فقدته بالفصد. وأثناء تناوله طعام الإفطار تجرّع اربعة كؤوس من الخمر.
أوزكون : في الحقيقة، مسكين هذا الرجل المثالي.
دورين : اخيراً تحسنت صحّة الاثنين معاً. ها أنا ذاهبة لأنبيئ السيدة باستفسارك عن نقاهتها وتمائلتها الى العافية.

المشهد الخامس

أوزكون، وكليانت

كليانت : هي تسخر منك وتضحك عليك. وبدون أن أقصد إغضابك أسألك بكل نزاهة، هل لقيت في حياتك نظيره صاحب أهواء خبيثة ومزاج سميح ؟ وهل وجدت رجلا مثله يتمتع بمزجة تنسيك كل ما عدا شؤونه الخاصة به، وتجعلك لا تهتمّ باصلاح أحوالك البائسة وإصلاح محيطك أيضاً ؟.
أوزكون : رويدك، يا زوج أختي. أنت لا تعرف شخصية من تتكلم عنه.
كليانت : أنت تقول إنني لا أعرفه ؟ ولكن، لكي تعلم حقيقة هذا الرجل ...
أوزكون : سيسرّك، يا أخي، أن تعرفه. ولن يكون لدهشتك من حدود. هو رجل .. رجل ... أخيراً هو رجل يُتقن جيداً علومه، ويتدوّق السلام بعمق، وينظر الى الناس كأنهم جهلاء. نعم، تراني أتحوّل فوراً الى شخص آخر عندما أتكلم عنه. لأنه يحول دون عطفي على أي مخلوق سواه، ويقصيني عن كل صداقة، ويجعلني أنظر الى أخي واولادي وامي وزوجتي بلا مبالاة، وأن لا أكرث لهم وأهتمّ بمصيرهم.
كليانت : هذا ما يحمله بين ضلوعه من العواطف الانسانية.

أوزكون : لو رأيتَ كيف عرفته لكنتَ صادقته بلا إمهال. فكل يوم يُصَلِّي بخشوع وهو يتقرَّب اليّ بوداعة ويستقطب أنظار الجميع بما يظهره من التقى، والحسرة على ما بدر منه من تقصير في الواجبات. وعندما أخبرني صديق بأنه يحتاج الى المال بادرت الى مساعدته بكل تواضع وأعطيته بعض المال، فأصرَّ على ردِّ جميلي قريباً، وقال لي : يكفي نصف هذا المبلغ، لأنني لا أستحقُّ شفقتك. غير أنني رفضت ان أسترد ما منحته اياه. فأسرع الى توزيعه على الفقراء تحت نظري. ومنذ ذلك الحين إنفرج ضيقه وازدهرت أحواله، وإذا به يستردُّ كل ما فقده من اموال، وراح يهتمُّ بزوجتي، ثم نبهني الى الناس الذي كانوا يغمزونها بعيونهم، وأخذ يغار عليها اضعاف غيرتي أنا. ولن تصدَّقوني اذا قلت لكم الى أي مدى بلغت به الغيرة، إذ راح ينسب الى ذاته كل شاردة وواردة تحصل، وبات أتفه أمر يلاحظه يُدخل الشك الى نفسه حتى دفعته جرأته الى الشكوى من مشاهدته بعوضة وهو يصَلِّي فقتلها من شدة غيظه لدى مضايقته إياه وعدم تحمّله طنينها. كلياتُ : صدَّقني، أنتَ مهووس، يا أخي. أتريد أن تسخر مني بسرِّك لي خيراً تافهاً كهذا ؟ فماذا تقصد بهذا الإطناب ؟.

أوزكون : من هذا الحديث تشتمُّ رائحة تهتكه، يا أخي. فلا بدَّ من ان تكون متطرِّفاً، وأنا أدري الناس بما يتنازعه من سوء النية.

كلياتُ : هذا حديث ساذج يطلقه كل من يريد أن يشمل الجهل محيطه. أنا اعتقد ان الاستهتار انتقل الى كل من له عينان ولا يبصر، ويمتنع عن الالتفات الى مثل خزعبلات هذا المحتال الذي لا يخاف الله ولا يحترم المقدَّسات. إعلم أن احاديثك عنه فقدت كل تأثير عليّ. وبثُّ نظير العديدين غيري، لا آبه الى تصنّعه وادّعائه الصلاح. فهناك مئات الأتقياء المرائين، والادعياء المخادعين الذين لا يدرون ماذا يفعلون والى أين هم صائرون. فالمؤمنون الحقيقيون هم الذين لا يبغون اثاره الضجة حولهم، ولا ينتحلون الفضائل بنفاقهم ومظاهرهم الغشاشة. وشتان بين التقوى والمراعاة، وهيئات أن يلتقي الصدق وكذب الدجالين على صعيد واحد، والشبح والشخص الاصيل، والعملة المزيفة والنقود الاصلية. صدَّقني إنَّ أغلب الناس برعوا

في المحاباة، لكننا لا نراهم على جليّة طبيعتهم. فالعقل بالنسبة اليهم محدود الأفق، وأنبيل الغايات غالباً ما تفسد إذا أُريد استغلالها في غير غايتها الصحيحة. فإن كان لك أذن صاغية فلتسمع.

أوزكون : اجل، أنت بدون شكّ ملفان وقور. وكل علوم الدنيا تدين لك بالمهارة وسعة الاطلاع. لأنك العليم الحكيم الوحيد، بل انت فلتة زمانك ونابغة عصرك وأوانك. وكل ما عداك في محيطك غارق في الجهل والغباء. كليات : انا لست ملفاناً مُميّزاً ولا أحصُر معارف الدنيا في دماغي. لكنني بكلمة وجيزة أدرك، من جملة معلوماتي، اني أعرف الخطأ من الصواب. وبما اني لا أعلم الى أي نوع من الأبطال ينتمي التقّي الكامل الصفات، ليس عندي انبل وأروغ من الورع الحقيقي، ولا أنبش ممن يشبه القبور المكسّسة، خارجها ناصع البياض، وفي باطنها أنتن العفن. على هؤلاء المشعوذين المضللّين ان يُقلعوا عن تدينسهم ما يتباهون به من المظاهر الخداعة التي يتاجرون بها، وهم يتوسّلون بذلك كسب الكرامة على حساب من يتهمونهم بالدعارة التي يمارسونها هم أنفسهم ليغنموا ما يطعمون به من جاه وثراء. وهم يوارون رذائلهم وطمعهم تحت ما يدعون من العقّة وينتحلون من الفضائل المزيّفة. فلا يتورعون عن قتل الارواح وحتى الأجساد بواسطة أقدس ما يُجلّه ويجلّه الجميع. في عصرنا الحاضر، يأخي، كم من الأمثلة المجيدة تخفي وراءها الخزي والعار. أنظر الى فطاحل الشهرة وأعلام الجهادية نظرة فاحصة، تبصر أن معظمهم أدياء جبناء يستترون بمظاهر النبّل والشهامة لنيل مآربهم، وتدرّك ان الخاطي يتشبّه بالأسف سطحياً على خطيئته لعله يستدرّ عطف الغيورين الصادقين. هؤلاء هم جماعتي، وهذا هو سرّ تصرفهم الغبي المشين. وهذا هو المثال الذي يغرهم لمعانه كالسراب الخادع. في الحقيقة، صاحبك ليس من هذا النمط، لكن حُسن نيتك. يحملك على الإشادة بتفانيه المبطن باللؤم لأن بريق دجله قد خلّب نظرك.

أوزكون : يا زوج أختي العزيز، أرجوك أن تصارحني : هل أفرغت جعبتك ؟.
كليات : نعم.

- أوزكون : أنا في خدمتك (يهّم بالخروج).
- كليانت : أرجوك أن تصغي اليّ، يا اخي، لأقول لك كلمة أخيرة. دع هذا الحديث عند هذا الحدّ. فأنت تعلم أن فالير بصفته صهرك قد استمد حديثه منك.
- أوزكون : نعم.
- كليانت : وانت قد أفضت في الكلام للوصول الى علاقة هكذا وثيقة.
- أوزكون : لا أنكر ذلك.
- كليانت : لماذا اذا تريد تأجيل إعلان النتيجة ؟.
- أوزكون : لست أدري.
- كليانت : هل هناك فكرة معيّنة تجول في رأسك ؟.
- أوزكون : ربما.
- كليانت : وهل تريد أن تُخلّ بتعهدك ؟.
- أوزكون : انا لا أقصد ذلك.
- كليانت : اذاً ليس من عقبه تقف في سبيل الوفاء بوعدك.
- أوزكون : هذا يعود الى ...
- كليانت : هل تحتاج الى هذا التستر لتعلن كلمتك ؟ لقد دعاني فالير الى زيارتك لخوض هذا الموضوع.
- أوزكون : الحمد لله.
- كليانت : لكن ماذا أقول له ؟.
- أوزكون : كل ما يرضيك.
- كليانت : عليّ قبلاً أن أعرف مرامك. فماذا ترغب ؟.
- أوزكون : أن يتم ما يشاءه ربّك.
- كليانت : علينا أن نتصارع جدّياً. فالير هو من رأيك. هل تسانده أم لا ؟.
- أوزكون : الوداع.
- كليانت : في سبيل حبّه أخشى أن نبوء بالخيبة والفشل. ولا بدّ من أن أنبّهه الى كل ما يجري الآن هنا.

الفصل الثاني

المشهد الأول

أوركون، ومرّيان

أوركون : يا مريان.

مرّيان : نعم، يا أبي.

أوركون : إقتربي مني، فلديّ ما اخبرك به سرّاً.

مرّيان : عن ماذا تبحث ؟.

أوركون : (ينظر الى غرفة صغيرة) : هل من يستمع الينا ها هنا ؟ لأن هذا المكان معرّض للمفاجأة. لكن يُخيّل الي أنّنا في مأمنٍ من شرّ كل دخيل. لقد عرفتك على الدوام، يا مريان، دمثّة الأخلاق. وأنت كذلك عزيزة على قلبي.

مرّيان : أنا أقدر محبّتك الأبوية، يا أحلى الآباء.

أوركون : قولك هذا الصادق، يا ابنتي، يهيج قوّادي. ولكي استحقّه منك كما يجب، عليك أن تجتهدي لإرضائي.

مرّيان : يسعدني أن أكون عند حسن ظنّك بي.

أوركون : هذا ما ارجوه على الدوام. ما رأيك بضيفنا ترتوف ؟.

مرّيان : رأيي أنا ؟.

أوركون : نعم أنت. أصدقيني ما تفكرين به من نحوه.

مريان : يا للأسف، عليّ أن أقول فيه ما تريده أنت.
أوركون : هذا كلام حكيم. قل لي اذاً، يا ابنتي، إنه شخص عالي المقام،
وإنه قريب الى قلبك، وإنه لطيف، وتودين أن اختاره زوجاً لك. ماذا تقولين؟
مريان : (تراجع مدهوشة) : ماذا أقول؟
أوركون : نعم ماذا تقولين؟
مريان : أرجوك ...
أوركون : ماذا؟
مريان : ما هذه المباغثة؟
أوركون : ماذا أسمع منك؟
مريان : هل تريد أن أعلن لك، يا أبي، أنه قريب الى قلبي، وأنه لطيف،
وأودّ أن تختاره زوجاً لي؟
أوركون : طبعاً، إن قصدتِ ترتوف.
مريان : اقسم لك، يا أبي، إنني لا أحسُّ مطلقاً بمثل هذا الشعور. فلماذا
تريد أن تُرغمني على التصريح بذلك زوراً وبهتاناً؟
أوركون : أرغب في جعل هذه الفكرة حقيقةً ملموسة. ويكفيك سروراً
أنني قرّرت إتمام ذلك لأجل سعادتك، يا حبيبتي.
مريان : ماذا تقول؟ هل تريد يا أبي؟ ...
أوركون : نعم، يا ابنتي. أرغب، عن طريق زفافك، جعل ترتوف من أفراد
أسرتنا. سيصبح قريباً زوجك، لأنني قرّرت ذلك نهائياً. وحسب امنيتك،
أريد. ...

المشهد الثاني

دورين، وأوركون، ومريان

أوركون : ماذا تفعلين هنا؟ حبّ استطلاعك دافع قوي، يا صديقتي، لكي
تأتي وتسترقّي السمع هكذا اثناء حديثنا.

دورين : حقاً، أنا لا أعرف إن كانت هذه إشاعة تنطلق عن سابق تفكير وتصميم، أو هي مجرد صدفة عابرة. غير أن هذا النبأ، حالما بلغني، إعتبرته محض هراء.

أوزكون : هل تظنين أن المسألة لا تُصدّق ؟.

دورين : الى درجة أنني لا أصدّق أيضاً حديثك أنت عنه.

أوزكون : أنا أعرف طريقة تجعلك تصدّفينه كأنه يقين لا يرقى اليه أدنى شك.

دورين : نعم، نعم، أنت تقصّ علينا حكاية طريفة.

أوزكون : أنا أخبرك بما سيشهده الجميع قريباً بأمّ العين.

دورين : هذا كلام لا أساس له من الصحة.

أوزكون : إنّ ما أوّكده لك ليس لعب أطفال.

دورين : لا تصدّقي ما يعلنه والدك. لأنه يمازحنا..

أوزكون : أوّكد لك ...

دورين : مهما أكّدت، لن يصدقك أحد منّا في هذا الشأن الخطير.

أوزكون : لن أتمكنّ من كظم غيظي اكثر مما فعلت حتى الآن.

دورين : واذا صدّقتك فهذا لن يكون من صالحك. ما قولك، يا سيدي،

وأنت رجل عاقل، ولحيتك التي خطها الشيب تُضفي عليك الوقار، تريد

أن ترتكب حماقة بل جنوناً.

أوزكون : أنتِ تسمحين لنفسك بالتطاول عليّ. وهذا طبعاً لا يرضيني،

يا صديقتي.

دورين : أرجوك أن تجاذبني أطراف الحديث بدون أن تستاء، يا سيدي.

هل تريد أن تهزأ بالناس بتدبيرك هذه المؤامرة الوضيعة ؟ لن تكون إبتك

ضحية تزمّت مبالغ. هناك مواضيع أخرى يجب عليك أن تفكّر بها. ثم

ماذا يفيدك مثل هذا الزواج ؟ وما الذي أغراك لإختيار مثل هذا الصهر اللئيم ؟

أوزكون : أصدمتي، واعلمي أنه لهذا السبب يُعجّل ترتوف، إذ إنه ظل في

بؤسه شريفاً، ولا بد من ارتفاعه لذلك فوق العظمة الأرضية بما أنه حرّم

نفسه من الاموال والأباطيل المادّية. ومن جرّاء اهتمامه الزهيد بالمشاغل

الدينيوية ترينه يتعلّق بالمباهج السماوية. غير ان إسعافنا يساعده على إيجاد

الوسائل الضرورية لاسترجاع أرزاقه، وحسب أحواله يُعتبر رجلاً كريماً محترماً.

دورين: نعم، هذا ما يدعيه هو عن ذاته. لكن تشامخه لا ينسجم مع ما يتظاهر به من التقوى التي، على أساس الحياة المجردة المتقشفة، يجب أن تتحلّى بالبراءة والنزاهة، بدون أن يتكل كثيراً على عراقه حسبه ونسبه، بل على تواضعه وحرارة إيمانه التي تماشي طموحه. فلماذا يتمسك بالتعالى والكبرياء؟ هذا الحديث يجرح إحساسك. فلتتكلم أذاً عن شخصه، ولندع نبل أصله جانباً واصدقني هل تجد مناسباً إقتران مثل ابنتك برجل نظيره؟ وهل تأمل من هذا الزفاف السعادة والهناء، عندما تضطر العروس الى قبول شريك حياتها مرغمة؟ جوهر القضية يكمن في أن يكون للعريس صفات كريمة تؤهله لمنحها الوفاء والإخلاص كما تأمل. لأن بعض الأزواج من طرازٍ مُعيّن ليسوا جديرين بما على العروس أن تضعه فيه من ثقة غير محدودة، وإلا تعرضت الى شرّ المخاطر التي تنال منها إن أساءت الإختيار أو كانت غير راضية.

أوزكون: لا أكتمك أن عليّ أن أعرف منها أساليب الحياة الهنيئة التي تهفو إليها.

دورين: الأولى بك أن تتلقّي مني بعض الدروس في هذا الموضوع. أوزكون: دعينا من التلهّي بهذه التوافه، يا ابنتي. أنا أدري الناس بما يجب عليّ أن أفعله كأب عطوف. لقد وعدت فالير بأن أزوجه إياها. وقد فهمت أنه يميل اليك، مع أنني أظنه متماهل قليل الإيمان.

دورين: هل تريد أن يتودّد إليك مراوغاً، ويتظاهر بما ليس فيه حقيقة؟ أوزكون: أنا لا أطلب رأيك في هذا الشأن. واعلمي أنني لست غيبياً، وأني أجد فعلاً في هذا الزواج تحقيق أحلى امنياتنا. وأنا على يقين بأن هذا العريس لا غاية له إلاّ إسعادها، وأنهما سيقضيان العمر كله متفاهمين متحابين، وأنه من جهته سيفعل كل ما يرضيها وما تأمل هي بأن يغدقه عليها من العطف والحنوّ..

دورين: بينما هي، بعلم رضاها، ستدفعه الى الحماقة والهوس.

أوزكون : ما هذا الكلام السخيف ؟
 دُورين : لا أتوقّع إلا ما ستأتينا به الأيام حتماً، لأن فضيلة ابنتك، يا سيدي،
 في هذا الوضع غير المعقول، ستنقلب لا محالة الى لؤم وغباء.
 أوزكون : كُفّي عن مقاطعتي، والزمي السكوت، بدون أن تواصلني تدخلك
 في ما لا يعنك وما لا تدركين فحواه.
 دُورين : أنا لا يهمني إلاّ مصلحتك وصالح ابنتك (تقاطعه وهو يلتفت ليكلّم
 ابنته).

أوزكون : تطفلك تعدي كل الحدود. أرجوك أن تصمتي.
 دُورين : لو لم أكن أحفظ لشخصك مودة فائقة لكنت ...
 أوزكون : أنا لا أطلب مودة أحد.
 دُورين : سأكرمك رغماً عنك يا سيدي.
 أوزكون : هذا جميل حقاً.
 دُورين : راحة بالك غالية عندي، ولا أطيق أن يتناكب أي غمّ أو ندم.
 أوزكون : ألاّ تريد أن تلزمي السكوت أخيراً ؟
 دُورين : ضميري لا يطاوعني على تركك تتمّ هذا الزفاف غير المرغوب.
 أوزكون : ستصمتين، أيتها الأفعى، وقد بلغت بك الوقاحة ...
 دُورين : دورين : أنت تحسب نفسك تقياً ورعاً وتستسلم الى الغضب ؟
 أوزكون : أوزكون : نعم، لأن صبري نفذ تجاه كل هذه الحماقات، وأنا
 مصمم على إسكاتك.
 دُورين : ليكن ما تريد. واذا لم أنبس بينت شفة، فهذا لا يعني أنني غيرت
 تفكيري.

أوزكون : فكّري كما تشائين، ولكن قفي عند حدك (يلتفت الى ابنته ويواصل
 كلامه). لا أريد أن أسمع أية كلمة أخرى في هذا الموضوع. كفي، فأنا
 كرجل ناضج راجح العقل، قد قيّمت جوانب هذه القضية، وأعرف جيداً
 ما نويت على إتمامه.
 دورين : سأجنّ، إن أنا سكّت كما تطلب مني. (تصمت حين يدير رأسه).
 أوزكون : فضلاً عن أنّ ترتوف ليس رجلاً مستهتراً، أنا أعرف ما يتّسم
 به من الصفات الحميدة.

دُورين : لا أنكر أنه وسيم الطلعة. لكن هذا لا يكفي.
أوزكون : حتى إن لم تَرَيّ فيه أية مزية حسنة، لا يسعك أن تنكري أنه
موهوب (يلتفت إليها ويقف أمامها مكتوف اليدين).

دُورين : ها قد وصلتها هكذا جميع حقوقها. مسكينة، لو كنت أنا مكانها
كصبيّة برسم الزواج، لما رضيت بتاتاً بأن أُجبر على قبول مثل هذا النصيب
الرديء. وإن تمّ ما لا أرغب فيه، سأريه بعد الزواج ما تستطيع المرأة على كل
حال أن تلجأ إليه من الحيل ووسائل الإنتقام.

أوزكون : وأنا أوكد لك أن حرفاً واحداً لن يتغيّر مما قد قررت الإقدام عليه.

دُورين : لماذا هذا الوعيد ؟ أنا لا أوجه كلامي اليك.

أوزكون : لمن توجّهين إذاً حديثك هكذا بعناد ؟.

دُورين : أنا أحاطب نفسي.

أوزكون : جميل جداً. ولكي أعاقبك على وقاحتك، لا بدّ لي من أن أصفحك
وألقنك درساً لن تنسيه مدى العمر. (يستعدّ لصفع دورين؛ بينما هي تنتصب أمامه بقامتها
الهيفاء، بدون أن تُخري جواباً، ثم يتابع هو كلامه) عليك يا ابنتي أن تقنعها
باستجابة رغبتني وتنفيذ قراري ... يجب أن تدركي أن الزوج الذي ...
اخترته لها ... لماذا لا تنطقين الآن ؟.

دُورين : لم يبق لديّ ما أقوله.

أوزكون : أمّا أنا فلي أيضاً كلمة اخيرة أضيفها.

دُورين : لن يعجبني ما ستتلّفظ به حضرتك.

أوزكون : أجل، هذا ما أتوقّعه منك.

دُورين : أقسم لك بأنّي لستُ حمقاء كما تظنّ.

أوزكون : أخيراً، يا ابنتي، لا بدّ لك من تحريضها على إطاعة أوامري
وإعارة اختياري لها ما يستحقّه من الإهتمام والإذعان.

دُورين : (وهي تهرب) : أنا أزدري بالموافقة على الاقتران بهذا العريس
المفروض.

أوزكون : (يحاول أن يصفعها ولا يصيبها) : حقاً أنتِ يا ابنتي حظك تعيس
وافكارك قاصرة. وأنا يصعب عليّ أن أعيش بصحبتك بعدما بدا منك من

نفور وعناد. اعتقد أنني لن أستطيع أن أحيأ بعد اليوم قرير العين وقد لمست ما تنطوي عليه نواياك من تمرد وعقوق. لا بد لي من الخروج بعض الوقت لتنشق الهواء الطلق، لعلّي أستعيد أنفاسي التي كادت وقاحتك أن تخنقها.

المشهد الثالث

دورين، ومريان

دورين : هل فقدت موهبة النطق، وهل وجب عليّ أنا أن اتقمص شخصيتك وأقوم بدورك وأتولى الإجابة عنك ؟ هل بلغت بك قلة الإكتراث الى درجة أن يُعرض عليك مشروع زواج سخيّف وأن لا تُردّي بكلمة واحدة لترفضيه ؟
مريان : تجاه والد مستبدّ ماذا يسعني أن أفعل ؟
دورين : ما لا غنى عنه لدفع هذا التهديد الخطير عنك.
مريان : ماذا تقولين ؟

دورين : أفهميه أن قلبك لا يميل الى العريس المفروض، وأنتك ستتزوجين أنتِ لإرضاء عواطفك وتلبية نداء حبك. ولن تقتربي أبداً بأي عريس يرضيه هو وحده. قللي لي، بما انك تتزوجين أنتِ لا هو، ستقبلين بالرجل الذي يعجبك أنتِ لا هو. وإذا كان صاحبه ترتوف عزيز عليه لما يراه فيه من الصفات والجادبيّة، فليتزوجه هو بدون إبطاء.

مريان : لا تنسّي أن لوالدي عليّ حقوقاً، وأني لا أقوى على معاندته.
دورين : لكن عليك أن تفكّري، وأن لا تنسّي أنتِ أن فالير قد أقدم على طلب يدك من ابيك. والآن، أصدقيني هل تحيينه حقاً أو لا.

مريان : أنت اليوم تظلميني بسؤالك هذا يا دورين. وهل يسعك أن تطرحي عليّ مثل هذا السؤال ؟ وأنت تعلمين يقيناً ما يكتّه له فؤادي من وله ووفاء.
دورين : لكتّي لا أعرف إن كان لسانك نطق حقاً بما يفرض به قلبك، وأن فالير فعلاً هو حبيبيك المفضّل المختار.

مرّيان : مريان : قلت لك منذ هنيهة أنك تظلميني بهذا السؤال. وأنت تعلمين مقدار هيامي وشوقي الى من أسر قلبي وملاً حبه حنايا ضلوعي.
دورين : إذا أنت متعلقة به الى هذا الحد.
مرّيان : أجل لقد استحوذ على كل عواطفني ومشاعري.
دورين : وعلى ما يبدو، إنه هو من جهته يبادلك هذا الوله.
مرّيان : لا شك في ذلك.
دورين : وكلاكما تتوقان الى الارتباط قريباً بوثائق الزواج المبارك.
مرّيان : طبعاً، بلا ريب.
دورين : فما رأيك بالعريس الذي يعرضه عليك والدك ؟
مرّيان : أفضل الموت على الرضوخ الى هذه الفكرة البغيضة.
دورين : حسن جداً. هذا تصميم من قبلك لم أكن انتظره بهذه السهولة.
وهل عليك أن تقبلي بالموت لتتخلصي من هذا المأزق ؟ دواء علتك هذه سحريّ عجيب. وكلما خطر بيالي مشروع ابيك أكاد أجنّ من اليأس، وانفجر من الغيظ.
مرّيان : يا الهي. ما هذا الكلام ؟ ماذا دهالك لكي تفقدي أعصابك إزاء مشكلتي العسيرة الحل ؟
دورين : أنا لا أتأثر بالتوافه، ولا يسعني السكوت عما يتهدّدك من شقاء، اذا لم تعمدي الى ردة فعل منقّدة.
مرّيان : لكن، ماذا استطيع أن أفعل ؟ وأنا قليلة الجرأة والإقدام.
دورين : لصيانة حبك وهنائك، لا بدّ لك من التصميم والإصرار والجرأة.
مرّيان : قلبي المغرّم يفيض بالحب والحنان نحو فالير. أوّلئس عليه هو أن يتشجع ويتقدّم الى طلب يدي من ابي.
دورين : ولكن، ما هذا القول ؟ هل تعتقدين حقاً، اذا كان والدك الرجل المستبدّ قد صمّم على مصاهرة ترتوف، أن مسؤولية تحقيق هذا الزواج الذي لا ترغبين فيه، تقع على حبيبيك بسبب تقاعسه عن طلب يدك ؟
مرّيان : غير أن رفض أبي وازدراءه بعريسي المفضّل، لن يغيّر حرفاً من عزمه، رغم ميلي الى غير من اختاره لي والدي. فهل عليّ أن أخرج

عن حيائي الأنثوي كابنةٍ مُحبّةٍ، وأن اكشف. للناس عمّا يخالج قلبي من حب وشوق مكبوتين بسبب موقف أبي المتشبّث بمشروعه. **دُورين** : لا، لا. أنا لا أقصد أن تصلي الي هذا الحدّ. هكذا ستكونين من نصيب السيد ترتوف، على ما ارى، وألاحظ أنني مخطئة عندما أحرضك على اتّباع هوى قلبك وابتعادك عن هذا الزفاف الذي تحبّذينه ضمناً. ولماذا أعارض ميلك الي شخص ربما يناسبك وقد تحبّبه يوماً؟ السيد ترتوف يعرضه عليك والدك، وإن لم يكن الرجل الذي تترتاحين اليه، أنتِ لا تودّين أن تصبّحي شريكة حياته، مع أن كل المحيطين بك يقدرونه ويكرمونه. هو مشكور في بيئته، ومرشح للزواج لا يجد أحدٌ عليه أي غبار. أذنان حمران وبشرته زهرية اللون، ويُعتقّد أنك ستسعين في الحياة مع مثل هذا الزوج.

مريان : يا الهي ...

دُورين : ما هو مدى السعادة التي ستلقينها عندما سيعقد هذا العريس قرانه عليك؟ لست أدري.

مريان : ارجوك أن تكفّي عن هذه المجاملة، وأن لا تناقشيني بأمر هذا الزفاف. فلقد قضى الأمر، وأنا استسلمت الي هذه الفكرة، وبتّ جاهزة لقبول كل ما يُفرض عليّ.

دُورين : أنا لا أنكر أن من واجب الفتاة أن تطيع والدها حتى إن قصد أن يرفها الي قرد. فهذا هو نصيبك البهيج، وليس لك أن تدمري منه. ستسافرين معه بالعربة الي مدينته الصغيرة المجاورة الغاصّة باعمامه واولاد اعمامه الذين سيسرّك أن تجاملينهم. أولاً ستذهبن الي جماعة من الطيّبين وستزورين بادئ ذي بدء سيّدات مجتمعه فيجلسونك على المقاعد الوثيرة، وتدعّين الي الحفلات الموسيقية الراقصة، وأحياناً الي مشاهدة الألعاب والمشعوذين، مع أن زوجك ...

مريان : أنت تعذّينني بهذا التعداد. أرجوك أن تسعفيني بنصائحك القيّمة كعادتك، لا بمزاحك الساخر الذي يأتي الآن في غير محله.

دُورين : أنا في خدمتك، يا عزيزتي.

مرّيان : أرجوك، يا دورين ...
دورين : لا بدّ من أن تمرّ هذه المرحلة الصعبة وتعبّر على خير وسلام.
مرّيان : يا صديقتي ...
دورين : لا، لا ...
مرّيان : اذا كانت رغباتي ...
دورين : أبداً. ترتوف هو عريسك، وعليك أن تجرّبي حظك معه.
مرّيان : أنت تعلمين أنني على الدوام إتكلت عليك. فأرجوك ...
دورين : لا بدّ من أن تصطبغي بصبغة ترتوف.
مرّيان : ما دام مصيري لا يُلّين قلبك، دعيني إذا استسلم الى قنوطي، والجأ الى طالعي مهما كان ليعينني على تحمّل عذابي ومعالجة ألمي (تهم بالإنصراف).
دورين : هيا، هيا إرجعي، وسأتخلّى عن غيظي وغضبي. لأنني أرى من الضروري بالأحرى أن أشفق عليك وأرثي لحالك.
مرّيان : إعلمي أنني، إذا تعرّضت الى هذا الاستشهاد الجائر، يا دورين، سأموت قهراً وكمدأ.
دورين : لا تقلقي، يا عزيزتي. فبالإمكان منع حدوث ذلك ببعض المهارة ... ولكن، ها هو حبيبك فالير قادم الينا.

المشهد الرابع

فالير، ومرّيان، ودورين

فالير : سمعت منذ لحظة، يا سيدتي، نبأ ساراً على ما اظن ...
مرّيان : وما هو؟
فالير : انك ستزفّين الى ترتوف.
مرّيان : لقد صمّم ابي على تحقيق هذا المشروع.
فالير : والدك هو الذي صمّم يا سيدتي ؟ ...

- مرّيان : ولا سبيل الى تغيير هذا المخطّط إلا اذا عدل هو عنه.
- فالير : ماذا تقولين ؟ هل المسألة جدّية إذاً ؟ ...
- مرّيان : نعم جدّية. ويُخيّل اليّ أنه مصمّم أكيداً على تنمिम هذا الزواج.
- فالير : وما هو موقفك أنتِ من هذا المشروع يا سيدتي ؟.
- مرّيان : لست أدري.
- فالير : أحقّاً لا تدرين ؟.
- مرّيان : كلاً.
- فالير : أمر غريب.
- مرّيان : بماذا تنصّحني ؟.
- فالير : أنا أنصّحك بأن تتزوّجي.
- مرّيان : وهل تنصّحني بالقبول به ؟.
- فالير : نعم.
- مرّيان : جدّياً ؟.
- فالير : بدون شكّ. فالاختيار جيّد، ويجدر بك أن توافقني عليه.
- مرّيان : إذاً سأعمل بموجب نصّحك، يا سيدي.
- فالير : أظنّ أنك لن تلاقني صعوبة في اتباع نصيحتي.
- مرّيان : ليس أكثر من جودك عليّ بتقديم هذه المشورة لي.
- فالير : أنا، يا سيدتي، لم أقدم لك نصّحي إلا لأرضيك.
- مرّيان : وأنا سأعمل بموجبها لأعجبك بدورك ليس إلاّ.
- دُورين : مهلاً، مهلاً : ما الفائدة من هذه المشاكسة الغبيّة ؟.
- مرّيان : لا جدوى من مواصلة هذا الهزار. أرجوك أن تكفّ عن هذه المكابرة. لقد صرّحت لي بأن عليّ القبول بمن يقدمه لي ابي كعريس.
- وأنا اعترفت بأنّي أنوي القبول به لا سيما عندما نصّحتني بذلك عن طيبة خاطر.
- فالير : لا تعتذري عمّا بدر مني من موافقة على ما أنت أبرزته لي كقرارك النهائي في هذا الموضوع، وتحتجّي بهذا المهرب لتبرّري عدم وفائك بعهودك تجاهي.

مرّيان : هذا صحيح. وأنا لا أنكر ذلك.

فالير : بدون شك، لأن قلبك لم يخفق يوماً بحبي عن صدقٍ وإخلاص.

مرّيان : يا للأسف. كيف تسمح لنفسك بمثل هذا التفكير الساذج؟

فالير : نعم. اعتبرت ذلك مُباحاً لأنك دست قلبي. وأنا لن أكون غيبياً كي لا أدافع عن كرامتي المهانة، وإبائي المهذور، ما دمت قادراً على مدّ يدي إلى من يقبلها من الصبايا بامتنان.

مرّيان : لا شك عندي بنواياك الطيبة. وآسف لأنك لا تستحق ما اكنته لك من مودّة.

فالير : يا إلهي. دعي جانباً ما استحقته أنا، لأنه أقلّ من القليل في نظرك. وأرجو أن أوفق إلى من لن أندم على الوثوق بها هذه المرة. فلا تهتمي بشأني لأن الأيام كفيلة بإنصافي.

مرّيان : الخسارة ليست فادحة على كل حال. وهذا التبديل سرعان ما يجد المرء له عزاء.

فالير : سأسعى كل جهدي. ويمكن بالك أن يطمئن. فالقلب الذي ينسى حبيبه لا يصعب عليه أن يلاقي النسيان والسلوان. وإذا لم يتوصّل إلى راحة ضميره، على الأقلّ يتظاهر بعدم المبالاة. لكن هذه الجبانة لا تُنسى بسهولة، ولن توحى بالمحبّة لمن تُهملنا، ولن تستحق المغفرة على تجاهلها وعودها.

مرّيان : هذه العاطفة لا شك نبيلة وسامية.

فالير : حَسَن جداً. الجميع يؤيدون هذا القول. ولكن هل تريد مع ذلك أن أحفظ لك مودتي، وأشاهدك تنتقلين إلى ذراعي رجل غيري، بدون أن أودع فؤادي بين يدي امرأة سواك؟

مرّيان : بالعكس، أنا لا أتمنى إلاّ ذلك، وأودّ أن يتحقق امكك حالاً.

فالير : هل فعلاً تريد أن...؟

مرّيان : نعم.

فالير : كفك ما ألحقت بي من تحقير، يا سيدتي. رجائي أن يكون صدرك قد طفح الآن سروراً لهذه النهاية. (يتقدّم خطوة كأنه يريد الخروج ثم يعود).

مرّيان : هذا جميل منك.

- فالير : تذكري أنك أنت التي تدفعيني الى بذل هذا الجهد الأخير.
مريان : نعم.
- فالير : وان المصير الذي تهيئني له الظروف ليس إلا إنعكاس رغبتك أنت.
مريان : إن اعتبرتها أنت رغبتى أنا، فلتكن.
فالير : كفى، وقد وأوشكت أمنياتك أن تتحقق.
مريان : هذا من حُسن حظي.
- فالير : ألا ترين أن ذلك سيدوم مدى حياتك بأكملها؟
مريان : أنا لا أتمنى أحلى من هذا المصير.
فالير : طيب. (يخرج. وعندما يصل الى الباب يلتفت).
مريان : ماذا جدّ؟
فالير : ألم تناديني؟
مريان : أنا؟ أظنك تحلم.
فالير : إذا سأواصل خطواتي. الوداع، يا سيدت.
مريان : الوداع، يا سيدي الكريم.
- دورين : أما أنا فاعتقد أنكما كليكما قد فقدتما الرشد بهذا التصرف الصبياني،
إذ تركتكما تتابعان شجاركما بغياء. قل لي، يا سيدي فالير، الى أين سيبلغ
بكما هذا التمادي. إلى أين، يا سيدي فالير؟ (تُمسك بذراعه، ويتظاهر هو
بمقاومتها)؟
فالير : ماذا تريدان ان افعل، يا دورين؟
دورين : تعال الى هنا.
فالير : لا، لا. لقد طفح الكيل. لا تحولي دون إقدامي على ما أراذته هي.
دورين : قف برّك.
فالير : كلاً. ألا ترين الى أين وصلت بنا الأمور؟
دورين : آه منك.
- مريان : مشاهدتي تزعجه، وحضورى ينفره. فالأجدر بي أن أخلي أنا له
المكان.
دورين (تترك فالير، وتسرع الى مريان) : هل تبادرين الى ملاقة العريس الآخر؟
إلى أين تذهبين؟

مريان : دعيني.

دورين : لا بدّ من رجوعك.

مريان : كلا، كلا، يا دورين. أنتِ تحاولين عمل المستحيل. لن أبقى هنا.
فالير : لقد ثبت لي الآن أن وجودي في هذا المكان يسبّب لها عذاباً
أليماً وبدون شك يجب عليّ انقاذها من هذا الجحيم.
دورين (ترك مريان، وتُسرع الى فالير) : أنت أيضاً ؟ تبّاً لك من مُكابِر.
أقلع عن هذا العناد السمج. وليقترب كلُّ منكما نحو الآخر. (تشدهما
معاً الواحد نحو الآخر).

فالير : ولكن، ماذا تريدان ؟.

دورين : أودّ أن أبقىكما هنا معاً، وأن أحلّ هذه العقدة. هل جنتكما كلاكما،
لتتصرّفا على هذا النحو السخيف ؟.

فالير : ألمّ تسمعي بأية لهجة كلّممتني ؟.

دورين : وهل أنتِ مهووسة، يا مريان، لتنفري هكذا ؟.

مريان : ألمّ تَرَيّ تصرّفه ؟ أو لمّ تسمعي ما قاله لي ؟.

دورين : الحماقّة بدرت منه ومنك سوية. في الحقيقة هي لا توذّ إلاّ نيل
الخطوة في عينيك، يا فالير. وأنا شاهدة عليّ ذلك. بينما أنتِ لا تحبّ
سواها، وليس لكّ أمنية أعزّ من الإقتران بها. أقسم لكما بحياتي إني واثقة
بما أبينه لكما.

مريان : لماذا اذاً، يا فالير، أدّيت لي نصيحتك المزعجة ؟.

فالير : ولماذا أنتِ طلبتِ رأيي في هذه القضية الشائكة ؟.

دورين : كلاكما مرتبكان لا تعيانِ ما تفعلان. ليُعطني كلُّ منكما يده.
هيا ناولاني يديكما معاً.

فالير (وهو يمدّ يده الى دورين) : وما الفائدة من يدي ؟.

دورين : وأنتِ أيضاً هاتي يدك.

مريان (وهي تمدّ يدها) : وما معنى كل هذا ؟.

دورين : يا إلهي. تقدّمًا بسرعة. أنتما تتحابّان اكثر مما تتصوّران.

فالير : لا تجبري نفسك، يا مريان، على عمل ما تفعليه مرغمّة. وانظري

الى الواقع بدون حقد. (تحول مريان نظرها الى فالير، وتبتسم).
 دُورين : الحق أقول لكما : العشاق يتصرفون كالمجانين أحياناً.
 فالير : ما هذا التماذي ؟ ألا يحق لي الآن أن أتدمر من تطاولك ؟ ولكي
 لا أكون كاذباً، لا أمتنع عن مصارحتك بأنك تجاوزت حدودك ووجهت
 اليّ بنوع خاصّ كلاماً مهيناً.

مريان : وأنت، أولستَ الرجل الأكثر عقوقاً بموقفك الغريب هذا ؟
 دُورين : أترك النقاش الحادّ الى وقت آخر. ولنفكر في الحؤول دون تحقيق
 ذاك الزواج البغيض المنتصب امامنا كالكابوس الرهيب.

مريان : هيّا قولني لي : ما هي الوسيلة التي توصلنا الى منعه ؟
 دُورين : سنجرّب عدة طرائق حتى تنجح منها الملائمة. فوالدك غير مكترث
 لصالحك، وما يريد هو مهزلة سخيّة. لكن بالنسبة إليكما، عليكما أن
 تلجآ الى حلّ لطيف هادئ يحوز موافقته ورضاه، بدون أن ندفعه الى
 استخدام العنف. واذا تعقدت الأمور يهون عليكما إذ ذاك أن تبتطأ سير
 استعدادات الزواج غير المرغوب. وبكسب الوقت لا بدّ من إيجاد حلّ
 جذري للمشكلة المستعصية. في آخر المطاف إذا اقتضى الأمر نلجأ الى
 التظاهر بالمرض، فيستنى لنا إفساح المجال للتأجيل والمماطلة. هناك حجج
 لا تُحصى لا بدّ من أن يُكتب النجاح لإحداها. والأولى عندي أن لا
 تدعا أحداً يراكما في هذه الأثناء مجتمعين معاً. (تخاطب فالير) أخرج
 أنت الآن وحدك بدون تأخير، ووسّط بعض الأصدقاء للوصول الى الوفاء
 بما وعدتَ به منذ لحظة. وما نحن ذاهبتان للاستفادة من جهود شقيق
 صاحبنا المعقد، ولن نتأخر عن زجّ حماتك أيضاً في الوساطة لصالحنا.
 فالوادع.

فالير (تخاطب فالير) : أنا لا أضمن رضى والدي بسهولة. لكنني أعدك
 وعداً قاطعاً بأن لا أكون لسواك.

فالير : ما أحلى هذا التأكيد الصريح. ومهما جرى ...
 دُورين : الثثرة لا تروي غليل المحبين. هيا اخرجنا الى السعي والعمل.
 فالير (يتقدّم خطوة ثم يعود) : وأخيراً ...

دُورين : ما أكثر كلامك وأقلّ عملك. (وهي تدفع كلاً منهما بكتفه) :
أُخْرِجَ أَنْتَ مِنْ هُنَا. وَاخْرِجِي أَنْتِ مِنْ هُنَاكَ.

الفصل الثالث

المشهد الأول

داميس، ودورين

داميس : لتحرقتني الصواعق إذا لم ألجُم هذا الدجال وأضعه عند حذّه. فلن يردعني أي احترام أو اعتبار متى نويت وقصدت أن أقف في وجهه عدائه. **دورين** : من فضلك، خفف من حدّتك. فوالدك لم يتعدّ طور الكلام، ولم يصل بعد الى الأفعال. والأجدر بك أن لا تحاسبه حتى على أقواله، والطريق طويل بين الوعيد والتنفيذ.

داميس : لا بدّ لي من تفشيل المؤامرة، وسأهمس في أذنه كلمتين قارصتين. **دورين** : تمهّل في ما يخصّه ويخص والدك. ودع السيدة تقوم بمسعاها لأنّ لها دالّة على تروتوف، وهو يرتاح الى كل ما تنصحه به. ولا بدّ من أن يضطره لطفها الى مسايرتها. أملي كبير في أن نبليح حتماً ما نصبو إليه. ستفاتحه هي بأمر الزفاف وتسبر غور عواطفه، وتفهمه مدى الشرّ الذي سينجم عن القسر لاسيما في موضوع الزواج. وهناك أمل كبير أيضاً بإقلاعه عن هذه الفكرة، إذ إنّ خادمه أبلغنا بأن سيّده لا ينقطع عن الصلاة. وقد أخبرني هذا الخادم أيضاً أن سيّده لن يلبث أن يجيء الى هنا.

داميس : يمكنني إذاً أن أظل حاضراً لأستمع الى ما تقولينه له.

دورين : لا، لا. يتحتّم أن نكون وحدنا.

داميس : لن أوجّه إليه أية كلمة.

دورين : هل تسخر مني. أنا أعرف حماسك المعتاد. وهو كفيل بأن يشوّه كل ما رسمناه من خطط. هيّا أخرج.
داميس : كلا. أريد أن أرى بأى عيني وأسمع بأذني. وأعدك بأن لا أستشيط غضباً.
دورين : تبا لك من عنيده. ها هو قد أقبل. هيّا انسحب.

المشهد الثاني

ترتوف، ودورين

ترتوف (ييصر دورين) : ها أنا ألوذ بمسحي وتقشفي، وأبتهل دائماً الى السماء لتثير عقلك. وإذا أتى أحد لمقابلي قلبي له إنني ذاهب لزيارة المسجونين وتوزيع الإحسانات عليهم.
دورين : ما هذه المراءاة والإدعاءات الباطلة ؟.
ترتوف : ماذا تريدان أن أصنع ؟.
دورين : أقول لك ...
ترتوف (يسحب منديلاً من جيبه) : يا إلهي. أرجوك أن تأخذي مني هذا المنديل قبل أن أنظر إليك وأخاطبك.
دورين : ولماذا ؟.
ترتوف : لتستري به صدرك المكشوف الذي لا يمكنني أن أشاهده. إذ إن ذلك يجرح شعوري ويثير في أعماقي أسوأ الأفكار.
دورين : أنت إذاً سريع الوقوع في التجربة، ومنظر الجسد يؤثر كثيراً على أحاسيسك. أنا لا أعرف ماذا يهيج مشاعرك. غير أنني من جهتي لست ممن يندفعون بسرعة الى الشهوات. ولو أبصرتك عارياً من قمة رأسك الى أخمص قدميك لن تغرني رؤية بشرتك إطلاقاً.
ترتوف : تواضعي في حديثك قليلاً واحتشمي، أو أغادر هذا المكان فوراً.
دورين : لا، لن أشوش عليك هدوء عواطفك. لكنني أودّ أن أبلغك كلمتين :

إن سيدي لن تلبث أن تنزل الى هذه القاعة وتنوي إبلاغك أمراً ضرورياً.
ترتوف : سأنتظرها بكل سرور.
دورين (تخاطب نفسها) : ما أطفه الآن. أنا لا أزال مصرة على ما قد
قلته عنه.
ترتوف : هل ستأخر في المجيء؟
دورين : ها أنا أسمع وقع أقدامها. أجل، هي بذاتها قد وصلت. وأنا أترككما
معاً.

المشهد الثالث المير، وترتوف

ترتوف : عافاك الله رجلاً وجسداً، وبارك أيامك بفيض كرمه وحبّه العميم
الذي يغمر به البشر.
المير : أشكرك على هذه التمنيات التقوية. تفضّل إجلس على هذا المقعد
لكي تكون مرتاحاً.
ترتوف : هل شُفيت من وعكتك الصّحية. بإذنه تعالى؟
المير : تماماً، والحمد لله. لقد غادرتني الحمى منذ بعض الوقت.
ترتوف : صلواتي ليس لها هذا المفعول لأستدرّ عليك سبل النعم من العلاء.
فأنا لم أتوسّل الى السماء بألحاح إلا من أجل تعافيك العاجل.
المير : هذا من جرّاء غيرتك وقلقك عليّ.
ترتوف : صحتك غالية عندي. وأنا مستعد للتنازل لك عن صحتي اذا لزم
الأمر.
المير : أراك تبالغ في تمنياتك الصادقة لي، وأنا مدينة لك بكل هذه الألفاظ.
ترتوف : إنني أفعل أقلّ بكثير مما يتوجّب عليّ وتستحقينه أنتِ على طيبة
قلبك.

الأمير : لقد وددت أن أحاطبك على حدة بأمر هام، ويسرني أن يكون أحد حاضراً هنا ليسمعنا.

ترتوف : يسعدني أن ألتقي بك على انفراد، يا سيدتي. فهذه فرصة سانحة طلبتها من السماء، وها أنا ألقاها في هذه الساعة المباركة بالذات.
الأمير : ما ألتسه وأتوق اليه هو كلمة منك تفتح قلبك لي بدون أن تخفي عني حرفاً.

ترتوف : هذا ما أريد أن فعله، لأكشف لك مخبآت صدري بأجمعها. أقسم لك أن الضجة التي أثيرتها أنا بخصوص الزيارات التي تجتذبك الى هنا ليست ناجمة عن أي حقد، بل عن دافع غير طاهرة، وعن نية صافية ...
الأمير : أعتقد أن خلاصي هو الذي يسبب لك كل هذا الهم.
ترتوف (يصفحها برؤوس أصابعه) : نعم، يا سيدتي، بدون شك هو اهتمامي بك الى حدّ ...

الأمير : آه، لقد شددت كثيراً على يدي.
ترتوف : هذا طبعاً نابع من عظم اهتمامي بمصلحتك. ثقي بأني لا أجرؤ على إيلاكم لسبب آخر، بل كنت أفضل ...
الأمير : ماذا تفعل يدك هنا ؟.

ترتوف : إنني ألتمس ثوبك. حقاً، نسيجه ناعم للغاية.
الأمير : برّبك دعني من هذا. فأنا سريعة الدغدغة. (تُرجع مقعدها الى الورا، ويقرب ترتوف مقعده نحوها).

ترتوف : يا الهي. كم هذا الشغل مُتقن. في الحقيقة أنسجة اليوم عجيبة مدهشة. لم أبصر ما هو أكثر نعومة وروعة من حياكتها.
الأمير : هذا صحيح. لكن الأجدد بنا أن نتكلم عن قضيتنا. يُقال إن زوجي وعدك بأن يزفّ اليك ابنتنا. أخبرني هل هذا حقاً صحيح ؟.

ترتوف : في الحقيقة، لقد أسمعني كلمتين في هذا الموضوع. وليس هذا كل السعادة التي أرجوها. بينما أرى في غير مكان ما يجتذبني الى الهناء الذي أحلم به.

الأمير : لانك لا تحبّ الأمور الأرضية كثيراً.

تَرْتُوف : لكن صدري لا يحوي قلباً من حجر.
ألمير : على ما اعتقد، أنت لا تعلق أهمية كبيرة على الملدات الأرضية
لأنك تهدف دائماً الى السعادة السماوية.

تَرْتُوف : الجمال الذي يجتذبنا الى البهاء السماوي لا يخلق فينا حب الأطياب
الزمنية. وحواسنا تستهويها بسهولةٍ معظم المتع التي كوَّنها الباري، وجماله
سبحانه وتعالى ينعكس على مخلوقاته. وقد زرع بين ضلوعنا قلباً رقيقة
مفعمة حباً ترتوي بمعاني الجمال، فتجلى أنظارنا وتبهج أفقدتنا. وأنا لا
يسعني أن أراكِ كخليفة كاملة الأوصاف بدون أن أعجب من خلال مواهبك
بمقدرة مبدع الأكوان، وقد صنع الإنسان على صورته ومثاله. قبلاً، كنت
أخشى بحرصٍ متردِّدٍ على مصيري من عينيكِ الساحرتينِ معتبراً اياهما
خطراً على خلاصي، حتى خيَّرتُ وداك ووفاءك، فأمنتُ شرَّ الإنزلاق،
من جراء ما لمستته فيك من الحياء والإباء. فتركت لعواطفي الجبل على
الغارب تسبح في أجواء طيبة قلبك وطهارته. والآن، لا أتردد في الاعتراف
بأنني بتُّ أركن الى علوِّ أخلاقك ورحابة صدرك لتعالجني ميولي وتهدئي
اضطراب نفسي بما لمستته فيك من حُسنِ الرعاية والتشجيع على مواصلي
التهادي في رياض الغبطة والهناء. إذ أضحي في وسعك ان تتحكمني بمشاعري
وتحكمني عليّ بالسعادة أو بالشقاء كما يشاء هواك.

ألمير : تصريحك هذا، وإن بلغ غاية الظرف والكياسة، فاجأني في الحقيقة.
لأنك رغم ما يبدو عليك من التحفظ والتقوى كما عرفك الجميع ...
تَرْتُوف : من ناحية التقوى، أنا لست مميّزاً عن سائر الرجال. وعندما أنظر
الى ما يتجلى في الينابيع السماوية، تتبين لي الحقيقة الواقعية رغم أن قلبي
ينقاد بدون تبصّر الى الملدات الأرضية. على كل حال، يا سيدتي، أنا
رجل من البشر ولست ملاكاً. وإذا أدنتِ تصريحي عن أطفاف شخصك،
فالحقّ على سحرك الجذّاب الذي أسرني حالما أبصرت روائع أنوثتك،
وما لبثتُ حُسنك ان ملك فؤادي في شرع الغرام. فانهارت مقاومتي حيال
طغيان جاذبيتك وسيطرتِ على مشاعري في جنة حبك، وتغلّبتِ على كل
ما بذلته من جهود في دنيا الصيام والصلاة والزهد. وإذا بعيني تبوحان

لك ألف مرة بخضوعي لسموّ فضائلك، وها أنا أعبر لك بصوتي عما
تطفح به أشواقي إليك من الإعجاب والتقدير والتفاني. فإن علوّ همّتك
ليس صدفة إذ يلمع كوميض البرق، بل هو ينبوع يترقرق منه سلسيل
حلاوتك باستمرار مدى الحياة. وإذا شاءت رقة شعورك أن تعزّيني وتواسيني
في خيياتي المريرة، فإن تقواك لن تتعرّض حيالي الى أية مغامرة مزعجة،
وليس ما تخشينه من قبلي على أية نزوة عابرة. فالظرفاء الذين يستقطبون
ميول أحلى النساء لا يتجنّبون صحباً ولا زلة لسان أثناء المغازلات البغرامية
التي ينزلق لسانهم عند تدفّقها مع سيل شهواتهم الطاغية البعيدة عن التروي
والتعقل. بينما الرجال الذي يغارون على أسرار علاقاتهم يصونون كرامة
شعور حبيباتهم لأنهم هم من يؤمن جانبهم، ما داموا يهون مبتعدين عن
فضائح العشق، ويتنعمون بالمتّع المعقولة بدون خوف ولا وجل.

ألمير: أنا أستمع الى خطابك البليغ ونفسي مرتاحة الى درر أقوالك. فلا
تظن أنني أنقل الى زوجي ما ردّدت أنت على مسمعي من حكيمك عن
الحب والولاء وحسن التصرف في ظل المودّة والوفاء.

توتوف: وأنا عارف بأنك مرهفة الحسّ ذكية الجنان، وأنت رحبة الصدر
تستوعبين فيض انفعالات مشاعري التي يطفح بها صدري بدون تعكير صفاء
التفاهم الذي يسود بيننا. فالحبيب الحقيقي لا يجرح معبوده ولا تنسّي
أني كسائر الرجال مُركّب من لحم ودم.

ألمير: سواك يحمل هذه الأمور على غير هذا المحمل السليم. وتعبيري
عن مشاعري لا يعني إلاّ صدق أمانتي. فلن أخبر زوجي بما جرى بيننا
من حديث لكنني أسألك بالمقابل أن تسعى لديه الى التعجيل في عقد
قران فالير ومريان بأقرب وقت؟ وإن كَبَّتْ عواطفك وتخلّيت عن آمالك
وأحلامك في سبيل إسعاد هذين العاشقين العزيزين.

المشهد الرابع

داميس، وألمير، وترتوف

داميس (وهو يخرج من غرفة صغيرة حيث كان مختبئاً) : لا، يا سيدتي، لا. هذا الكلام الوقح يجب أن يُنشر. فأنا من مخبأي سمعت كل ما دار بينكما من حديث جَسُور. وكأن السماء ألهمتني الى التواري في هذا المكان، لأهدّ عجرفة هذا المتهتِك المتشامخ الذي يستحقّ التنديد. ولكي أبادر الى الانتقام من خبثه ومراوغته، وهو يخدع والدي بتسهيل مصاهرته، هو الرجل السافل المخادع الذي يستر مآربه الدنيئة بمحاضراته المغرضة المناققة عن الحب والزواج والآخرة.

ألمير : لا، يا داميس. يجب علينا أن نتمسك بالتعقل. فحاول أنت أن تجعله يُحقق المنة التي طلبتُ منه ان يساعدنا على نيلها من والدك. وبما أنني وعدته بالكتمان لا أريد أن أتراجع عن الوفاء به. فكما تعرف، أنا لست ممّن يرتاحون الى مظاهره الخداعة. فلا المرأة ترضى بمثل هذا الغباء، ولا الرجل يصدّق كل ما يطرق سمعه.

داميس : أنتِ لديكِ حججتك للتصرف هكذا. أمّا أنا فإنّ فعلت العكس فلي أسباني الوجيهة، وتجنّب الفضيحة حينئذ يصبح مهزلة ساذجة. ما دام المتشامخ الوقح لم يفز إلاّ بإغضابي؛ كذلك هذا الخبيث اللعين الذي سيطر على تفكير أبي لم يكسب سوى كرهه وبُغض فالير. فما على الجاحد إلاّ اتقاء عقاب السماء على ما جنت يذاه من آثام. وبهذه المناسبة الملائمة كأنها فرصة مغرية تساعدني الظروف على استخدامها عند الحاجة.

ألمير : لكن، يا داميس ...

داميس : لا، لا. أرجوك أن تصدّقيني. أنا الآن في ذروة سروري. وحديثك يدفعني الى تذوّق لذّة الانتقام سلفاً. لكنني سأقف عند هذا الحدّ، ولن أقدم إلاّ على ما يرضي ضميري.

المشهد الخامس

أوركون، وداميس، وترتوف، وألمير

داميس : سنرى، يا أبي، ما هو النفع الذي تجنيه من حادث جديد سيدهشك كثيراً. أنت، على ما ألاحظ، قد استفدت من المسايرة التي ترضيك، وهذا السيد قد استفاد بدوره من مسائرتك غير المحدودة. وها قد صرّح بما يصبو إليه عبّر غيرته على مصالحك. وقد فاجأته وهو يحاول أن يلوّث شرفك بإعلانه لوالدتي تصريحاته المهينة عن حبه ورغباته. وهي من جهتها، بما تتّصف به من دماثة الخلق والصفات الحميدة، أبّت أن تثير الفضيحة، فظلت صامتة على مضمض. لكنني لن أقبل مطلقاً بالتغاضي عن هذه المحاولة الدنيئة. وأعتقد أن سكوتي عن هذه المجازفة هو خطأ جسيم وجريمة لا تُغتفر. ألمير : نعم أنا أعتقد نظيرك أن سكوت الزوجة وعدم إعلام رَجُلها بالأمر غير جدير بأمانتها. ففي القضية كرامة يجب أن تُصان. وأعلم، يا داميس، أن عواطفني لن تتأثر، ولن أكشف سرّها لأن ثقتك التي أتمتع بها غالية عليّ جداً.

المشهد السادس

أوركون، وداميس، وترتوف

أوركون : هل إن ما سمعته الآن، يا الهي، كلام يُصدّق ؟
 ترتوف : نعم، يا أخي. أنا جبان ودنيء بل أحقر الصعاليك. وكل لحظة من حياتي حافلة بالمساوىء، وملبئة بالجرائم والذنوب. وأعتقد أن السماء ستقاصصني بسبب ما ارتكبته من عصيان وتمرد على شرائعها. لذا لا أتبسّج برغبتني في الدفاع عن نفسي. فصدّق ما نشاء تصديقه، وصبّ جام غضبك عليّ كمجرم، واطردني من أمام وجهك إذا أردت، فلن يقيني خجلي وأسفي من استحقاق المزيد من اللوم والعقاب.

أوزكون (لولده) : أيها الأحق، هل تجرؤ بكل هذه النقائص ان تسود
بياض صفحة الرجل الفضيل الطاهر؟.

داميس : ماذا تقول ؟ هل توصل هذا المنافق المرائي الذي يرتدي ثوب
اللطافة والعفة زوراً وبهتاناً، أن يحملك على تصديقه وتكذيبي ؟ ...
أوزكون : أصمت، أصابك الطاعون.

ترتوف : دعه يتكلم. فأنت تتهمه باطلاً ويجدر بك أن تصدق أقواله.
لماذا أقدم أنا على مثل هذه المغامرة ؟ الخطأ جرى لصالحني. هل تدري
على كل حال ماذا يسعني أن أفعل ؟ هل تتكل على مظهري الخارجية ؟
وهل تظن أنني أفضل مما بدا مني لك ؟ لا، لا. لقد خدعتك الظواهر
فعلاً. فأنا لست، مع الأسف، ما يظنه الجميع بي. إذ أنهم يعتقدون أنني
رجلٌ خبير وصلاح. بينما في الواقع أنا لا أساوي فلساً واحداً. (يخاطب
داميس) : أجل، يا ابني العزيز، تكلم، عاملني كسافل وجاحد وهالك وقاتل.
وزد عليها ألقاباً أخرى أحقر وأبغض منها. فلن أعارضك، ولن أكذبك،
لأنني أستحقها. وأنا مستعد أن أجتو على ركبتي وأتحمل وزرها من قبيل
المذلة والعقاب على كل ما ارتكبته من ذنوب في حياتي.
أوزكون (لترتوف) : هذا كثير، يا أخي. (لابنه) : أنا واثق بأن ضميرك
لن يخون عهدي.

داميس : ماذا تقول ؟ هل سحرتك أقاويل هذا المحتال الى هذا الحد ؟.
أوزكون (لابنه داميس) : أسكت، أيها الشقي. (لترتوف) أرجوك أن تنهض،
يا أخي. (لابنه ثانية) : تباً لك من خسيس.

داميس : يمكنه ...

أوزكون : أصمت.

داميس : لقد فقدت صوابك. ماذا تقول ؟ هل أصبحت أنا ...

أوزكون : إن أضفت كلمة أخرى، حطمت رأسك.

ترتوف : بربك، يا أخي، أرجوك أن لا تغضب. أنا أفضل أن أتحمّل أقصى
العذاب على أن يصيبه أقلّ خدش.

أوزكون (لولده) : تباً لك من جاحد عقوق.

تَرْتُوف : أتركه بسلام. إذا اقتضى الأمر، سيبحثو أمامك ويطلب منك الغفران

...

أُورْزُكُون (لترتوف) : يؤسفني أن تسخر .. (لابنه) : يا غبي أنظر الى طيبة قلبه وَرِقَّة شعوره.

داميس : اذا ...

أُورْزُكُون : دعه بسلام.

داميس : ماذا تقول ؟ أنا ...

أُورْزُكُون : قلت لك : دعه بسلام. أنا عارف بما يدفعك الى مهاجمته. كلُّكم هنا تكرهونه. واليوم أرى النساء والأولاد والخدّام يثورون عليه. وبدون حياء يعادونه ويحرّضونني على انتزاع ثقتي من هذا الرجل التقى. لكن كلما أعتنّهم في اضطهاده لإبعاده عني، كلما تمسّكت أنا به. وسأعجل في عقد قرانه على ابنتي، لكي أحطّم كبرياء جميع أفراد أسرتي الغاشمين الرافضين.

داميس : أنت تظنّ أنك تُحسّن صنعاً بالنسبة إليه اذا منحته يد ابنتك. أُورْزُكُون : أجل، أيها الأحمق، أريد أن أغيظك. أنا أتحدّاكم جميعاً، وسأعلّمكم كيف تطيعونني وتخضعون لمشيئتي، أنا السيد الآخر الناهي في هذا البيت. هيّا انسحبوا من هنا حالاً؛ وبادروا أيها الرعاع الى الركوع، عند قدميه واستغفروه.

داميس : من ؟ أنا ؟ تريد أن أطلب السماح من هذا الوجد الحقيقير ؟. أُورْزُكُون : هل تجسر على مقاومته وعلى إهانته، أيها الصعلوك ؟ (لترتوف) ناولني قضيباً، هيّا ناولني قضيباً، ولا تُمسِك بي. (لابنه) وأنت أُخرج حالاً من منزلي ولا تُعدّ أبداً الى هنا.

داميس : سأخرج. ولكن ...

أُورْزُكُون : أسرعوا كلُّكم وغادروا هذا المكان. فأنا أحرّمك من ميراثي، أيها السافل الحقيقير، وأصّب عليك كلّ لعناتي.

المشهد السابع

أوركون، وترتوف

أوركون : كيف يجسر على إهانة إنسان قدّيس كهذا ؟
ترتوف : سامحيه أيتها السماء على ما سبّبه من الآلام. (لأوركون) : ليتك تعلم كم يحزنني أن أرى ما يسودّ صفحة أخي.
أوركون : حقاً هذا أمر مؤسّف.
ترتوف : مجرد التفكير بهذا العقوق يعذب نفسي ويسحقها .. ما أفظع هذا العمل البذيء ... قلبي يتفتّت ألماً؛ ولا أستطيع أن أتكلّم. أكاد أموت غمّاً من جرّاء هذه المعاملة السيئة.
أوركون : يسرع، والدموع تنهال على خديّه، وهو يتوجّه الى الباب حيث توارى ابنه المطرود) : أيها الأحمق، سأندم إذا سامحتك، أوذبك على الفور.
ترتوف : هدى من روعك يا أخي، ولا تنفعل. لنكفّ عن هذه المناقشة العقيمة. أنا أرى كم من الفوضى سببت، وأعتقد أن الضرورة تقضي، يا أخي، بالتخلّص من هذا المأزق.
أوركون : وكيف نتوصّل الى ذلك ؟ هل تهزأ بي ؟
ترتوف : الجميع يكرهوني. وأرى أنهم يحاولون إثارة الظنون والشكوك حولي.
أوركون : هذا لا يهمّ. هل تجدني أعيرهم أذناً صاغية ؟
ترتوف : لا سبيل، بدون شك، الى ملاحقته. وهذه العلاقات التي يرفضونها الآن، قد يقبلونها في المرة القادمة.
أوركون : لا، يا أخي، لا، أبداً.
ترتوف : أنت تعلم، يا أخي، أن المرأة تستميل زوجها بسهولة.
أوركون : لا، لا أعقد.
ترتوف : دُعني بابتعادي سريعاً من هنا، أحرّمهم من كل ما يساعدهم على مهاجمتي.
أوركون : كلاً، ثم يكلّ لن تذهب.

تَرْتُوف : أكرراً عليك، وأرجوك أن تدعني، بابتعادي سريعاً من هنا، أن أحرّمهم من كل وسيلة تساعدهم على مهاجمتي والنيل مني.
 أُوْرُكُون : لا، بل ستبقى هنا، لان حياتي معلقة بوجودك الى جانبي.
 تَرْتُوف : اذاً لا بدّ لي من التقشّف. مع ذلك، إذا شئت أنت ...
 أُوْرُكُون : آه منك.

تَرْتُوف : كما تريد، لن نطرق بعد الآن هذا الموضوع. لكنني أعرف أنّ علينا أن نستخدم كل الطُّرُق. فالشرف سرعان ما يتلوّث، والصدّاقة تضطرّني الى تجنّب الضجة والمواضيع الشائكة. سأتحاشى لقاء زوجتك، ولن تَرَيَانِي كِلاكُما بعد هذه اللحظة أبداً.

أُوْرُكُون : لا، لا. رغماً عن الجميع ستعاشرها. ويسرّني أن أغيظ كل المعارضين. وأصرّ على أن يشاهدك الجميع بمعيتّها في كل حين. هذا ليس كافّة ما أبغي. سأتحدّي وأغيظ كل محيطي بجعلك وريثي الوحيد. لذا سأهبك جميع أملاكِي وأرزاقِي. فأنت أعزّ صديق لديّ وسأجعلك صهري زوج ابنتي. وهكذا تصبح من أقرب المقربين اليّ، أكثر من ابني ومن زوجتي ومن كل أنسبائي. فهل يسعك أن ترفض هذا الإمتياز الذي أعرضه عليك بملء رضاي.

تَرْتُوف : لتكنّ مشيئة السماء. وكما تريد أنت ستمّم الأمور.
 أُوْرُكُون : ما أطيب عنصرك. تعالَ نَظِّمُ مستنداً مكتوباً بهذا المعنى. ولينفجر غيظاً جميع من لا يرضون بهذا التصرف الذي أصرّ على التمسك به.

الفصل الرابع

المشهد الأول

كليات، وترتوف

كليات : أجل كل الناس يؤكدون، ويمكنكم أن تصدقوني، أن الضجة القائمة ليست من صالحك. ولقد وجدتكَ، يا سيدي، مرتاحاً في هذه الفترة لكي أعبر لك بكلمتين عما أفكر به. أنا لم أتفحص بعمق ما يُعرض عليك، بل أتجاوز ذلك وأتناول المسألة من أصعب وجوهها. لنفترض أن داميس لم يُحسِّن السلوك، وأنك أنت متهم خطأ، أولاً يجمل بك أن تصفح عن الاساءة، وأن لا تفكر مطلقاً بالانتقام ؟ هل يجب عليك أن تتحمل مسؤولية طرد الابن من بيت أبيه ؟ أكرر لك بصريح العبارة أن الكبار والصغار استأثروا من هذه المعاملة البذيئة. وإذا صدقتني، بادرت الى مسالمة الجميع، ولم تلاحق القضية حتى نهايتها. فإكراماً لله كُفَّ عن الغضب ودَعِر الابن وأباه يتصالحا، ويسويًا خلافهما.

ترتوف : يؤسفني أن أعلن لك أنني بطيبة خاطر لا أكنُّ له، يا سيدي، أية ضغينة. فأنا أسامحه ولا ألومه البتة، وأودُّ أن أخدمه من كل قلبي. لكن السماء لن توافق على ذلك، ويتحتم عليّ أن أخرج. وبعد فعلته التي ليس لها من مثيل أصبح التعامل فيما بيننا فضيحة لا يعلم إلا الله كيف ينظر الناس إليها. فأضطر الى مداراة الجميع ليغضوا الطرف عن استهتاري. كليات : أنت تحاول أن تبرر نفسك وتبرئ ساحتك، وكل حججك،

يا سيدي، غير مقبولة. لماذا تهتمّ بعدالة السماء التي تُقاصص من يستحقّ العقاب؟ دعها تنتقم، ولا تفكّر بالعمو عن الإهانات، ولا تنظر الى أحكام البشر عندما تتمسك بشرائع السماء. ماذا تقول؟ علينا أن نتمّم واجباتنا نحو العلاء ولا نقلق، لئلا نشوش راحة ضمائرنا.

ترتوف: لقد صرّحت لك بأن قلبي يغفر إساءة هذا الإنسان المتطاول، كما أوصانا الربّ، يا سيدي. ولكن، بعد الفضيحة والعار في هذه الأيام العصبية. لن ترضى السماء بأن أعيش برفقته.

كليانت: وهل علمت، يا سيدي، بأنك ستضطرّ الى الاصغاء مرغماً الى ما تُوسّوسه الأهواء للاب الظالم. فقبول منحة من المال لا تُعطيك الحقّ بأن تدّعي امتلاكها.

ترتوف: من يعرفني جيداً لن يفكر بأنّي اشتهي أموال هذه الدنيا التي أزهدها، ولا يغرنني بريقها الوهاج. وإن تيسّر لي أن أحصل عليها عن طريق أبي، وإن وهبني اياها عن طيبة خاطر، أخشى أن يقع هذا المال يوماً في أيدي لئمة تقاسمه وتستغلّه في طرق الشرّ والجريمة، لا في سبيل يرضي الله وينفع القريب.

كليانت: يا سيدي، لا تأبه لهذه المخاوف التي قد يشكو منها وريث صالح. ولتحمّل صاحب هذا المال مسؤولية إساءة استعماله. فذلك خير لك من أن تُتهم أنت بتبديده سدىً. فأنا أعجب بدون قلق من أن تكون لك الرغبة في إبداء الرأي، من أن تعمل على تجريد الوارث الشرعي من حقوقه الأكيدة. وإذا قيض لك الله أن تعيش بصحبة داميس، فذلك خير لك من أن تسبّب طرد الابن من بيت أبيه. حقاً سيتم ذلك على حساب تبصرك وتحفظك.

ترتوف: الآن، يا سيدي، الساعة تقارب الثالثة والنصف. وهناك واجبات تقوية تستدعيني. فأرجوك أن تعذرني، لأنني مضطرّ الى مغادرتك. كليانت: وما هي هذه الواجبات؟

المشهد الثاني

ألمير، ومريان، ودورين، وكليانت

دورين : أرجوك أن تبادر الى إسعافها، يا سيدي. فالألم يحزّ في نفسها. والإتفاق الذي صمّم الأب على تنفيذه هذا المساء يجعل موضوع قنوطها يزداد تأزماً في كل لحظة، ولن يلبث هو أن يأتي الى هنا. فلنستجمع قوانا، ونحاول أن نمنعه من تحقيق رغبته بالقوّة أو بالحيلة. المهمّ أن لا ندعه يرتكب هذه الجناية التي تُضِرُّ بنا جميعاً.

المشهد الثالث

أوركون، وألمير، ومريان، وكليانت، ودورين

أوركون : كم يسرّني أن أراكم مجتمعين. (لمريان) ها هوذا العقد الذي يتضمّن ما يضحككم، لأنكم تعرفون ما ينطوي عليه من بنود.
مريان (جائئة على ركبتيها) : أرجوك، يا أبي، بحقّ السماء، وأنت لست غريباً عن تعديبي، واستحلفك بكل ما من شأنه أن يلين قلبك، أن تتنازل عن حقوقك الوالديّة هذه المرّة، وتعفيني من وعدي بإطاعتك، وأن لا تجبرني، بحسب واجب الطاعة البنويّة، أن أخضع لهذه الشريعة القاسية الجائرة وأنا أشكو ظلامتي الى العزّة الإلهية من موقفك الصلب تجاهي في هذه الحياة، رغم أنك علة وجودي. فلا تجعلها في نظري تعيسة قاتمة. ولا تدفعني الى اليأس والعذاب بما تفرضه عليّ فرضاً بكل ما أوتيت من حقّ وسلطة.
أوركون (وهو على وشك ان يلين) : أحمزُ أمرك، يا قلبي، ونجّني من الضعف البشري.

مريان : ميلك الى من نُعجِب به لا يضايقني، فسايّره واعطيه مالك كلّه. وإذا لم يكفِ أضف له أيضاً ما يعود اليّ. فأنا راضية من كل قلبي،

وأتنازل لك عنه. ولكن لا تذهب إليّ حدّ منحه إليّاي كذلك. أرجوك أن تقبل بلجوئي اليّ الدير مهما قَسّت أنظمته وقوانينه الصارمة، فيكون ذلك أهون عليّ من المصير القاتم الذي تدفّعي اليه هكذا بهذا الزفاف. **أوركون** : آه منك، ومن الراهبات الماكرات حين يقاومن رغبة والد مثلي. وقوفاً، يا ابنتي. كلّما كرهت قبول هذا العريس، كلما ازداد استحقاقك إياه. عليك أن تروّضي مشاعرك في سبيل هذا القران، ولا توجعي رأسي أكثر مما فعلت حتى اليوم.

دورين : ما هذا الكلام المغلوط ؟ ...

أوركون : أسكتي أنت، ولا تنبسي بينت شفة. فأنا امنعك من أن تلفظي حرفاً واحداً آخر في هذا الموضوع الذي لا يعنيك. **كليانت** : إذا سمحت لي باسداء النصح لك، أجبك ...

أوركون : نصائحك، يا أخي، هي أفضل ما في الدنيا، لأنها معقولة وموزونة، وأنا أقدرها حقّ قدرها. لكن اسمح لي بأن لا أصغي إليها هذه المرة. **المير** (لزوجه أوركون) : بما إني أشاهد ما أراه بوضوح، لم أعد أدري ما أقول. إن تصلّبك في رأيك يجعلني أعجب بقوة شخصيتك. لكنني أخشى عليك أن تندم في مستقبل الأيام على ما تقدّم عليه اليوم بتسرّع وتشبث به. **أوركون** : أنا في خدمتك، فلا تغتري. إني أعرف عطفك الخاص على ولدي الطائش الذي يصعب عليك أن تعارضيه وتلوميه في موضوع ما فعله بهذا الرجل المسكين. وقد حافظت على هدوئك رغم كل تاثيرك.

المير : هل يجوز لنا، لمجرد عاطفة غرامية، أن نتمسك بحكما الخاطئ الجائر؟ نحن لا يسوغ لنا أن نقبل كل ما يخطر ببالنا كتفكير سليم. فنحكم على بريق العينين والبوح بطرف اللسان بأنها نابعة من أعماق القلب. أنا لا يهمني هذا الموضوع الذي أزدري به، وهذه الحالة لا تُعجبني أبداً. بل أفضل أن أظهر بعض الحكمة والتروي، ولا أوافق مطلقاً على هذه التحفظات القاسية. لأن حججنا أحياناً لا تخلو من التجريح بالبرائن والأنياب الحادة، ونحن لا نحجم عن مجابهة الأشخاص الأبرياء. وقانا الله من مثل هذه الحكمة الجائرة. فأنا أميل اليّ الفضيلة البعيدة عن قبضة إبليس، وأعتقد

أن رفضاً مبطناً بالبرود ليس أقلّ قسوة لترويض قلبٍ تيمه الهوى.
 أوزكون : أخيراً فهمت لبّ القضية، وبتُّ أبحث عن حلّ عادل.
 ألمير : لا أزال معجبة بتصرفك الفريد نوعاً ما. ولكن ما العمل إذا كنت
 قليل الأمانة صعب التصديق. لا بدّ لي من أن أثبت لك أنني لا أقول
 سوى الحقّ.

أوزكون : سنرى.

المير : أجل.

أوزكون : قصّتك عجيبة.

المير : ما قولك إن وجدت سبيلاً للكشف عن الواقع بنور الحقيقة ؟
 أوزكون : هذه أضغاث أحلام.

المير : أي صنف من الرجال أنت ؟ على الأقلّ، ردّ عليّ بجواب مُقنع.
 أنا لا أطالبك بتعديل موقفك، بل أسألك أن تعتبر من باب الانسانية أننا
 نسهّل لك رؤية الأمور بجلاء، وسماع الكلام على علاته. فما قولك في
 رجل الخير الذي تشبّث بإكرامه عبثاً وتصرّ على مصاهرته.

أوزكون : في هذا الوضع، أقول ... لن أقول كلمة. لأن هذا غير ممكن.
 ألمير : الغلط طال أمدّه، وأصبح الشك بكلامي جناية لا تُغتفر. ولا بدّ
 لي من أن أذهب الى أبعد حدود المستطاع، لأثبت لك صحّة ما أقول،
 مدعوماً بشهادة دامغة.

أوزكون : ليكن ما تريدن. وسأحاسبك على كل ما تتلفّظين به حساباً
 عسيراً. وسأرى مهارتك ودقّة وفائك بوعودك.

المير : أجلبّ صاحبك الى هنا.

دورين : إنه خبيث محتال، وإذا فوجئ لا يتأخّر عن الأذى.
 ألمير : لا، لا. نحن غالباً ما ننخدع راضين بما نحبّ ونفضّل. ما دامت
 عزّة النفس تحمل الانسان على التشبّث بما أنخدع به في أغلب الأحيان.
 هيا أنزلا هذا الشخص الى هنا (تخاطب كليانت ومريان). ثم إنسحبا من
 هذا المكان فوراً.

المشهد الرابع ألمير، وأوزكون

ألمير: قُرب هذه الطاولة، واختبئ تحتها.
أوزكون: لأي سبب؟

ألمير: تواريك أمر هام وضروري.

أوزكون: لماذا تحت هذه الطاولة؟

ألمير: يا الهي. دعني أتصرف كما أشاء. ففي رأسي خطة بارعة، لن تلبث أن تلمس مفعولها العجيب. ضع نفسك هنا كما أطلب منك. وحين تختبئ إحرص على أن لا يبصرك ولا يسمعك أحد.

أوزكون: إعتزني بأن مسائرتي هنا تتعدى كل الحدود. غير أنني أود أن أعرف ما سيؤول إليه تدبيرك هذا الغريب.

ألمير: أعتقد أنك في غنى عن التعليق. (تخاطب زوجها المختبئ تحت الطاولة): على الأقل سأعالج موضوعاً فريداً. فلا تتشكك بشكل من الأشكال. ومهما قلت أنا، لا تعارضني مطلقاً، لأنني أقصد إقناعك، كما وعدتك، وأنوي أن أنزع القناع عن وجه هذا المرثي الدجال. وسأبين لك نواياه الخبيثة الوقحة، بإطلاق سراح أفكاره الجهنمية من عقالها. وكل ذلك، لأظهره لك على حقيقته البشعة. وأنا مستعدة لإيقاف مساعي حالما تُسلم بصحة وجهة نظري. لأن المطلوب منك أن تفضح خداعه حين تلمس أن المراوغة تجاوزت حدّها. فتنقذ مصير ابنتك الصبية البريئة، ولا تعرّضني أنا وزوجتك إلى ما لا بدّ من تحاشيه من إغراء هذا المسخ الغدار. فهذه مصلحتك، وأنت مسؤول وحدك عن سلامتنا وكرامتنا. وإذا ... أشاهد هناك شخصاً قادماً إلينا. فتهيأ، وإياك أن تدعه يشعر بوجودك.

المشهد الخامس

ترتوف، وألمير، وأوركون

ترتوف : قيل لي إنك تودّين محادثتي في هذا المكان.
ألمير : نعم، لديّ أسرار أريد أن أكشفها لك. فأغلق هذا الباب، قبل أن أبدأ بسردها، وانظر الى كلّ الجهات خشية أن يفاجئنا أحد. لأن القضية، كما حدثت منذ برهة، ليست حتماً من صالحنا. فعلياً أن نحذر كل مباغته، ما دام داميس قد أسمعني بخصوصك أقوالاً مريعة للغاية. وأنت رأيت بأّم عينك كيف بذلت أنا أقصى جهودك لمعارضة فكرته، وتخفيف حدّة عواطفه. لقد اضطربت قليلاً، ولكنني بعون الله ما لبثت أن امتلكت أعصابي، بدون أن أتوصّل الى تكذيبه، فسارتت الأمور بصورة آمن. والفضل يعود الى ما نكته لك جميعنا من التقدير الذي بدّد الغيوم المتلبّدة في الجو المنذر بالعاصفة، لا سيما أن زوجي لا يسعه أن يحمل لك في صدره أية ضغينة. ولكي نجابه الأفاويل المشكّكة بحقنا، شاءت الظروف أن نكون معاً باستمرار في معظم الأوقات. وهذا شجّعني بدون أن أخشى أية ملامة، على المجيء الى هنا وحدي، وعلى الأفراد بك بكل أمان، وأتاح لي الفرصة لأكشف لك مكنونات صدري وأن أتعرّض ربما لحرارة عواطفك المحرقة.
ترتوف : لهجتك هذه يصعب تفسيرها، يا سيدتي، لأنك منذ فترة كنت تتكلّمين بأسلوب مغاير.

ألمير : اذا أغضبك رفضي، فهذا دليل على أنك لا تفهم كنه قلب المرأة على حقيقته، وأنت لا تدرك جيداً ما تقصده من وراء تلميحها حين تدافع، وإن بضعف، عن كرامة عواطفها. ولا يغربّ عن بالك أننا نحن الجنس اللطيف نقاوم بحياتنا المعهود، من يهاجمنا في مثل هذه المواقف، ومن يرشقنا بسهام الحب الذي يهيمن على كياننا مع اننا نعرف بأننا نشعر بادئ ذي بدء ببعض الخجل والتردد، ولكن حيال الإلحاح، لا نلبث أن نرمي سرحنا ونستسلم راضين. وخلافاً لما ينطوي به لساننا من تمّتع سطحي فإن رفضنا يعني في أغلب الأحيان تنازلاً غير مشروط. وبما أن الموضوع

أضحى بحكم المنتهي، أفلاً يدل ذلك على أنني لست مرتبطة بمشيئة داميس. أرجوك أن تُصدقني أو لم يكن لطفاً مني أن أصغي الي نداء قلبك، طبعاً لأن مناجاتك قد أسرت فؤادي. وعندما ألححتُ أنا عليك لترفض الزواج المرتقب كما أُعْلِنَ عنه، أو كَيْسَ ذلك من طرفي تحريضاً على حلِّ عقدتنا المستعصية بهذه الطريقة، يعني أن إعتاق قلبك من حب غيري يعبر عن أعلى أمنيّاتي بأن أحتكر هواك أنا وحدي.

تَرْتُوف : هذا، يا سيدتي، فائض من مودتك، وسماعي هذا الكلام العذب من شفّيتك، يسيل كالعسل من فمك الحلو، وكالرحيق ينتشي به شوقي اليك، وكالبلسم يشفي جراح هيامي الذي طالت أيام عذابه. فسعادتي تكمن في نيل رضاك، وقلبي لا يتهج إلا بفرحة لقاءك، وها هو يستجدي منك هنا بعض الحرية ليجرؤ أن يرجو، ولو قليلاً، إكتمال هنائه. فأنا أعتبر عباراتك تديراً لطيفاً لحملي على العدول عن زواج وشيك. وإذا تسنى لي أن أصارحك بمنتهى الوضوح، لا أتردد عن القول لك إنني لا أثق كثيراً بمجاملتك البارعة المبطّنة التي تعطيني من طرف لسانك حلاوة وتروغ مني كما يروغ الثعلب. أَلْمِير (تسعل لتنبّه زوجها) : ماذا تقول ؟ هل تريد أن تستنفد عواطف الرقيقة بسرعة ؟ لقد بحث لك بأعزّ مشاعري، وأنت لا تجدها كافية لثرضي غرورك، وتريد أن تُخرج موقفي لتستغلّ ميولي واشواقي.

تَرْتُوف : كلّما قلّ استحقاق الانسان عطف محبوبه، كلّما قلّت جرأته في أمل الحصول على وصاله. وكم من إلتماس رجواناه وصعب علينا تأمينه. وكم ظننا كسب الودّ سهلاً فخابت آمالنا، وكم ضَمِنَّا قطاف المتعة قبل اليقين بنضوجها. هكذا أنا الذي خلّت نفسي أستحقّ طيبة قلبك بتُّ أشك بسعادة، ظننتها وهميةً لأنني لم أتمكّن من إقناعك، يا سيدتي، بصدق محبّتي. أَلْمِير : يا الهي. ما أقسى هواك الذي يجابهني باستبداد، وما أفضع القلق الغريب الذي يلفّ به روحي. فهو يريد أن يفرض عليّ سلطانه، وبالعنف يصرّ على بلوغ أمنيّه، الي حدّ أنك لا تدعّني أتنفّس الصعداء، بل تطوّق امكانيّاتي، وتحجز حرّيتي، وتتمادى في استغلال ضعفي للوصول الي مآربك. تَرْتُوف : إن كنتِ حقاً بعين الحذر والنفور تنظرين الي مكارمي، لماذا

تحويلين دون إفساح المجال أمامي لأثبت لك صدق عزيمة.
 أَلَمِير : كيف تسألني أن أوافق على مطلبك، بدون أن أغيظ السماء التي
 لا تغفل عن تذكيري بشرائعها المقدسة؟
 تَرْتُوف : لو كنتِ تتمسكين بمشيئة السماء لمعارضة رغباتي، فإن تجاوزها
 ليس بالامر الهام العسير في نظري. وهذا لا يجيز لفؤادك أن تحبسي هواه
 عني.

أَلَمِير : مهلاً، مهلاً. تذكر ما تهددنا به السماء من عقاب إن خالفنا وصاياها.
 تَرْتُوف : أنا قادر على تبديد مخاوفك الواهية، يا سيدتي. وكذلك أنا بارع
 في إسكات تبكيت ضميرك، رغم بعض المحرمات التي تشيرين إليها. فهناك
 دوماً تمهيدات تسهل الأمور ولا تعسرهما، وحسب الحاجات توجد وسائل
 علمية لتوسيع نطاق الضمائر وتقليص شرّ القبائح، بفضل حسن النية وصلاح
 القصد. وانطلاقاً من هذه الاسرار الخفية عن معظم البشر، يا سيدتي، يمكنني
 أن أزودك بتوجيهات شيقة تستطيعين أنت بمفردك تطبيقها. فما عليك إلا
 مراعاة خاطري بدون تردد أو وجل. وأنا المسؤول عن العواقب بتحملي
 وحدي سوء المصير. ولكن ما لك تسعين هكذا بشدة، يا سيدتي؟
 أَلَمِير : وطأة الظروف تضايقني.

تَرْتُوف : هلاً تناولت جرعةً من نقيع السوس هذا؟
 أَلَمِير : سُعالي من النوع المستعصي، وأنا واثقة بأن سوس الدنيا كلها لن
 يشفي غليلي.

تَرْتُوف : هذا حقاً مزعج.

أَلَمِير : أكثر مما تتصوره.

تَرْتُوف : إعلمي أن من الهين تهدئة ضميرك. فكوني هنا بأمان واطمئنان
 لأن لا أحد يعلم بوجودك معي. واعرفي أن فداحة الذنب تكمن في اذاعته
 على الملأ، وان الفضيحة بين الناس هي نتيجة الإعلان عن الإثم، اذ ليس
 من خطيئة ظاهرة عندما تظلّ سراً دفيناً.

أَلَمِير (بعدما سعلت مرة أخرى) : أخيراً أرى من الأنسب أن أساير، وأن
 أقبل بمنحك ما تلتسمه مني، وأن لا أظنّ سوءاً باستسلامي اليك، ما دامت

الغاية جنّي بعض المتعة. لا شكّ في أن هناك محاذير بتعدّي الحدود. غير أن الريح على قدر المشقّة، وليس من هناء بدون عناء، كما أن دون قطف الوردة لا بدّ من تحمّل ألم أشواكها. فما علينا إلّا الرضوخ الى نصيبنا. وبما أن الموافقة تتضمّن بعض الذنب، فالمسؤولية تقع على من يدفع الى العصيان، ولا سبيل الى تلبّسي أنا بهذا الجرم.

تَرْتُوف : اجل، يا سيدتي، سأتحمّل الوزر وحدي، والقضية في جوهرها ...
 أَلْمِير : أرجوك أن تفتح الباب قليلاً، لنرى إن كان زوجي يتمشى في هذا الرّواق.

تَرْتُوف : لا حاجة للمبالاة به. فهو رجل، والقول فيما بيننا، يُقاد من أرنبه انفه. فكل أحاديثنا لا علاقة له بها، وأنا قد أسقطته من جميع حساباتي.
 أَلْمِير : مع ذلك، أرجوك أن تطلّ لحظة وتلقي نظرة على ما يجري في جوارنا.

المشهد السادس

أوركون، وألمير

اوركون (يخرج من تحت الطاولة) : في الحقيقة هذا الدجال بلغ أقاصي الخسّة والدناءة، وتصرفاته مزعجة للغاية.
 أَلْمِير : ماذا فعلت ؟ لماذا خرجت قبل الأوان ؟ هل تسخر مني ؟ هيا عدّ الى مكانك، لأن وقت ظهورك لم يحنّ بعد. وعليك أن تنتظر أيضاً قليلاً حتى تبين الأمور بوضوح تامّ، ولا تتكل على الظواهر.
 أُوْرْكُون : لا، لا. لم يُفليت من زبانية الجحيم شيطان أدهى من هذا اللعين.
 أَلْمِير : يا الهي. أتدري أن استعجالك خفّة تُضيع علينا الفرصة لفضح نواياه الخبيثة. دعنا نقتنع كلياً بسوء مآربه، ولا تستبق الأمور، خشية أن يبوء مسعانا بالفشل.

المشهد السابع

ترتوف، وألمير، وأوركون

ترتوف : كل ما حدث الى الآن، يا سيدتي، يساهم بنجاحنا الباهر. لقد أجلتُ بصري في الجناح برمته، فلم أجد أحداً، وأنا مطمئن البال. أوركون (وهو يوقفه) : مهلاً، أنت تتسرع في الجري وراء أهوائك الغرامية. عليك أن تلجم أشواقك الدنيئة الآثمة. أه منك، يا رجل الخير والصلاح. كم كنا مغرورين بتزمتك، وكم أنت سافل في انسياقك وراء شهواتك المنحطة. كنت تلحّ على الإقتران عاجلاً بابنتي. وها أنت تراود زوجتي عن نفسها وتحاول اغراءها بكل الوسائل. لقد خامرني الشك طويلاً بسوء نواياك، وها قد سقط القناع عن وجهك الذميم. لقد اعتقدتُ فترةً أنّ بالإمكان أن تصطلح أحوالك وأن تتغير لهجة أحاديثك المبطنّة بالغش والخداع. ولكن الظروف برهنت في هذه اللحظة على أن ظنوني في محلّها. فلم أعد أطيق صبراً على نفاقك ودجلك أكثر مما فعلتُ حتى الآن.

ألمير (لترتوف) : هذا ما لم أشك في حصوله. وقد أقدمت أنا على هذه الوسيلة لفضح خداعك واحتيالك، أيها الدجال اللئيم.

ترتوف : ماذا تقولين ؟ هل تعتقدين ؟ ...

أوركون : هيّا، هيّا. أرجوك أن لا ترفع صوتك وتضجّ هكذا. فقد ذاب الثلج وبان المرح. ولا سبيل الى تبرير ندالة سلوكك وإجرامك.

ترتوف : نيّتي ...

أوركون : لم يعد من نفع لتكرار خطاباتك الرنانة. عليك أن تغادر هذا البيت بدون تأخير لحظةً واحدة.

ترتوف : بل عليك أنت أن تخرج، يا مدّعي السيادة. فهذا البيت يخصني كما سأثبت لك ذلك، وسأبرهن لك أن كلامك باطل، وأنت عبثاً تحاول مشاجرتي وإهانتي بدون أي حقّ. إذ لديّ ما يؤكّد تطاولك عليّ وتحقيري بدون سبب. وستندم على موقفك هذا الغبي في طلبك اليّ أن أخرج أنا من بيتي هذا.

المشهد الثامن

ألمير، وأوركون

- ألمير : ما هذه اللهجة الجديدة ؟ وماذا يقصد بهذا الكلام الغريب ؟
أوركون : في الحقيقة أنا مخجل، ولا سبيل لي الى مناقشته.
ألمير : لماذا تقول ذلك ؟
أوركون : لقد انتبهتُ الآن الى غلطتي الفظيعة من خلال أقواله. وها هي هبتي تجرّ عليّ الويلات.
ألمير : أية هبة ؟
أوركون : نعم، هذا هو الأمر الواقع. وهناك مسألة أخرى تُقلق بالي.
ألمير : ما هي ؟
أوركون : ستعرفين كل ما جرى. علينا الآن أن نتأكد من أن صندوقاً يخصني لا يزال موجوداً في مكانه فوق.

الفصل الخامس

المشهد الأول

أوركون، وكيانت

كليانت : الي أين أنت مسرع هكذا ؟
أوركون : أنا الآن مرهق، ولست أدري.
كليانت : يُخيل اليّ أن القضية بلغت حدّاً يُلزمنا بالتشاور معاً. لأن الأمور تعقّدت بعد هذا التصادم.
أوركون : الصندوق يشغل بالي أكثر من كل باقي المشاكل التي تبعث على القلق والقنوط.
كليانت : ألهذا الصندوق إذاً كل هذه الأهمية الكبيرة ؟
أوركون : هو وديعة عندي يخصّ صديقي « أركاس » الذي أرثي لحاله، وضعها هو بذاته بين يديّ في سرّيّة تامّة. لأنه قبل هربه قد اختراني اميناً على ما يتضمّنه من اوراق جوهريّة، كما قال لي، تتعلق بها حياته وامواله.
كليانت : ولماذا تركها في حوزتك، ولم يحتفظ هو بها.
أوركون : أعتقد أن دافعه هو تخليص ذمّته، إذ صرّح لي بأنه على وشك افئضاح أمره حيال من خان عهده. وقد اقنعتني حجّته بتسليمي هذا الصندوق لأخبئه له عندي. حتى إذا اقتضى الأمر، وجرى تحقيق في موضوعه، يكون لديّ مهرب وسبب جاهز، كي يظلّ ضميري مرتاحاً بأمان، ولو أقسمت زوراً بخلاف الواقع.

كليانت : أنت في مأزق حرج على ما يبدو لي. والهبة، وهذه الثقة ما هي كما ينبغي إحساس إلا تدير استنبطته أنت على عجل، وقد يودي بك استهتارك بعيداً، وهذه الودعة بين يديك عبء ثقیل عليك. فالرجل تخلّص من قرها ودفعها إليك، فقبلتها بتسرّع وقلة تبصّر. وأضحى الآن من المحتمّ عليك أن تجد بهدوءٍ مناصباً ينقذك من هذه الورطة الوبيلة. أوركون : ما قولك ؟ هل تعتقد أن وراء حُسن المظهر المؤثر، يخفي هذا الرجل شخصيّة غامضة مزدوجة، ونفساً شريرة ؟ وأنا قد أمنت له حاجته بغياء ولم ... لقد قضى الأمر، وقررت أن لا أثق بكل رجال الخير، وبتّ اكره التعاطي معهم، ومن الآن وصاعداً سأكون لهم شيطاناً رجيماً.

كليانت : هدّئ روعك، وخفّف حدّة غضبك. عليك أن تحتفظ بصفاء ذهنك. فأنت الآن تلمس فداحة غلطك، وتعترف بتسرّعك في وثوقك الذي جاء بغير محله. ولكي تصلح خطأك تكاد تقع في غلط أفضح منه. ورُحّت تخلط بين نوايا الرجال الصالحين ونذالة الوغد اللئيم، وتخبط في هذا المجال خبط عشواء. ولأجل محتال سافل غدرَ بك وغشّك بحجةٍ ظاهرها بريء وباطنها سبحان العليم، أخذت تشكّ بكل الناس وتعتقد أنهم كلهم على شاكلته، وأنّ الكون أصبح خالياً من الاتقياء الاوفياء، يعجّ بالاشقياء المعجّمين. دغ للرعاع الأغبياء مثل هذه الحماقات، وأعدّ ثقتك الى أصحاب الفضيلة الذين يستحقّون عليك أن لا تُهين الخيّرين الشرفاء. وإذا وقّعت بين النقيضين لا بدّ لك من أن تميل الى جهة الأصلاح.

المشهد الثاني

داميس، وأوركون، وكليانت

داميس : ما بك يا أبي ؟ هل حقاً أنت معرّض لتهديد أحد الخبثاء الغادرين ؟ لا بدّ من ردّ كيده الى نحره، ومنعه من ابتزازك واستغلالك. أوركون : نعم، يا ابني، يؤسفني أن أكون في وضع لا أحسد عليه.

داميس : دعني أقطع لسان الجاني. ولقاء وقاحته ألقنه درساً قاسياً لا ينساه مدى العمر. إتكل عليّ، فأنا على أتم الاستعداد لإنقاذك من برائن هذه المحنة، ولكي أقطع دابر الشرّ سأعرف كيف أفضي عليه وأقتلعه من جذوره. أوزكون : هذا كلامٌ بطل تُرجى منه عظام الأمور. لكن، أرجوك أن تهوّن عليّ نفسك وتخفّف حماسك للاقتصاص من المعتدي. فنحن الآن نعيش في عصر مسالم لا يلائم فيه اللجوء الى العنف لفض المشاكل، إذ لا خير من مداواة الشرّ بالشرّ.

المشهد الثالث

السيدة برنال، ومريان، وألمير، ودورين، وداميس، وأوزكون،
وكليانت

السيدة برنال : ما الامر؟ لقد بلغتني أنباء مزعجة غامضة. أوزكون : هذه في الحقيقة مشاكل جديدة، تبصرها عيناى وتسمعها أذناى لأول مرة. وسيكلفني حلّها باهظاً جداً. فلقد استضفت رجلاً وأصغيت الى شكواه، واعتبرته كأخ محبّ، وحاولت أن أواسي لهفته، وأن أسدي اليه جميلاً، فوعده بتفريج كربته وبتزويجه ابنتي ومنحه كل ارزاقى. لكنه ما لبث أن تجلّى عليّ حقيقته. واذا به غدار لئيم ومحتال خسيس، حتى أنه حاول أن يغرّر بأمرأتى أيضاً. ولم يكفه ما يضمّره من غشّ وخداع وابتزاز فهذّنتني بالويلات مستغلاً طيبة قلبي كي يضعني في المأزق الذي صدّقته وحاولت انتشاله منه.

دورين : مسكين أنت.

السيدة برنال : لا يمكنني أن أصدّق أن هذا المغلوب عليّ أمره لا يتورّع عن إتيان عمل نذل كهذا.

أوزكون : ماذا تقولين؟

السيدة برنال : كم أرقّ لحال رجال الخير المحسودين والمتهمين زوراً عليّ الدوام.

أُورُكُون : ماذا تقصدين بقولك هذا، يا أمّاه ؟.

السيدة بَرْنال : أعني أن الحياة غزبية في وسطكم، وأن الحقد ليس له من حدود.

أُورُكُون : وما دخل الحقد في ما نحن الآن بصدده ؟.

السيدة بَرْنال : لقد أكّدت لكم ألف مرة عندما كنتم صغاراً أن لا كرامة للفضيلة في فوضى هذه الدنيا، وأن الحساد يموتون كمدماً ويبقى الحسد على الدوام.

أُورُكُون : وما علاقة هذا الكلام بما حدث الآن ؟.

السيدة بَرْنال : سيُخلَق لكم ألف قصة من هذا النوع إن بقيتم مغفّلين.

أُورُكُون : كررت عليك مراراً إنني شاهدت العجب بأُم عيني.

السيدة بَرْنال : ليس من قرارٍ لأذى نميمة أهل الشر والفساد التي تشبه اللجج الطاغية.

أُورُكُون : أنت تظلميني، يا أمّي. قلت لك وأعيد عليك أنني أبصرت الجرم الفظيع بأُم العين.

السيدة بَرْنال : ألسنةُ السوء مشبعة بالسّم الزعاف تنفته في كل زمان ومكان على هذه الأرض الواسعة، وليس من السهل تحاشيها.

أُورُكُون : هذا حديث لا طائل تحته. قلت لك وأقول وسأقول إنني أبصرت الأذى بأُم عيني ولمسته لمس اليد. ولن أكفّ عن ترديده على الملأ الى ما لا نهاية له.

السيدة بَرْنال : يا الهي. ألا تعلم، يا ولدي، أن الظواهر خدّاعة، وأنّ على الرجل العاقل أن لا يحكم في أي أمر على ما يرى ويسمع فقط.

أُورُكُون : أكاد أجنّ.

السيدة بَرْنال : طبيعة الانسان ميّالة الى الشكّ، وأنت تكاد لا تصدّق ما يظهر للعيان من خير وصلاح.

أُورُكُون : لا بدّ لتفسير الإصرار على وجود النوايا الطيبة من أن أُلبي رغبتني في تصديق زوجتي.

السيدة بَرْنال : ولا بدّ من حجج دامغة لإلقاء التهم على الناس، وعليك

أنت أن تنتظر جلاء الامور لاصدار حكمك النهائي.
أوركون : رباه، كيف يتسنى لي أن أجد السبيل الى التأكد كما يجب.
عليّ اذاً، يا امي، ان انتظر حتى تبدو الحقيقة ناصعة لعيني. وهكذا ...
تضطريني الى قول بعض الحماقات.

السيدة بزّال : أخيراً، أراك متشوّفاً الى القيام بعمل جليل، ولا يسعني أن
أتصوّر أنك تصبو الى محاولة إثبات ما قد قيل.
أوركون : لست أدري، لو لم تكوني والدتي، بماذا كنت رشقتك، وأنا
في فورة غضبي.

السيدة بزّال : الأمر عادي وبسيط. للغاية في هذه الدنيا. أنت لا تصدّق
ما يقوله غيرك، وسواك لا يصدّق ما تصرّح به أنت.
كليانت : ترانا نضيع وقتنا الثمين في مباحكات تافهة. بينما يجدر بنا أخذ
الاحتياطات لردّ التهديدات الخبيثة التي يتحمّم علينا أن لا نغفل عن توقعها
وننام على حريز تجاهلها.

داميس : ما هذا الكلام ؟ هل بلغت الوقاحة بصاحبنا الدجّال الى هذا الحدّ ؟
أمير : أنا لا أعتقد أننا سنصل الى الطريق المسدود. فان جحوده هنا
بارز للعيان.

كليانت : جانبه غير مأمون. وسيكون له ردّات فعل عنيفة ويحاول زوراً
أن يثبت أنّ الحقّ معه في ما يبذله من جهود. أكرر عليكم : بما أن
لديه سلاحاً فتاكاً يجمل بكم أن لا تدفعوه الى إشهاره عليكم.
أوركون : هذا صحيح. ولكن ما العمل ؟ الآن أشعر بأنني لم أكن على
مستوى درء أذى هذا الشرير الغدار عني.

كليانت : كم أودّ من كل قلبي أن أتوصّل الى تضييق شقة الخلاف بينكما،
وإجراء مصالحة شاملة ليسود الوثام علاقاتكما.

أمير : لو علمت بأن في يده مثل هذا السلاح الجارح، لما كنت أوصلت
النزاع الى هذه الهاوية السحيقة. وأنا ...

أوركون : ماذا يريد هذا الرجل بالضبط ؟ لا بدّ لنا من أن نعرف الحقيقة.
فأنا مستعد لقبول كل تسوية.

الفصل السادس

المشهد الأول

السيدة لويّال، والسيدة برنال، وأوركون، وداميس، ومريان، ودورين،
والمير، وكليانت

السيد لويّال : نهارك سعيد، يا اختي العزيزة. أرجوك أن تدعيني أكلم هذا
السيد.

دورين : هو ليس وحده، وأشكّ بأن يتمكن الآن من مقابلة أي شخص.
السيد لويّال : أنا لست دخيلاً على هذه القضية، وأثق بأن وساطتي لن
تزعجه، على ما أرى. فالموضع الذي أنوي أن أطرقه سيرضيه كل الرضى.
دورين : ما اسمك؟

السيد لويّال : قلبي له فقط اني آتي من قبل السيد ترتوف لأجل حلّ
هو حتماً من صالحه.

دورين : هذا الرجل يأتي بصورة لطيفة من قبل السيد ترتوف، ليفتحك
بمسألة ترضيك، كما يقول.

كليانت : عليك أن تتبني من هو هذا الرجل، وماذا يريد تماماً.

أوركون : ربما أتى لكي يصلحنا. فكيف يجب عليّ أن أبدو له؟

كليانت : لا بدّ لك من كظم غيظك، ومحادثته بلهجة الوفاق، والإصغاء
الى ما سيعرضه عليك.

السيد لويال : نهارك سعيد، يا سيدي، لا غَفَلتِ السماءَ عَمَّن يريد اذاك،
 وحققتُ لك أعز أمنياتك.
 أوزكون : بدء كلامك ينطبق على توقّعي الحكيم. وأظنه مقدّمة للوصول
 الى الإتفاق المنشود.
 السيد لويال : أسرتك منذ القدم كانت، ولا تزال عزيزة عليّ، فقد أمضيت
 عمري في خدمة سيدي والدك الوقور.
 أوزكون : أسألك العفو. لقد أحججتني بوفرة تواضعك، وأنا استحي من
 عدم معرفة اسمك، فهل يمكن أن تذكره لي؟
 السيد لويال : أنا أدعى لويال، مسالم من مقاطعة نورمندي، وظيفتي حاجب
 وأمسك بعكاز، رغم أنف كل حاسد. ومنذ أربعين عاماً أمارس مهنتي
 باعتزاز. وآتي الآن اليك، يا سيدي، عن اذنك، لأبلغك قراراً ما ...
 أوزكون : ماذا تقول ؟ أنت هنا ليكي ...
 السيد لويال : يا سيدي، لا تحتدّ. هذا ليس سوى إنذار، بل إذا شئت،
 أمر موجّه اليك والى أفراد أسرتك بإخلاء هذا المكان. ستضع مفروشاتك
 خارجاً وتسمح لغيرك بأن يسكن هذا العقار بدون إمهال أو تأجيل حسب
 مقتضى الحال ...
 أوزكون : أأنا أخرج من هنا؟
 السيد لويال : نعم، يا سيدي، من فضلك. فهذا المسكن أضحي حالياً
 كما تعلم، مُلك السيد ترتوف، يخصّه بلا منازع. وقد أصبح صاحب أملاكك
 وسيدها المطلق بموجب عقد هو بحوزتي، كامل النصّ بالشكل والأساس،
 وليس عليه قانوناً أي غبار أو ما يُقال.
 داميس : لا سبيل للنكران أن هذه وقاحة لم يسبقها مثيل، وإن أُعجبتُ
 بجسارتها.
 السيد لويال : يا سيدي، أنا لم يعد لي شأن معك. فهذا الشخص بالغ
 راشد وعاقل لطيف. وهو كملاك سابق مطلع على هذه الإجراءات، وليس
 بحاجة الى الإعتراض على أنظمة العدالة.
 أوزكون : ولكن ...

السيد لويال : نعم، يا سيدي، أنا عارف أنك لأجل مليون لست مستعداً للمعارضة أو للتمرّد على قرار المحكمة. لذا أنا مقتنع بأنك ستتيح لي المجال لتنفيذ الأوامر الصادرة اليّ.

داميس : يمكن، يا سيدي الحاجب، صاحب العكاز، أن تنبأه وتعتزّ بيزتكَ السوداء.

السيد لويال : أطلب، يا سيدي، من ولدك أن يسكت أو أن ينسحب. وإلاّ اضطررت الى تنظيم محضر مخالفة بحقك وبحقّه.

دورين : أرى أن السيد لويال ينوي إثارة المتاعب.

السيد لويال : أنا أحترم جميع الناس المسالمين، ولم آت الى هنا إلاّ لإبلاغكم بدون إزعاج، ما أحمله من أحكامٍ مبرمة. فما عليكم إلاّ أن تواجهوها بحسن القبول، وأن لا تجبروني على ...

أوزكون : وما هو الإجراء الأدهى من أن تطلب من الناس أن يُخلوا بيوتهم ؟.

السيد لويال : لقد حدّدت لكم، يا سيدي، مهلة التنفيذ حتى الغد. وسأتي لأمضي الليلة هنا مع عشرة من رجالي بدون إثارة فضيحة أو شغب. ويتحمّم عليكم شكلياً قبل أن تناموا أن تسلموني مفاتيح باب داركم. وعليّ أن لا أقلق راحتكم. ولكن منذ صباح الغد عليكم أن تبادروا الى مغادرة المكان بعد إفراغه من كل الادوات المنزلية. سيساعدكم رجالي على إنجاز ذا العمل وإخراج كل المحتويات. وكونوا على يقين بأن ليس بالإمكان لأي كان أن يتصرّف بطريقة أفضل ممّا فعلت أنا. وبما إني أعاملكم بأقصى التساهل، أرجوك، يا سيدي، أن تُحسّن التصرف أنت أيضاً، وأن لا تُخلّ بإجراء اللازم في تنفيذ مهمتي كما يجب.

أوزكون : بكل طيبة خاطر سأناولك فوراً مئة ليرة ذهبية، لم يبقَ لديّ سواها كي تُدخل السرور الى قلبي بلطمك هذا الرجل الفظّ لطمّةً يتذكّرها طوال عمره.

كليانت : دَعَكَ من هذه الفكرة الصبيانية، ولا تشوّه عدالة القضية.

داميس : ازاء هذه الجسارة، أكاد أضبط أعصابي، وأشعر بأن يدي تحكّني لأنزل ضربة تقصم ظهر المعتدي.

دورين : بمثل هذه القامة الضخمة، أيها السيد لويال، أعتقد أن كم ضربة قضيب لن تكون ضائعة فيه.
السيد لويال : لا بدّ لك من عقاب صارم أنتِ أيضاً على هذا الكلام، يا صديقتي. واعلمي أن المحاكمات تشمل النساء أيضاً.
كليانت : لنضع حداً لهذه المهزلة. فقد طفح الكيل. ناولنا هذه الورقة، من فضلك، وارحلّ عنا بسلام.
السيد لويال : الى الملتقى، حفظكم الرب.
أوزكون : أسأل المولى أن يهدّ حَيْلك وحَيْل من أرسلك الينا.

المشهد الخامس

أوركون، وكليانت، ومريان، وألمير، والسيدة برنال، ودورين،
وداميس

أوزكون : والحالة هذه، يا والدتي، وبما ان الحق الى جانبي، وأنتِ تَرَيْن من الأنسب أن تحكمي على ما تبقى من هذه المعضلة، فلا بدّ من أن تعترفي بأن دناؤه ليس لها من حدود.

السيدة برنال : أنا مندهشة، وقد عراني الدهول.
دورين : لا فائدة من شكواكم، ولومكم في غير محله. لأن ما جرى قد جرى. ولأن محبة القريب فضيلة يجهلها كل عقوق. لا شكّ في إن المال يُفسد اخلاق الانسان. وهذا الخصم إكراماً لكم يريد أن يجرّدكم من أملاككم حرصاً على خلاصكم ورفاهكم.
أوزكون : أسكتي. هذه هي الكلمة التي أضطر دائماً الى ترديدها لك، يا ثرثارة.

كليانت : هيّا نبحث عن المجلس الإداري الذي علينا أن ننتخبك عضواً فيه.
ألمير : عليكم أن تثيروا حفيظة الجاحد عديم الانصاف. لأن حديثكم لا

تأثير له في محاولة إبطال مفعول العقد. ومن ثمّ تظهر رجاسة منظّمة كالغراب الفاحم السواد على رقعة مكسوّة بالثلج الناصع البياض. وعليّنا أن لا نرجّح نجاحه في هذه المشكلة أكثر مما نظن.

المشهد السادس

فالير، وأوركون، وكليانت، وألمير، ومريان، وغيرهم .

فالير : يؤسفني، يا سيدي، أن آتي لأزعاجك. غير أنني مضطر إلى التصرف هكذا، نظراً إلى الخطر المحدق بك. هناك صديق تربطني به مودّة متينة، وهو يعلم مدى العلاقة القديمة التي تجمع بيني وبينك. وقد أفشى لي سرّاً مكتوماً وذلك من قبيل الغيرة على معزّتي، وحرصاً على مصالح الدولة، وأبلغني قراراً مضمونه يجبرك على الفرار من وجه العدالة. فالوعد اللئيم الذي ظلّ زمناً طويلاً يمالكك، وشى بك منذ ساعة إلى الأمير، وسلّمه ملفك كمجرم دولي، ضمن صندوق له اهمية كنت تحفظه خفية، رغم أنه يشكّل خطراً على سلامة الحكومة. أنا أجهل تفاصيل التهمة الموجهة اليك. غير أنني علمت بأن أمراً صدر بحقّك، وأنه هو المكلف بتنفيذه بمعونة رجل الأمن الذي سيلقي القبض عليك وشيكاً.

كليانت : هذه هي الحقوق التي يدعيها وتمنحه السلطة على اغتصاب أموالك. أوركون : لا أنكر أن هذا المجرم كشف عن حقيقة نفسه، فبيّن أنه أشرّ فتكاً من الوحوش الضارية.

فالير : وإن تلهيت وأضعت الوقت، إزداد الخطر على حياتك. فها هي عربتي تنتظر خارجاً، ويمكنك أن تستقلّها وتهرب. ولقد اتيتك بألف ليرة ذهبية لتدبّر أمرك بواسطتها. فلا تُضع الوقت سدىً. الأمر، كما ترى، خطير جداً، وبإمكانك تجنّب الكارثة بفرارك حالياً، وانتقالك إلى مكان آمن. وأنا مستعد لمؤازرتك ومرافقتك إلى حيث تشاء.

أوزكون : لا، لا . أشكرك على ما تقدّمه لي من مساعدة. ولكي أردّ لك جميلك يلزمني بعض الوقت. فأطلبُ من الله أن يعينني على مبادلتك هذه الخدمة الجليلة. الوداع. أرجوكم أن تأخذوا حذرکم أنتم أيضاً ...
كليانت : اذهب عاجلاً، يا اخي، ونحن هنا نتدبّر أمرنا كما يجب.

الفصل السابع والأخير

رجل الأمن، وترتوف، وفالير، وأوركون، وألمير، ومريان، وغيرهم

تَرتوف : مهلاً، يا سيدي، مهلاً؛ ولا تسرع هكذا. لن تذهب بعيداً كي تجد ملجأ؛ ولن تلبث أن تُسَجَنَ بأمر الأمير.
أوزكون : تَبّاً لك من خائن حقير. حفظت لي هذه النهاية النعيسة الي آخر المطاف. هذا ضرب منك يثبت مكرك وانحطاط أخلاقك، وقد تَوَجَّت به غدرك الدنيء.

تَرتوف : إهاناتك لن تفيدك، ولن تؤذيني، لأنني معتاد على أمثالها.
كليانت : أنا أعتقد أنّ الاعتدال خير الحلول.
داميس : كم يهزأ المجرمون بعدالة السماء.
تَرتوف : مهما بلغ احتداد غيظك لن يؤثر عليّ. وأنا لا يهمني إلاّ القيام بواجبي.

مريان : أنت تظن أن هذا التصرف يُشرفك، وأنت بهذا العمل الذي قد جَنَيْتَ أوفر الأرباح مادياً ومعنوياً.

تَرتوف : عملي طبعاً لا يُعتَبَر ناجحاً إلاّ إذا تَمَّمْتُهُ حسب الأصول.
أوزكون : هل تتذكّر أياديّ البيضاء عليك، يا ناكر الجميل، وكم من معروف اسديت إليك، أيها الجاحد النذل ؟.

تَرتوف : أجل، لا أزال أتذكّر كم جُذِّتَ به عليّ من رعايتك وعونك. غير أن تنفيذ قرار الأمير هو اليوم أوجب واجباتي. وتتميم هذا الواجب

المقدّس يخنق في أعماقي عاطفة عرفان الجميل. وأنا مستعدّ أن أضحي في هذا السبيل بصدريقي وزوجتي وأهلي، حتى بذاتي أنا أيضاً معهم. **الأمير** : ما أحقرك من شرّير بغيض. **دورين** : لقد ظهرت أخيراً على جليّتك، أيها المنافق الغدار، وتبيّن أنك أسفل الأوغاد.

كليانت : بالأمس كنّا نظنّك الرجل الكريم الغيور على فوز الفضيلة التي كنتَ تدعيها. حسناً فعل صاحبنا الذي طاع امرأته لكي تكشف حقيقة خداعك ومراءاتك، بينما أنت تراوغ وتحاول إغراء زوجته أيضاً. وإذا به يضطر في الآخر الى طردك والتنديد برذائلك. أنا لا أودّ أن أكلمك عن تنكّرك لواجباتك، وعن احتيالك واستدراج من تدّعي صداقته الى منحك أمواله كهبة، بل أريد أن أحاسبك على اعتبارك إياه مجرماً وعلى مطاردتك إياه بعد أن أكرمك وأهداك ممتلكاته.

ترتوف (لضابط الأمن) : أرجوك أن تخلّصني من هذا الصراخ المزعج، وأن تنفّذ الأوامر الصادرة اليك اليوم لإلقاء القبض عليه وإتمام مهمّتك هذه. **ضابط الأمن** : أجل، عليّ أن أبادر الى عمل ما جئت لأجله. لئلا، إتبعني حالاً الى السجن الذي أصبح الآن مأواك.

ترتوف : من، يا سيدي، أنا ؟.

ضابط الأمن : نعم أنت بذاتك.

ترتوف : ولماذا أُسجن ؟.

ضابط الأمن : لا حساب لديّ أوّديه لك. (يخاطب أوركون) : تنبّه يا سيدي، من غفلتك. نحن نعيش في ظلّ أمير عادل يكره الغش ويحارب الفساد، أمير يسهر على مصالح رعاياه، ويعاقب المجرمين، ولا يغمض له جفن حتى يردّ لك ذي حقّ حقّه بدون أن يتلّهى بالأباطيل وتنطلي عليه الحيل. وحين جاء من يشكوك اليه، كشفه على حقيقته وفضح نواياه العدائية الجانية. لقد عرف هذا العاهل الصالح كيف يتبيّن ندالة خصمك وعقوقه وسائر مساوئه. لأنه دقّق في أوراقك التي كانت بحوزته، والعقد الذي خوّله استملاك أرزاقك. وقد صفح عنك رغم ما وجهه اليك من إتهامات، وحرص على

الاشادة بما بذلته في الماضي من غيرتك، وأيد حَقِّك. لانه يتشبث بتأمين
الحقّ والعدالة لكل أتباعه المسالمين.
دُورين : الحمد لله الذي قيّض لنا هذا الحاكم النبيه الحكيم.
السيدة بَرْنال : ها أنا الآن أتنفس الصعداء.
الأمير : هذا حقاً نجاح باهر.
مريان : من كان قادراً على إظهار الحقيقة؟
أوزكون (يخاطب تروتوف) : هذا هو المجرم البغيض ...
كليانت : كفّ، يا أخي، عن هذا الحديث التافه، ولا تتدنّى الى هذا المستوى
الساذج، واترك هذا الوغد الى مصيره البائس، ولا تشغل بالك بترهاته.
بل أطلب من الله أن يهديه الى الطريق المستقيم، ويقوم إعوجاجه، ويردّه
الى حظيرة الفضيلة. واسأل المولى أن يحمي اميرنا الفاضل ليظل ساهراً
على استتباب الأمن والعدل. واذهب واجثو على ركبتيك واشكر الرب على
ما اولاك من النعم في ظله الوارف.
أوزكون : أجل، هذا قول سديد. هيا نمثّل أمام العزّة الإلهية لشكر أفضاله،
ونبارك اسمه المجيد الكريم. ثم نتمّم واجباتنا نحو عدله ورعايته، ونكثّل
أفراحنا بمباركة زواج هذين العريسين، وقد لبّيا نداء قلوبهما كحبيبتين عزيزين
سعيدين.

(تَمَّت)

دُونُ جَوَانُ

أشخاص المسرحية

- دون جوان^(١) : ابن دون لويس.
سغاناريل : خادم دون جوان.
الفير : زوجة دون جوان.
غوسمان : حامل السلاح لدى الفير.
دون كارلوس : شقيقا الفير.
دون الونس : {
دون لويس : والد دون جوان.
شارلوت : {
ماتورين : {
بيارو : فلاح.
تمثال الفارس الأمر القائد.
لافيوليت : {
راغوتان : {
السيد ديمونش : بائع او تاجر.
لاراميه : سيّاف.
فقير :
حاشية دون جوان
حاشية دون كارلوس ودون الونس.
شبح

تدور احداث المسرحية في صقلية.

(١) دون هو لقب النبلاء في اسبانيا.

الفصل الأول

مشهد قصر^(١)

المشهد الأول

سغانريل، غوسمان

سغانريل (لكارلوس يحمل منشقة^(٢)) : بالرغم مما يقوله أرسطو والفلسفة كلها، لا شيء يضاهي التبغ، فهو ولع النبلاء من الناس ومن يعيش بدونه لا يستحق العيش. انه ليس فقط يُفرح الأدمغة البشرية ويُطهرها وانما يعلم النفوس الفضيلة وبه يتعلم المرء أن يكون نبيلاً. ألا ترى كم يصبح كريماً مع كل الناس وكم يُسرُّ في توزيعه يميناً ويساراً أينما وُجد ما أن يتنشّق القليل منه، فلا ينتظر أن يطلب منه ذلك إذ يهبُّ لتحقيق امنيات الناس. صحيح أن التبغ يوحى بمشاعر الشرف والفضيلة لكل من يتنشقه. بل كفانا كلاماً عنه. لِنَعُدْ قليلاً الى موضوعنا. هكذا إذن، يا عزيزي غوسمان، دوننا الفير، سيدتك، بعد أن فاجأها رحيلنا، شرعت في اللحاق بنا وقلبها الذي طالما عرف سيدي كيفية التأثير عليه بقوة، لم يستطع العيش، كما تقول، دون المجيء الى ههنا والبحث عنه. أترى أن أكشف لك فيما بيننا عن حقيقة افكاري ؟ أخاف أن لا يبادلها

(١) حسبما يبدو، هو مبنى عام مفتوح لجميع المتنزّهين.

(٢) ما يجعل فيه النشوق دقيق التبغ.

مشاعر الحب وأن لا يأتي سفرها الى هذه المدينة إلا بالقليل من الثمار وأن يكون أنفع لو بقيت هناك.

غوسمان : وما السبب ؟ ارجو، يا سغاناريل، أن تقول لي : ما الذي يوحي لك بخوفٍ على هذا القدر من الشؤم ؟ هل فاتحك سيدك بهذا الشأن وهل قال لك أن فتوره تجاهنا يضطره الى الرحيل ؟

سغاناريل : كلا ولكن، حسبما أرى، انا أعرف تقريباً مسار الأمور وقبل أن يفاتحني بشيء، أكاد أراهن ان الأمر كذلك. قد أكون مخطئاً ولكن، في النهاية وفي مواضيع كهذه، أعطتني التجربة بعض الخبرة.

غوسمان : ماذا ؟ أياكون هذا الرحيل الغير منتظر خيانةً من دون جوان ؟ أيمكنه الإساءة الى حبٍ دوننا ألفتير العفيف ؟

سغاناريل : كلا ولكنه لا يزال يافعاً ولا يملك الشجاعة ...

غوسمان : أيقوم رجل بمستواه بعمل جبان كهذا ؟

سغاناريل : آه، نعم، مستواه ! السبب وجيه وهذا ما يمنعه من القيام بأشياء ! غوسمان : ولكن روابط الزواج المقدسة تجبره على الإلتزام.

سغاناريل : آه، يا صديقي المسكين غوسمان، صدقتي، انت لا تعرف بعد من هو دون جوان.

غوسمان : انا لا اعرف حقاً من قد يكون هذا الرجل ولا سيما اذا كان قد خاننا هذه الخيانة، ولا افهم قط، بعد هذا القدر من الحب والإندفاع المشهود والإخلاص والولاء الملحاح والأمانى والتنهيدات والدموع والرسائل الولهى والإحتجاجات المتوقدة الأيمان المتكررة ومظاهر الحب التي أظهرها، حتى إنه إقتحم من شدة ولهى حاجز الدير المقدس للوصول الى دونا الفير، لا افهم، كما قلت، بعد كل هذا، كيف يملك القدرة والشجاعة على الحث بوعده. سغاناريل : انا لا يصعب عليّ فهم ذلك. لو كنت تعرف المحتال الماكر لوجدت الأمر سهلاً بالنسبة اليه. أنا لا اقول أن مشاعره تبدلت تجاه دونا الفير، لست متأكداً بعد من ذلك. انت تعرف أنني رحلت معه تنفيذاً لأوامره وأنه، منذ وصوله، لم يتحدّث اليّ قط؛ ولكن، على سبيل الإحتياط، اعلمك، فيما بيننا، أنك ترى في دون جوان، سيدي، أكبر فاسق حملته الأرض، كلباً

مسعوراً، شيطاناً، عنيداً، ملحداً، غير مؤمن لا بالسماء ولا بجهنم ولا بالغول الذئبي (ساحر يحول ليلاً متنكراً بهيعة ذئب)، يقضي حياته كحيوان فظ، كخنزير أبيقور^(١)، كسردنبال^(٢)، حقيقي يسدُّ أذنيه عن التائب الذي قد توجه إليه ويعتبر كترهات كل ما تؤمن به. قلت لي انه تزوج سيدتك، صدق انه قد يفعل اكثر من ذلك في سبيل هيامه : قد يتزوج منك ايضاً ومن كلبها وقطنها. الزواج عقد لا يكلفه شيئاً؛ وهو لا يستخدم أشراكاً كغيره لإصطياد الحسنات. انه طالب زواج دائم مستعد لكل خدمة. لا شيء عنده شديد الحرارة أو البرودة : لا فرق، سيدة كانت ام آنسة، بورجوازية أم فلاحه. إذا عددت لك اسماء كل اللواتي تزوج منهن في أماكن مختلفة لطال بنا الوقت حتى المساء. ما لي أراك متفاجئاً وقد تغير لونك عند سماعك هذا الكلام. ليس هذا إلا رسماً أولياً لشخصيته، ولكي تكتمل صورته فهي تستوجب لمسات أخرى. يكفيك غضب السماء الذي سيوقع به في يوم من الأيام؛ يكفيك أنه من الأجدد بي أن أكون للشيطان من أن أكون له، وأنه يريني الكثير من أعماله البشعة حتى أنني أتمنى أن يضيع في مجاهل الأرض. إلا أن السيد الكبير والشريه هو امر رهيب. من واجبي الإخلاص له رغم نفوري منه. لقد حل في نفسي الخوف منه بدل الإندفاع له فألجم مشاعري، وغالباً جداً ما يرغمني على القبول بما تمقته نفسي. ها هو آتٍ للتنزه في هذا القصر. لنفترق. إسمع : إني اعترف لك بكل صراحة وقد خرج هذا الاعتراف من فمي بشيء من السرعة ولكن إذا أبلغته شيئاً مما قلته، سأكذبك بصوت عالٍ.

المشهد الثاني

دون جوان وسغاناريل.

دون جوان : من كان يتكلم معك ؟ يبدو لي أنه يشبه طيب القلب غوسمان، حامل السلاح عند الفير.
سغاناريل : ربّما.

دون جوان : ماذا ؟ انه هو .
سغاناريل : بذاته .
دون جوان : ومنذ متى هو في هذه المدينة ؟
سغاناريل : منذ مساء البارحة .
دون جوان : وما سبب مجيئه ؟
سغاناريل : أظنك تعرف جيداً سبب قلقه .
دون جوان : رحيلنا، دون شك ؟
سغاناريل : لقد حزن الشيخ كثيراً لرحيلنا وكان يسألني عن السبب .
دون جوان : وبما أجبتة ؟
سغاناريل : انك لم تقل لي شيئاً .
دون جوان : وانت، ما رأيك في هذا الموضوع ؟
سغاناريل : أظن، من دون الإساءة اليك، أنك بصدد حب جديد .
دون جوان : أتظن ذلك ؟
سغاناريل : أجل .
دون جوان : في الواقع، لست مخطئاً ويجب الاعتراف لك بأن شخصاً آخرأ
حلّ في نفسي مكان الفير .
سغاناريل : يا الهي ! اعرفك كما أعرف نفسي واعرف ان قلبك الذي هو
أكبر زير نساء في العالم يلدُّ له التنقل من علاقة الى آخر ويكره البقاء مكانه .
دون جوان : قل لي : ألا تجدني محققاً في التصرف على هذا النحو ؟
سغاناريل : آه، يا سيدي !
دون جوان : ماذا ؟ تكلم .
سغاناريل : طبعاً انت محق، إذا كنت تريد ذلك، فنحن لا نستطيع مضايقتك .
ولكن، إذا كنت لا تريد ذلك فالأمر يختلف .
دون جوان : حسناً ! لك حرية التكلم والإفصاح لي عن مشاعرك .
سغاناريل : في هذه الحالة، يا سيدي، اقول بكل صراحة اني لا اوافقك الرأي
مطلقاً وأجد في غاية البشاعة أن يحب المرء في كل مكان كما تفعل .
دون جوان : ماذا ؟ تريد أن ترتبط بأول من تمسك بنا وأن تتخلّى عن العالم

من أجلها وأن لا ننظر الى غيرها ؟ لهو شيء قبيح أن نطمح لشرف أو إخلاص باطل وأن نُدفن الى الأبد في علاقة حب ما، وأن نحجب أنفسنا منذ الشباب عن كل الجمالات الأخرى التي قد تشدنا إليها لا، لا، فالإستقرار يصلح فقط للرجال السخفاء. لكل الحسنات الحق في أسرنا والأولى التي تحظى بمصادقتنا يجب ألا تغتصب حقوق الأخرى في الدخول الى قلوبنا. اما أنا، فيسحرني الجمال أينما وجدته واستسلم بسهولة لهذا العنف اللذيذ الذي يجرفنا به. حتى ولو كنت مرتبطاً فالحب الذي أكنه لحسناء ما لا يلزم نفسي مطلقاً بظلم الحسنات الأخرى، وابقى عيني مفتوحتين لأختبار جدارتهن وأكرم كل واحدة منهن، وأعطيها الحق الذي تمليه علينا الطبيعة. ومهما يكن من امر، فأنا لا أستطيع اغلاق قلبي بوجه كل ما أراه جيداً بالحب؛ وما أن يناديه وجه جميل حتى أتنازل عن كل الوجوه الأخرى، حتى لو كنت املك الكثير من الوجوه الجميلة. على كل حال، للهوى الناشئ سحر غامض ولذة الحب كلها تكمن في التغيير. اننا نذوق حلاوة كبيرة حين نخضع قلب صبيّة جميلة عن طريق الإطراء والمديح، حين نرى يوماً بعد يوم التقدم البسيط الذي نحرزه، حين نحارب بالآهات والدموع والتعهدات حشمة نفس بريئة يصعب عليها الإستسلام، حين نهزم خطوة خطوة كل المقاومات التي تصدنا بها، حين ندحر كل وساوس الضمير التي تصنع منها شرفاً لنفسها، حين نقودها بلطف الى حين نرغب. ولكن، حين نسيطر عليها، يُنفذ القول والتمني، فننفذ لذة الهوى كلها وننام في هدأته الى أن تأتي فتاة جديدة وتوقظ غرباتنا وتقدم لنا سحراً جديداً فتاناً. إذا، لا شيء ألد من الانتصار على مقاومة صبيّة جميلة ولدي في هذا المضمار، طموح الفاتحين الذين ينتقلون دائماً من نصر الى نصر ولا يسعهم الحد من طموحاتهم. ما من شيء يستطيع لجم رغباتي : أشعر ان لي قلباً يحب الأرض كلها واتمنى كالإسكندر أن تكون هناك عوالم أخرى لكي انشر فيها فتوحاتي العاطفية.

سغاناريل : يا لك من خطيب ؟ يبدو انك حفظت هذا غيباً وتتكلم كما لو كنت تقرأ في كتاب.

دون جوان : ما رأيك ؟

سغاناريل : في الواقع، سأقول ... لا اعرف ماذا اقول. انك تقلب الأشياء على نحو يبدو معه انك على حق؛ ولكن الحقيقة هي انك مخطئ. كانت لدي اجمل الأفكار وقد اختلطت في رأسي من جراء كلامك. ولكن، في المرة القادمة سأكتبها لكي أناقشك.

دون جوان : حسناً تفعل.

سغاناريل : ولكن، يا سيدي، هل تأذن لي ايضاً بالقول أن نمط عيشك قد صدمني قليلاً ؟

دون جوان : ماذا ؟ وكيف هو نمط عيشي ؟

سغاناريل : انه جيد جداً. ولكن، مثلاً، كونك تتزوج كل شهر كما تفعل ...

دون جوان : هل هناك شيء امتع من هذا ؟

سغاناريل : هذا صحيح. أنما افهم أن هذا ممتع ومسلّ جداً وكنت لأنكيّف معه بما يكفي لو لم يكن في الأمر سوء. ولكن يا سيدي، الإستهزاء بسر مقدس و ...

دون جوان : كفى، كفى. هذه قضية بين السماء وبينني وسأجد لها حلاً دون أن تتعب نفسك.

سغاناريل : في الواقع، يا سيدي، اني اسمع دائماً أن الإستهزاء بالسماء تهوّر وأن نهاية المتهورين وخيمة.

دون جوان : مهلاً، ايها الأحمق، انت تعرف أنني لا أحب من يؤنبني ويوبخني.

سغاناريل : انا لا اقصدك انت، معاذ الله. أنت تعرف ماذا تفعل وإذا كنت غير مؤمن فلديك اسبابك. ولكن، هناك بعض العابثين الصغار في العالم، الذين يعيشون عيشة فسق ومجون ولا يعرفون لماذا يكفرون ظناً منهم أن هذا يليق بهم. لو كان سيدي مثلهم لكنت واجهته وقلت له بكل وضوح : « اتجرؤ على الإستهزاء بالسماء ؟ ألا تخاف من الإستهزاء بالأشياء الأكثر قداسة كما تفعل ؟ أمن حقلك أنت يا دودة الأرض الصغيرة، ايها القزم (اقول هذا للسيد الذي ذكرته)، امن حقلك أنت أن تستهزئ بما يجلُّه كل الناس ؟ ألأنك ذو شأن وتضع على رأسك شعراً مستعاراً حسن التجعيد، وريشاً في قبعتك ولباساً

مذهباً وشرائط نارية اللون (انا لا اتوجه، في حديثي، اليك بل الى الآخر) تظن أنك أصبحت أكثر حكمةً وعلماً وأن كل شيء مسموح لك وأن ما من أحدٍ يجرؤ على مصارحتك بالحقيقة ؟ اعلمك انا، خادملك، أن السماء ستقتص من الكفار عاجلاً أم آجلاً وأن حياة التهور تُحتم موتاً متهوراً وأن ...

دون جوان : كفى !

سغاناريل : ما الأمر ؟

دون جوان : الأمر هو أن حسناءً يهمني أمرها أسرتني بمفاتها فتبعتها الى هذه المدينة.

سغاناريل : ألا تخاف، يا سيدي، من ذيول قتلك هذا الفارس منذ ستة أشهر.

دون جوان : ولماذا أخاف ؟ ألم اقتله حسب قوانين المبارزة ؟

سغاناريل : اجل وبأحسن ما يكون وليس له الحق في التذمر.

دون جوان : لقد برئت من هذه القضية.

سغاناريل : اجل ولكن التبرئة هذه ربما لم تطفئ حقد الأهل والأصحاب .

دون جوان : آه ! لنسَ تماماً ما قد يحدث لنا من شر ولنفكر فقط بما قد يأتينا من ملذات. الفتاة التي اتكلم عنها هي أجمل صبيّة مخطوبة في العالم وقد جاء بها الى هنا الشخص الذي سيتزوجها. إنني رأيت العاشقين بالصدفة قبل سفرهما بثلاثة أيام أو اربعة. لم أر قط شخصين سعيدين ومتحابين الى هذا الحد. وقد تحركت مشاعري عند رؤية شوقهما المتبادل. فأصبت بالغيرة. نعم، لم أطق، في البداية، رؤيتهما معاً على هذا الشكل، فأيقظ الغيظ رغباتي ووجدت في نفسي لذة كبيرة في تعكير تفاهمهما وقطع وصالهما المهين لقلبي الحساس. ولكن، لم تثمر جهودي حتى الآن وسألجأ الى الدواء الأخير : زوج المستقبل هذا سيتنزه اليوم مع عشيقته في البحر. لقد رتبت كل شيء لإشباع نهمي وذلك دون أن أعلمك. لدي قارب ورجال استطيع بواسطتهم وبكل سهولة خطف حسنائي.

سغاناريل : آه ! يا سدي ...

دون جوان : ماذا ؟

سغاناريل : حسن جداً ما يحصل وانت تقول به كما يجب. في هذا العالم، لا شيء أفضل من أن يرضي الإنسان نفسه.
دون جوان : استعد إذن للمجيء معي واهتم بنفسك بإحضار الأسلحة كلها بغية أن ... (هنا يلح دون الفير) يا لها من مصادفة مكدرة ! لِمَ لَمْ تقل لي، ايها الخائن، انها جاءت بنفسها الى هنا ؟
سغاناريل : لم تطلب مني، يا سيدي.
دون جوان : أمجنونة هي لكي تجيء الى هنا بثيابها الريفية ؟

المشهد الثالث

دونا الفير، دون جوان، سغاناريل

دونا الفير : هل ستنازل، يا دون جوان، وتكلمني. آمل على الأقل انك ستنازل وتدير وجهك نحوي ؟
دون جوان : أقر، يا سيدتي، بأني فوجئت ولم أكن أنتظر وجودك هنا.
دونا الفير : اجل. واضح انك لم تكن تنتظري. في الحقيقة، لقد فوجئت ولكن ليس بالطريقة التي كنت أتمناها. والطريقة التي تبدو بها متفاجئاً تقنعني تماماً بما كنت ارفض تصديقه. أعجبُ لبساطتي وطيبة قلبي إذ لم اشك بك. لكن الخيانة كانت تؤكدها أمور كثيرة. كنت طيبة القلب بل على قدر كبير من الحماقة حين كنت أهدع نفسي واعمل على تكذيب عيني وعقلي. بحثت عن اسباب لتبرير الفتور الذي اصابك واختلقت الكثير من الأعدار لتبرير رحيل سريع كهذا وتبرئتك من الجريمة التي يتهمك بها عقلي. عبثاً كانت تنبهي شكوكي كل يوم إذ كنت ارفض صوتها الذي يجعلك مذنباً أسراً لسماع الكثير من الأوهام التي تصورك بريئاً والتي يوحى بها قلبي. إلا أن هذا الإقبال لم يعد يسمح لي بالشك والأجواء التي إستقبلتُ فيها تعلمني بأمور أكثر مما كنت اريد معرفته. ومع ذلك، أسراً جداً لأن اسمع منك اسباب رحيلك. ارجو، يا دون جوان، أن تتكلم، لنرى كيف ستبرر نفسك.

دون جوان : يا سيدتي، سغاناريل هذا يعرف لماذا رحلت.
سغاناريل (لدون جوان بصوت خافت) : انا يا سيدي ؟ بالله عليك، انا لا اعرف شيئاً.

دونا الفير : حسناً، تكلم يا سغاناريل. لا يهم ممن اسمع، ولكن تهمني الأسباب.

دون جوان (مشيراً لسغاناريل بالإقتراب) : هيا، تكلم مع السيدة.
سغاناريل (لدون جوان بصوت خافت) : ماذا تريد أن أقول ؟
دونا الفير : اقترب، بما أنه يريد ذلك، واخبرنا قليلاً عن اسباب رحيلكم السريع هذا.

دون جوان : أكن تجيب ؟
سغاناريل (لدون جوان بصوت خافت) : لا شيء عندي للإجابة. انت تسخر من خادمك.

دون جوان : ألا تجيب ؟

سغاناريل :. سيدتي ...

دونا الفير : ماذا ؟

سغاناريل (ملتفتاً نحو سيده) : سيدي ...

دون جوان (مهدداً) : إذا ...

سغاناريل : يا سيدتي، الفاتحون والإسكندر والعوام الأخرى هم سبب رحيلنا.
هذا ما يسعني قوله يا سيدي.

دونا الفير : هل ستفضل، يا دون جوان، وتشرح لنا هذه الأسرار الجميلة ؟
دون جوان : الحقيقة يا سيدتي ...

دونا الفير : آه ! انت لا تحسن الدفاع عن نفسك كرجل بلاط إعتاد هذا النوع من الأمور. إن ارتباكك يثير فيّ الشفقة. لِمَ لا تعتلي جبينك وقاحة نبيل من النبلاء ؟ لِمَ لا تقسم لي بأنك لا زلت تكن لي نفس المشاعر ولا زلت تحبني بشوق لا مثيل له، وأن لا شيء يبعدك عني سوى الموت ؟ لِمَ لا تقول لي إن شؤناً بغاية الأهمية اضطرتك الى الرحيل دون اعلامي والبقاء هنا لبعض الوقت رغماً عنك وأنه ما عليّ سوى العودة من حيث أتيت واثقةً بأنك تتشوق

بالطبع للحقاق بي في اسرع وقت ممكن، وتتألم، من جراء بعدك عني، تألمَ الجسد المنفصل عن الروح ؟ هكذا ينبغي أن تدافع عن نفسك وليس بالوقوف منذهلاً كما أراك.

دون جوان : أقر، يا سيدتي، بأني لا املك موهبة المجاملة وقلبي صادق. لن اقول لك اني لا زلت أكنُ لك نفس المشاعر واتحرَّق للحقاق بك. رحلت وهربت منك ولكن ليس للأسباب التي تتصورينها، وانما لأسباب ضميرية بحتة ولإعتقادي انني لم اعد استطيع العيش معك لوقت اطول من دون خطيئة. يا سيدتي، لقد ساورتني شكوك فتحت عينيَّ على كل ما كنت افعله : خطفتك من الدير للزواج منك وفسخت نذراً يلزمك بطريق آخر، والسماء، كما تعرفين، غيورة جداً في هذه الأمور فتملكني الندم وخفت من غضب السماء ظناً مني أن زواجنا لم يكن سوى زنى متكرسيجلب لنا مصيبة من العلاء وأنه ينبغي على نسيانك واعطاؤك الفرصة للعودة الى ارتباطاتك الأولى. هل استطيع يا سيدتي، مقاومة فكرة بهذه القداسة وإغضاب السماء في حال الإحتفاظ بك و ... ؟

دونا الفير : يا لك من حقير ! الآن عرفتك حق المعرفة، ولسوء حظي، بعد فوات الأوان. وهذا ما سيجعلني حتماً اعيش في اليأس. ولكن، ثق أن جريمتك لن تبقى بلا عقاب والسماء التي تهزأ منها تعرف كيف تنتقم لي من خيانتك.

دون جوان : السماء، يا سغاناريل !
سغاناريل : حقاً ! أما نحن فلا نبالي بها.

دون جوان : سيدتي ...

دونا الفير : كفى. لا اريد سماع المزيد منك وألوم نفسي لكوني سمعت الكثير. لهو ضعف أن يطيل الإنسان الإصغاء الى اسباب عاره. في هذه المواضيع، القلب النبيل يحزم امره من الكلمة الأولى. لا تنتظر مني العقاب او اللوم والشتائم. لا، لا، لن يكون غضبي على الإطلاق مجرد كلمات لا جدوى منها : اني احتفظ بسعيه للثأر. أكرر لك القول من جديد : ستعاقبك

السماء، ايها الخائن، على إهانتك لي وإذا كنت لا تخشاهما، فاخشَ على الأقل
غضب امرأة وقد أهينت.
سغاناريل (على حدة) : آه، لو كان عنده ضمير !
دون جوان (بعد وقت قصير من التفكير) : هيا لنفكر بكيفية تنفيذ مشروعنا
الغرامي.
سغاناريل (على حدة) : كم هو كريه هذا السيد الذي أراني مضطراً لخدمته.

الفصل الثاني

« تدور أحداثه على شاطئ البحر وعلى مقربة من المدينة ».

المشهد الأول

شارلوت وبيارو

شارلوت : لقد جئت في وقتك، يا بيارو.

بيارو : كانا على وشك الغرق، أقسم بذلك.

شارلوت : إذا، عاصفة هذا الصباح البحرية هي التي قلبت قاربهما.

بيارو : تعالي، يا شارلوت، سأخبرك بالضبط كيف حدث هذا، لأنه، كما يقال، انا اول من رأهما. كنت على شاطئ البحر انا ولوقا، وكنا نلهو برمي المدر كل يرمي الرمال على رأس الآخر. ولوقا الضخم كما تعلمين يحب اللهو والمزاح وأنا أحياناً ألهو معه. بينما كنا نلهو، رأيت عن بعد شيئاً يتمايل في الماء ويتقدم نحونا بصورة غير منتظمة. كنت أرى هذا بوضوح وباستمرار. وفجأة أدركت اني لم اعد أرى شيئاً. « قلت : يا لوقا أظن أن هناك رجالاً يسبحون. قال : الرؤية عندك غير واضحة قلت : اقسام لك بحق السماء بأن نظري سليم، وأؤكد لك أنهم رجال وقد أوشكوا على ذلك ؟ — قال : قال : قطعاً لا، لقد بهرك النور — قلت : اتراهن على ذلك ؟ — قال : اراهن — قلت : هكذا، إذا، اتريد المراهنة بعشرة فلوس ؟ — قال : اجل ولكي اثبت لك ذلك، ها هو مال المراهنة — انا لست مجنوناً ابداً ولا

بسكران. فرميت على الأرض بجراً المتأكد بأربع قطع نقدية وخمسة فلوس مزدوجة كما لو كنت ابتلع كأس نبيذ لأنني اعرف كيف اغامر وألقي بنفسي في ساحة المعركة. ومع ذلك، كنت اعرف جيداً ماذا أفعل. لم أكن أحقق إذًا، ما أن وضعنا الرهان حتى رأيت الرجلين يومئان لنا بالإسراع لنجدتهما. فكسبت الرهان. « قلت : هيا يا لوقا، انهما ينادياننا كما ترى. لنهب لنجدتهما. — قال : لا، فقد جعلاني أخسر ». باختصار، هكذا جرت الأمور. لقد أتتته كثيراً ثم وجدنا انفسنا في قارب؛ ثم وصلنا واخرجناهما من الماء ووضعناهما قرب النار في بيتنا وتعرياً تماماً بغية تجفيف الثياب. ثم اتى اثنان فيما بعد كانا قد نجيا بأنفسهما. ثم وصلت ماتورين ونظروا اليها نظرة اعجاب. هكذا بالضبط جرت الأمور يا شارلوت.

شارلوت : ألم تقل لي يا بيارو أن هناك واحداً منهم أكثر جمالاً من الآخرين ؟

بيارو : بلى، وهو سيدهم. انه، حتماً، أحد كبار الأسياد فالذهب يغطي ثيابه من رأسه حتى أخمص قدميه واولئك الذين يخدمونه هم ايضاً اسياد. على كل حال، وإن يكن سيدياً كبيراً : ثقي بأنه كان قد غرق لو لم أكن هناك.

شارلوت : عجباً.

بيارو : اقسم لك : لولانا لكان انتهى.

شارلوت : ألا يزال عارياً عندك يا بيارو ؟

بيارو : لا، لقد ألبسوه أماننا. يا إلهي، لم أر أحداً يلبس ثياباً مثله. كم من اشياء معقدة يرتدي اولئك الأسياد، رجال البلاط ! أوشكت أن أضيع بسبب العجب والدهشة حين رأيت ذلك. عجباً، يا شارلوت، لهم شعر لا يلتصق ابداً برؤوسهم وهم يضعونه، بعد ارتداء ملابسهم، كقبعة كبيرة من الألياف. لهم قمصان تسعنا أنا وانت أحياء كما نحن. وبدل السراويل، يضعون « وَزْرَةَ » عريضة « من هنا الى آخر الدنيا. »، وبدل الأصدّة صُدَيْرِيَّة لا تصل حتى الى المعدة؛ وبدل الياقة محرمة عنق كبيرة مُخَرَّمَة بالإضافة الى اربع أردان من القماش الأبيض متدلّية فوق المعدة. ولهم ايضاً صدريّات في أواخر أذرعهم، وعلى ساقّي كل واحد منهم قماع كبيرة مخرّمة والكثير من الشرائط كما لو

أنها « فَبْرَكَةٌ » حَقِيقِيَّة. حتى احدىتهم تُعجُّ بالشرائط الملونة في كل اطرافها وهي مرصوفة بصورة معقدة، قد أكرس عنقي لو كان عليّ رصفها.

شارلوت : صدقني يا بيارو، يجب أن أذهب لأرى هذا.

بيارو : اسمعيني قليلاً قبل أن تذهبي، يا شارلوت، فلديّ شيء آخر اقله لك.

شارلوت : قل، ما هو ؟

بيارو : كما ترين يا شارلوت، يجب، كما يقال، أن أفرغ قلبي. احبك وستزوج وأنت تعرفين هذا جيداً، ولكنني لست راضٍ عنك البتة.

شارلوت : ماذا ؟ وما الأمر ؟

بيارو : الأمر، بصراحة، هو أنك تحزني.

شارلوت : وكيف ذلك ؟

بيارو : انت لا تحبيني مطلقاً.

شارلوت : آه، آه، أهذا هو الأمر ؟

بيارو : أجل، وهذا كافٍ.

شارلوت : يا إلهي، أنت تردد علي القول ذاته، يا بيارو.

بيارو : اردد القول نفسه لأن الأمر هو نفسه دائماً ولو لم يكن كذلك لما رددت عليك نفس القول دائماً.

شارلوت : ولكن، ماذا ينقصك ؟ ماذا تريد ؟

بيارو : تباً لك ؟ اريدك أن تحبيني.

شارلوت : ألا أحبك ؟

بيارو : كلا، أنت لا تحبيني، ومع ذلك، افعل كل ما تستطيع لهذه الغاية : اني اشترى لك، من دون تدبّر، شرائط من كل تجار الأقمشة الذين يمرون من هنا، وارهق نفسي في إحضار العصافير لك. وأجعل عازفي الأرغل يعزفون في عيد ميلادك. وكل هذا وكأني أضرب رأسي بالجدار. أترين ليس من اللياقة ولا الشرف أن لا نحب من يحبوننا.

شارلوت : ولكن، أنا أحبك أيضاً.

بيارو : اجل، ويا لها من طريقة !

شارلوت : ماذا تريد أن نفعل ؟

بيارو : اريد أن نفعل ما يفعل عندما نحب كما يجب.

شارلوت : ألا أحبك كما يجب ؟

بيارو : كلا، لأنه لو كنت تحبيني كما يجب لكان ظهر حبك لي. فالمرء يقوم بالكثير من الحركات والتصرفات الصغيرة تجاه الشخص الذي يحبه من كل قلبه. انظري الى توماس الضخمة. ألا ترين كم هي مولعة حتى الحماقة بروبان الشاب. فهي تحوم دائماً حوله وتضايقه ولا تدعه يرتاح ابداً. وتلهو معه وتضربه على رأسه. في المدة الأخيرة، كان جالساً على كرسي فسحبته من تحته فوقع مستلقياً على الأرض. تَبّاً ! هكذا يكون المحبّون. انت كقطة خشب، لا تقولين لي ولو كلمة واحدة. ولو مررت من امامك عشرين مرة فأنت لا تضربيني ولو ضربة صغيرة ولا تقولين لي ولو كلمة واحدة. يا لحظي العائر ! هذا أمر سيء وأنت في غاية البرودة تجاه الغير.

شارلوت : ماذا تريد أن أفعل ؟ هكذا طبعي ولا استطع تغييره.

بيارو : القضية ليست قضية أطباع. عندما نحب شخصاً نقوم تجاهه بحركات وتصرفات صغيرة ذات معنى.

شارلوت : على كل حال، أحبك على قدر ما استطع وإذا كان لا يعجبك هذا فلنك أن تحب فتاة أخرى.

بيارو : هذا ما كنت أظن. تَبّاً، أكنت تقولين لي هذا الكلام لو كنت تحبيني ؟

شارلوت : لماذا تضايقتني الى هذا الحد ؟

بيارو : تَبّاً ! ماذا فعلت ؟ لا أطلب منك سوى القليل من الحب.

شارلوت : حسناً ! دع الأمور تأخذ مجراها ولا تضغط عليّ قط بهذا الشكل. ربما يأتي الحب فجأة دون التفكير به.

بيارو (فاتحاً كفه) : إذاً، ضعني يدك هنا، يا شارلوت.

شارلوت : حسناً ! هذا جيد.

بيارو : عديني إذاً بأنك ستزيدين من حبك لي.

شارلوت : سأبدل ما في وسعي ولكن يجب أن يحدث هذا عرضاً ودون قصد. أهذا هو السيد يا بيارو ؟

بيارو : أجل.
شارلوت : يا إلهي، كم هو جميل ! من المؤسف حقاً أن يموت غرقاً.
بيارو : سأعود بعد قليل. سأشرب كأساً لكي استعيد قواي بعد التعب الذي
عانيت.

المشهد الثاني

دون جوان، سغاناريل وشارلوت (في آخر المسرح)

دون جوان : لقد أضعنا فرصتنا، يا سغاناريل، وتلك الزوبعة المفاجئة قضت
على قاربنا ومشروعنا. ولكن، في الحقيقة، جمال الفلاحة التي تركناها منذ
قليل، يعوّض عن هذه المصيبة إذ وجدت فيها مفاتن تُجَنِّب نفسي كل الحزن
الناجم عن فشل مشروعنا. يجب ألا يفلت مني هذا القلب، وقد هيأت الأمور
لكي أتألم طويلاً بالتأوه والتنهد.

سغاناريل : يا سيدي، اقرُّ بأنك تذهلني. ولقد افلتنا لتونا من قبضة الموت،
وبدّل أن تشكر السماء على الرحمة التي أنزلتها علينا، فأنت تعمل من جديد،
على استحضار غضبها بنزواتك المعتادة وعلاقاتك المجر ... (المجرمة)
(دون جوان مهتماً). كفى، ايها المغرور، انت تجهل ما تقول وسيدك يعرف
ماذا يفعل. هيا ...

دون جوان (بعد أن رأى شارلوت) : آه ! من أين اتت هذه الفلاحة الأخرى يا
سغاناريل ؟ أرايت أجمل منها ؟ قل لي، ألا يساوي جمالها جمال الأخرى ؟
سغاناريل : بالطبع. (على حدة) هذه حيلة جديدة.

دون جوان (لشارلوت) : ايتها الحلوة، ما هذه الصدفة الممتعة؟! أتوجد
حسنات مثلك في هذه الأماكن الريفية بين هذه الأشجار والصخور ؟
شارلوت : كما ترى يا سيدي.

دون جوان : هل أنت من هذه القرية ؟
شارلوت : اجل، يا سيدي.

دون جوان : أمقيمة أنت فيها ؟

شارلوت : أجل، يا سيدي.

دون جوان : ما اسمك ؟

شارلوت : خادمتك، شارلوت.

دون جوان : يا لها من صبيّة جميلة ! وعيناها، كم هما ساحرتان.

شارلوت : انك تخجلني، يا سيدي.

دون جوان : آه ! لا تخجلي قط من سماع الحقيقة. ما رأيك في هذا، يا

سغاناريل ؟ أيمكننا أن نرى امتع من هذا ؟ أتسمحين أن تستديري قليلاً ؟ يا

لها من قامة جميلة ! بالله عليك، ارفعي رأسك قليلاً : يا له من وجه ظريف !

افتحي عينيك وسعهما : كم هما جميلتان ! ارجوك، دعيني أرى اسنانك :

كم هي ساحرة، هاتان الشفتان كم هما شهيتان ! أنا مسرور، لم أر قط فتاة

بهذا الجمال.

شارلوت : قد يسّرُك، يا سيدي، أن تقول هذا الكلام ولكني لا أعرف إذا ما

كنت تسخر مني.

دون جوان : أسخر منك ؟ معاذ الله. حبي لك أكبر من أن افعل هذا. أنا

أكلمك من أعماق قلبي.

شارلوت : إذا كان الأمر كذلك، فأنا أشكرك.

دون جوان : لا، لا تشكريني ابداً. لست مدينة لي على الإطلاق في كل ما

اقوله، بل لجمالك.

شارلوت : يا سيدي، ما قلت لي مؤثر وبلغ جداً بالنسبة لواحدة مثلي لا

تملك القدرة على الإجابة.

دون جوان : يا سغاناريل، انظر قليلاً الى يديها.

شارلوت : لا، يا سيدي، انهما سوداوان مثل ...

دون جوان : ماذا ؟ ماذا تقولين ؟ انهما أجمل يدين في العالم. ارجوك، اقبلي

بأن اقبلهما.

شارلوت : هذا شرف كبير لي، يا سيدي. لو عرفت منذ قليل ما سيحصل

لكنت غسلتهما بالصابون.

دون جوان : قولي لي، يا شارلوت، يا حلوتي، أنت بلا ريب عزباء.
 شارلوت : نعم، يا سيدي. إلا اني سأتزوج من بيارو ابن جارتني سيمونيت.
 دون جوان : ماذا ؟ أتكون امرأة مثلك زوجة فلاح بسيط ؟ لا، لا، هذا
 تدنيس للجمال. انت لم تخلقي لتقيمي في قرية. أنت تستحقين، دون شك،
 مصيراً أفضل، والسماء التي تعرف هذا جيداً، قادتني الى هنا لأمنع هذا الزواج
 وأنصف مفاتنك. يا شارلوت، يا حلوتي، اني احبك من كل قلبي وقرار
 انتزاعك من هذا المكان البائس وجعلك في المكان الذي تستحقين أن تكوني
 فيه، هو رهن بك. هذا الحب سريع جداً دون شك ولكن، ما العمل ؟ جمالك
 الفتان هو السبب يا شارلوت. قد يحب المرء في لحظات كما فعلت وقد
 يتطلب حباً آخر ستة أشهر لتحقيقه.

شارلوت : في الحقيقة، يا سيدي، لا اعرف بماذا أجب حين تتكلم. إن ما
 تقوله يسرني واود من كل قلبي أن اصدقك ولكن يقولون لي دائماً أن لا
 اصدق الأسياد ورجال البلاط لأنهم خداعون لا يفكرون إلا بخداع الفتيات.
 دون جوان : لست من اولئك الناس.

سغاناريل (على حدة) : انه لا يقوى على ذلك.

شارلوت : وكما تعرف، يا سيدي، لا راحة ولا قرار لي إذا تُدعت. أنا
 فلاحه مسكينة أعتبر الشرف غايةً في الأهمية وفضل الموت على الخزي
 والعار.

دون جوان : هل تكون نفسي شريرة الى حد إغواء فتاة مثلك ؟ أأكون جباناً
 الى درجة اغوائك ؟ لا، لا، إنني املك من الضمير ما يمنعني من القيام بهذا.
 أحبك، يا شارلوت وغايتي الخير والشرف، ولكي أبين لك حقيقة ما اقول
 أعلمي أن هدفي الوحيد هو الزواج منك. أتريدين برهاناً أكبر ؟ أنا مستعد
 لذلك حين تشائين واجعل من هذا الرجل الموجود هنا شاهداً على الوعد الذي
 قطعته لك.

سغاناريل : لا، لا، لا تجزعي ابداً فسيتزوج منك طالما هذه هي رغبتك.
 دون جوان : آه، يا شارلوت، انت لا تعرفينني بعد كما أرى، وتسيئين إليّ
 كثيراً حين تحكمن عليّ من خلال الآخرين. إذا كان هناك خونة في العالم

واناس غايتهم اغواء الفتيات، فلا تحسبيني منهم ولا تطعنيني في صدق وعدي. كما أنه ينبغي عليك الركون لسطوة جمالك في كل أمر. حين تكون المرأة جميلة مثلك، تكون بمنأى عن كل انواع الخوف. صدقيني، انت لا تبدين كشخص مخدوع. وأنا، اقر لك بأنني سأمزق قلبي شر تمزيق إذا ما ساورتني فكرة خيانتك.

شارلوت : يا إلهي ! لا أعرف إذا كنت صادقاً ام لا، إلا أنك تجعلني أصدق كلامك.

دون جوان : حين تصدقيني، ستنصفيني حتماً. إنني اكرر لك الوعد الذي قطعته. ألا تقبلين به ؟ ألا تقبلين بأن تكوني زوجة لي ؟

شارلوت : بلى، شرط أن ترضى عمتي.

دون جوان (فاتحاً يده) : إذا ضعي يدك هنا.

شارلوت : ولكن، ارجوك، يا سيدي، لا تخدعني فقد يعذبك ضميرك لأنني افعل ما تريد عن حسن نية.

دون جوان : ماذا ؟ يبدو انك لا زلت تشكين بصدقني ! اتريدين أن أقطع لك عهداً رهيباً ؟ السماء ...

شارلوت : يا إلهي ! لا تقسم، لقد صدقتك.

دون جوان : أعطني اذاً قبلة صغيرة كعربون لوعدك.

شارلوت : أوّاه، يا سيدي، ارجوك، انتظر حتى نتزوج فأقبلك قدر ما تريد.

دون جوان : حسناً ! يا شارلوت، يا حلوتي، انا لا اريد إلا ما تريدين. اتركي لي فقط يدك واقبلي بأن اعبر لها بالقبلات عن النشوة التي أشعر بها.

المشهد الثالث

دونجوان، سغاناريل، ييارو، شارلوت

بيارو (يدفع بدون جوان الى الخلف ويقف بينه وبين شارلوت) : بالله عليك أَلجم نفسك يا سيدي. انك تنفعل كثيراً وقد تصاب بذات الجنب.
دون جوان (يدفع ييارو بقساوة) : من أين جاء هذا الوقح ؟
بيارو (يتوسطهما من جديد) : قلت لك، استقم ولا تداعب خطييتي.
دون جوان (مستمرّاً في دفعه) : يا لهذا التشويش والفرفرة.
بيارو : تَبّاً ! أيجوز أن تدفع بالناس هكذا ؟
شارلوت (مُمسِكَةً بذراع ييارو) : دعه يفعل هو ايضاً، يا ييارو.
بيارو : كيف ؟ أَدعه يفعل ؟ لا اريد.
دون جوان : هكذا إذّاً !
بيارو : تَبّاً لك ! آلأنك سيد، يحقُّ لك مداعبة نساتنا على مرأى منا ؟ إذذهب وداعب زوجتك.
دون جوان : ها، ها ؟
بيارو : ها، ها. (يصفعه دون جوان)، تَبّاً، لك ! لا تضربني. (صفعة ثانية) تَبّاً، تَبّاً لك ثم تَبّاً لك ! من غير اللائق أن تضرب الناس. ابهذه الطريقة تكافئ على انقاذك من الغرق ؟
شارلوت : لا تغضب يا ييارو.
بيارو : بل سأغضب. انت حقيرة لأنك تسمحين له بمداعبتك.
شارلوت : هـ ! الأمر ليس كما تظن يا ييارو. هذا السيد يريد الزواج مني. فلم الغضب ؟
بيارو : كيف ! تَبّاً لك ! انت خطييتي.
شارلوت : لا يهم يا ييارو. إذا كنت تحبني فعلاً، يجب أن تكون مسروراً لأنني سأصبح سيدة.
بيارو : لا، لا، افضل لك الموت على أن تصبحي لغيري.
شارلوت : هيا، هيا يا ييارو، عليك أن تتجنب المخاطر إذا اصبحت سيدة،

سأجعلك تربح بعض الأشياء وستحضر لنا الزبدة والجبنه.
بيارو : لا لا ! لن افعل هذا ابداً حتى ولو دفعت لي أجري مرتين. هل
تصدقين ما يقوله لك ؟ تَبّاً لو كنت اعرف ما سيحصل لكنت تركته في الماء
وضربته بالمجذاف على رأسه.

دون جوان (يقرب من بيارو لضربه) : ماذا تقول ؟
بيارو (مختبئاً وراء شارلوت) : نعم ! أنا لا أخاف من أحد.
دون جوان (وهو يتقدم نحو بيارو) : سأريك.
بيارو (ينتقل الى الجانب الآخر وراء شارلوت) : أنا لا يهمني شيء.
دون جوان (راكضاً وراء بيارو) : ستري.
بيارو (من جديد وراء شارلوت) : رأيت الكثيرين من أمثالك.

دون جوان : هكذا إذن !
سغاناريل : ايه، يا سيدي، اترك هذا البائس المسكين. فضربه حرامّ (متوجهاً
نحو بيارو وواقفاً بينه وبين دون جوان). اسمع، ايها الصبي المسكين، انسحب من
هنا، ولا تقل له شيئاً.

بيارو (مازاً من أمام سغاناريل وقائلاً باعزاز لدون جوان) : بل سأقول.
دون جوان (يرفع يده ليصفع بيارو؛ ولكن هذا الأخير يحيي رأسه فتكون الصفعة من
نصيب سغاناريل)

سغاناريل (لبيارو الذي تجتّب الصفعة) : ويحك ايها النذل !
دون جوان (لسغاناريل) : هذا جزاء إحسانك.
بيارو : تَبّاً لكم ! سأخبر عمتها عن تصرفها.
دون جوان (لشارلوت) : وأخيراً سأكون اسعد الناس ولن اتخلى عن سعادتني
مقابل اي شيء في العالم. كم من المملذات تنتظرنا حين تصبحين زوجتي

و ...

المشهد الرابع

دون جوان، سغاناريل، شارلوت وماتورين.

السيد ديمونش (يلمح ماتورين) : واه ! واه !
ماتورين (لدون جوان) : ماذا تفعل هنا، يا سيدي، مع شارلوت ؟ هل تكلمها
عن الحب ؟
دون جوان (لماتورين بصوت خافت) : كلا، بل على العكس، هي التي تظهر لي
رغبتها في أن تكون زوجتي وكنت اجيها بأني مرتبط بك.
شارلوت (لدون جوان) : ماذا تريد منك ماتورين ؟
دون جوان (لشارلوت بصوت خافت) : انها تغار حين تراني اتكلم معك وتريد
أن أتزوجها، ولكني قلت لها أنني اريدك انت.
ماتورين : ماذا يا شارلوت ... ؟
دون جوان (لماتورين بصوت خافت) : لا فائدة من كل ما ستقولين لها، فهي
مقتنعة بذلك.
شارلوت : كيف إذن ! يا ماتورين ...
دون جوان (لشارلوت بصوت خافت) : لا جدوى من كلامك معها، فلن
تستطيعي إنتزاع هذه الفكرة الخيالية منها.
ماتورين : هل ... ؟
دون جوان (لماتورين بصوت خافت) : لا سبيل لإقناعها.
شارلوت : اريد ...
دون جوان (لشارلوت بصوت خافت) : عنيدة هي، ما هذا العناد !
ماتورين : حقاً ...
دون جوان (لماتورين بصوت خافت) : لا تقولي لها شيئاً فهي مجنونة.
شارلوت : اعتقد ...
دون جوان (لشارلوت بصوت خافت) : دعك منها فهي مجنونة.
ماتورين : لا، لا، يجب أن أكلمها.
شارلوت : أريد معرفة أسبابها.

ماتورين : ماذا .. ؟
دون جوان (لماتورين بصوت خافت) : اراهن على أنها ستقول لك انني وعدتها
بالزواج.
شارلوت : انا ...
دون جوان (لشارلوت بصوت خافت) : اراهن على أنها ستصبرُ على انني
وعدتها بالزواج.
ماتورين : مهلك، يا شارلوت إن الضرر بالآخرين والحلول مكانهم أمر سيء.
سغاناريل : ليس من العدل أن تغاري مني إذ اتكلم مع سيدي.
ماتورين : لقد رأني سيدي قبلك.
شارلوت : إذا رأك قبلي فقد رأني بعدك ووعدني بالزواج.
دون جوان (لماتورين بصوت خافت) : ما رأيك ؟ ألم اقل لك ؟
ماتورين (لشارلوت) : دعيني منك، لقد وعدني انا بالزواج وليس انت.
دون جوان (لشارلوت بصوت خافت) : ألم اقل لك ؟
شارلوت : قولني هذا لغيري، ارجوك. لقد وعدني انا.
ماتورين : أتسخرين مني. بل وعدني انا.
شارلوت : ها هو قادر على القول إذا لم أكن على حق.
ماتورين : وهو قادر على نفي ما أقول إذا كنت مخطئة.
شارلوت : أصحيح، يا سيدي، انك وعدتها بالزواج ؟
دون جوان (لشارلوت بصوت خافت) : انت تسخرين مني.
ماتورين : أصحيح، يا سيدي، أنك وعدتها بالزواج ؟
دون جوان (لماتورين بصوت خافت) : كيف يمكنك التفكير بهذا ؟
شارلوت : انها تصرُّ على ذلك.
دون جوان (لشارلوت بصوت خافت) : دعيتها تفعل.
ماتورين : انت شاهد على ما تقول.
دون جوان (لماتورين بصوت خافت) : دعيتها تُقل.
شارلوت : لا، لا، يجب علي معرفة الحقيقة.
ماتورين : يجب البتُّ في هذه المسألة.

شارلوت : اجل، يا ماتورين، اريد منه أن يظهر لك غباءك.

ماتورين : وأنا، يا شارلوت، اريد منه أن يفحمك.

شارلوت : أرجو يا سيدي، حل هذه المشكلة.

ماتورين : وفق بيننا، يا سيدي.

شارلوت (لماتورين) : سترين.

ماتورين (لشارلوت) : بل أنت سترين بنفسك.

شارلوت (لدون جوان) : قل.

ماتورين (لدون جوان) : تكلم.

دون جوان (للإثنين، وهو مرتبك) : ماذا تريدان أن أقول ؟ أنتما تصرّان على انني وعدتكما بالزواج. ألا تعرف كل منكما الأمر على حقيقته دون الحاجة الى الإستفاضة في الشرح ؟ لماذا تجبرانني على التكرار في هذا الموضوع ؟ ألا تملك التي وعدتها بالزواج ما يجعلها تسخر من الأخرى ؟ وهل عليها أن تتعب نفسها الى حين ابرُّ بوعدتي ؟ لا فائدة على الإطلاق من الكلام كله، يجب العمل لا القول. والنتائج افضل من الكلام. لذا، لا شيء عندي سوى هذا للتوفيق بينكما، وسوف نرى، حين اتزوج، من منكما حازت على قلبي. (لماتورين بصوت خافت) دعيها تصدِّق ما تريد. (لشارلوت بصوت خافت) دعيها تعتزُّ بنفسها كما تريد. (لماتورين بصوت خافت) اعبدك. (لشارلوت بصوت خافت) أنا لك بكلّيتي. (لماتورين بصوت خافت) كل الوجوه تبدو قبيحة امامك (لشارلوت بصوت خافت) حين رأيتك لم أعد أطيق الآخرين. لديّ ما افعله. سأعود وألتقي بكما في غضون ربع ساعة.

(يخرج) .

شارلوت (لماتورين) : أنا من يحب.

ماتورين (لشارلوت) : أنا التي سيتزوجها.

سغاناريل : يا لكما من مسكينتين ! انا اشفق على براءتكما ولا اطيق أن أراكما تقعان في المصيبة. صدّقاني : لا تُخدعا بالروايات التي رواها لكما وابقيا في قريتكما.

دون جوان (يعود) : اريد أن أعرف لماذا لم يتبعني سغاناريل.

سغاناريل (للفتاتين) : سيدي خائن وهدفه اغواؤكما، وقد اغوى غيركما. فهو أكبر مزواج بين البشر ... (يرى دون جوان) هذا غلط. قولا لكل من يقول لكما أنه يكذب. سيدي ليس مزواجاً وليس خائناً وهدفه ليس اغواءكما ولم يغور غيركما قط.

دون جوان (ينظر الى سغاناريل نظرة شك) : اجل.

سغاناريل : يا سيدي، بما أن هذا العالم مليء بالنمامين كنت استدرك الأمور واقول لهما ان لا تصدقا من يسيء بالكلام عنك وأن لا تتأخرا في تكذيبه.
دون جوان : سغاناريل !

سغاناريل (لشارلوت وماتورين) : اجل، سيدي رجل نبل وشريف وانا كفيل بذلك.

دون جوان : آه !

سغاناريل : يا للعالم وما فيه من الوقاحة !

المشهد الخامس

دون جوان، السياف، شارلوت، ماتورين، سغاناريل

السياف (لدون جوان بصوت خافت) : يا سيدي، جئت أحذرك : عليك مغادرة هذا المكان.

دون جوان : كيف ؟

السياف : هناك إثنا عشر فارساً يبحثون عنك وسيصلون الى هنا بين لحظة وأخرى. لا أعرف كيف استطاعوا إقتفاء اثرك ولقد علمت بهذا الخبر من فلاح إستجوبوه بعد أن أعطوه مواصفاتك. القضية بغاية الخطورة والعجل ومن الأفضل أن تغادر في اقرب وقت ممكن.

دون جوان (لشارلوت وماتورين) : إن قضية ملحة تجبرني على الرحيل من هنا؛ ولكن ارجوكمما أن تتذكرا الوعد الذي قطعته لكما وأن تثقا بأن أخباري ستردُّكما قبل مساء الغد. (شارلوت وماتورين يتعدان). وبما أن اللعبة غير

متكافئة، علينا استعمال الحيلة وتجنب المصيبة التي تلاحقنا بلباقة. اريد، يا
سغاناريل أن تلبس ثيابي وانا ...
سغاناريل : أتسخر مني يا سيدي، قد أتعرض للقتل إذا ...
دون جوان : هيا، بسرعة، هذا شرف كبير لك : سعيد جداً هو الخادم الذي
يموت من أجل سيده.
سغاناريل : أشكرك على هذا الشرف. (وحده) أيتها السماء، بما أن الأمر
يتعلق بالموت، أنعمي عليّ بأن يُظن بأنني شخص آخر.

الفصل الثالث

مشهد غابة قريية من البحر وفي جوار المدينة

المشهد الأول

دون جوان (في لباس ريفي) : وسغاناريل (متكراً في زي طبيب)

سغاناريل : حقاً يا سيدي، إعترف بأنني كنت على حق : ها نحن متتكراً بشكل رائع. لم تكن خطتك مناسبة على الإطلاق. نحن هكذا افضل مما كنت ستفعل.

دون جوان : هذا صحيح وأنت في أحسن حالاتك. لا أعرف من أين أتيت بهذا الزي المضحك ؟

سغاناريل : كيف ؟ هذه ثياب طبيب شيخ كانت مرهونة في المكان الذي اخذتها منه وقد دفعت مبلغاً من المال للحصول عليها. ولكن، أتعرف، يا سيدي أنها تجعلني ذا شأن وأن الناس الذين اصادفهم يحيونني ويأتي بعضهم لإستشارتي بصفتي رجل علم ضليع.

دون جوان : وكيف هذا ؟

سغاناريل : خمسة أو ستة من أهل الريف قدموا لإستشارتي حول مختلف الأمراض عندما رأوني ماراً بقربهم.

دون جوان : وهل أجبتهم بأنك لا تفهم منها شيئاً ؟

سغاناريل : لا، لا بل اردت المحافظة على كرامة ثيابي فعللت لهم الألم ووصفت دواءً لكل واحد منهم.

دون جوان : وما الأدوية التي وصفتها لهم ؟
سغاناريل : في الواقع، يا سيدي، لقد وصفت لهم ما قدّر لي، فجاءت ردودي
وتعليماتي إعتباطية. وكم يكون الأمر طريفاً لو شُفِيَ المرضى وجاؤوا
ليشكروني على شفائهم.

دون جوان : ولمَ لا ؟ لمَ لا تكون لك نفس الإمتيازات التي يملكها الأطباء
الآخرون ؟ انهم لا يشفون المرضى بطريقة افضل وما طبُّهم كله إلا مظاهر
خداعة. فهم لا يفعلون شيئاً سوى الإفتخار بنجاحهم السعيد وبوسعك
الإستفادة مثلهم من فرح المريض إذ تعزو لدوائك كل ما قد تفعله الصدفة
وقوى الطبيعة.

سغاناريل : كيف يا سيدي ؟ هل انت جاحدٌ في الطب أيضاً ؟
دون جوان : وما هو الطب ؟ أليس أحد الأخطاء الكبرى الشائعة بين الناس.
سغاناريل : ماذا ؟ ألا تؤمن بفعالية الخردل واللّب المسهّل والنيبذ المقيء ؟
دون جوان : ولماذا تريد أن تؤمن بها ؟

سغاناريل : لك نفس كافر. ومع ذلك، ألا ترى، منذ بعض الوقت، أن النيبذ
المقيء ذاع صيته في العالم ؟ معجزاته جعلت الأكثر كفرةً يرتدون منذ اقل من
ثلاثة أسابيع، شهّدت تأثيره الرائع.

دون جوان : وما هو هذا التأثير الرائع ؟
سغاناريل : كان هناك رجل يحتضر منذ ستة أيام، وكانوا لا يعرفون ماذا
يفعلون إذ أن الأدوية كلها كانت عديمة النفع. فارتأوا أخيراً أن يعطوه منه.
دون جوان : فأقلت من قبضة الموت، اليس كذلك ؟

سغاناريل : لا، لقد مات.
دون جوان : التأثير رائع.

سغاناريل : كيف ؟ كان يحتضر منذ ستة أيام بأكملها فأهلكه بضربة واحدة
وهل هنالك شيء أكثر فعالية منه ؟
دون جوان : أصبت.

سغاناريل : لندع الآن الطب الذي لا تؤمن به ولنتحدث عن أمور أخرى لأن
التياب هذه تجعلني صاحب حجة، وأشعر بالقدرة على مجادلتك. وكما

تعرف، أنت تأذن لي بالمجادلة ولا تمنع عني سوى التائب.
دون جوان : هكذا إذا ؟
سغاناريل : اريد أن أعرف قليلاً افكارك على حقيقتها. ايمكنك عدم الإيمان
بالسما على الإطلاق ؟
دون جوان : دعنا من هذا.
سغاناريل : هذا يعني « أجل ». وبجهنم ؟
دون جوان : ايه ا
سغاناريل : كذلك الأمر. وبالشيطان، إذا سمحت ؟
دون جوان : اجل، اجل.
سغاناريل : ألا تؤمن بالحياة الآخرة ؟
دون جوان : آه، آه، آه !
سغاناريل : هذا رجل سيصعب عليّ تقويمه. قل لي، ما رأيك بالراهب
الفظ^(١) ؟ ايه ؟
دون جوان : ملعون هذا المغرور ا
سغاناريل : هذا ما لا استطيع تحمله لأن لا شيء أكثر واقعيةً منه وأنا اراهن
عليه. ولكن، على الإنسان أن يؤمن بشيء في هذه الدنيا. فماذا تؤمن انت ؟
دون جوان : بماذا أؤمن ؟
سغاناريل : نعم.
دون جوان : أؤمن أن اثنين زائد اثنين يساويان اربعة يا سغاناريل، واربعة زائد
اربعة تساوي ثمانية.
سغاناريل : يا له من ايمان ! دينك اذاً هو الحساب كما أرى. يجب الإقرار
بأن رؤوس الناس مصابة بجنون غريب وأن الإنسان يصبح أقل تعقلاً في أكثر
الأحيان حين يدرس كثيراً. أما أنا، يا سيدي، فمن حسن حظي، أنني لم أتعلم
مثلك قط، ولا أحد يستطيع الإفتخار بأنه قد علمني شيئاً، ولكن من خلال
القليل الذي أملكه من الحس والقدرة من كل الكتب وأدرك جيداً أن هذا

(١) « الراهب الفظ » هو، في اعتقاد الشعب، جن يجوب الشوارع قبل عيد الميلاد ويطلق صرخات
مخيفة.

العالم الذي نراه هو فطر نبت من تلقاء نفسه في ليلة واحدة. اريد أن أسألك عن خالق هذه الأشجار وهذه الصخور وهذه الأرض وهذه السماء في العلى. فإذا كانت هذه الأخيرة قد صنعت نفسها بنفسها فأنت، مثلاً، موجود؛ هل صنعت نفسك بنفسك؟ ولكي تكون موجوداً هنا ألم يكن من الضروري أن يجعل ابوك املك حبلتي بك؟ ابوسعك رؤية كل تلك الاختراعات التي يتركب منها الإنسان دون التعجب من كيفية تنظيمها؟ هذه الأعصاب وهذه العظام وهذه الشرايين، وهذه... وهاتين الرئتين، وهذا القلب، وهذه الكبد، وكل المركبات الأخرى الموجودة والتي... لا، لا، لم لا تقاطعني إذا شئت. أنا لا أعرف الجدل إذا لم أقاطع. أنت تصمت عمداً وبخبت وتدعني أتكلم.

دون جوان : اني انتظر أن تنتهي من حديثك.

سغاناريل : على الرغم مما قد تقوله، هناك شيء رائع في الإنسان، لا يستطيع العلماء تعليه. أليس رائعاً وجود شيء ما في رأسي يفكر بألف موضوع مختلف في لحظة واحدة ويفعل بجسدي كل ما يغيه؟ اصفق، ارفع ذراعي، انظر الى السماء، أحنى رأسي، أحرّك رجلي، أذهب يميناً ويساراً وإلى الأمام وإلى الخلف وأستدير (وبينما هو يستدير، يقع سغاناريل على الأرض).

دون جوان : حسناً ! ها إن برهانك قد فشل.

سغاناريل : تبا لي ! من حماقة أن الهو في مجادلتك. آمن بما تشاء فيهمني جداً أن تهلك نفسك !

دون جوان : ولكننا اضعنا طريقنا بينما كنا نتجادل. تبا لك ! اسأل ذاك الرجل هناك.

سغاناريل : إيه؛ أنت يا رجل، انت ايها الصديق، ايها الصديق، أتأذن بكلمة؟

المشهد الثاني

دون جوان، سغاناريل، ورجل فقير.

سغاناريل : أتدنا على الطريق المؤدي الى المدينة ؟
الفقير : ما عليكما سوى إتباع هذه الطريق، ايها السيدان، والإلتفاف يمينا عند
وصولكما الى آخر الغابة. ولكن، أنصحكما بالحذر : هناك لصوص في
الجوار منذ بعض الوقت.

دون جوان : اشكرك، يا صديقي، من كل قلبي.
الفقير : ألا تستطيع، يا سيدي، أن تُمَدَّ لي يَدَ المساعدة.
دون جوان : آه، آه ! لنصيحتك ثمن كما أرى.
الفقير : يا سيدي، انا رجل فقير أعيش وحيداً في هذه الغابة منذ عشر سنين
ولن أتوانى عن الصلاة لكي تجزل السماء لكم العطاء.
دون جوان : يا صاح، صلِّ لكي تعطيك ثياباً دون أن تزعج نفسك من أجل
الآخرين.

سغاناريل : انت لا تعرف سيدي، يا طيب القلب، فهو لا يؤمن إلا
بـ « إثنين واثنين يساويان اربعة واربعة وتساي ثمانية ».
دون جوان : وماذا تفعل بين هذه الأشجار ؟
الفقير : أصلي وأتضرع للسماء كل يوم من أجل غبطة الناس الأخيار الذين
يتصدقون عليّ.

دون جوان : إذا، لا بُدَّ من أن تكون ميسوراً.
الفقير : للأسف، يا سيدي، أعيش في عوزٍ تام.
دون جوان : أتسخر مني ! من يصلي للسماء اليوم بطوله لا يمكن إلا أن
تكون أعماله بخير.
الفقير : أوكد لك، يا سيدي، أنني لا أملك، في معظم الأحيان، قطعة خبز
آكلها.

دون جوان : هذا غريب فأنت لا تكافأ جيداً على صلواتك. ها، ها !
سأعطيك ليرة ذهبية إذا حلفت بالله.

الفقير : اوه، يا سيدي، تريد أن أرتكب خطيئة ؟
دون جوان : عليك الاختيار إذا كنت تريد الليرة الذهبية. ها هي. سأعطيك
اياها إذا حلفت. خذ وعليك أن تحلف.
الفقير : يا سيدي ..
دون جوان : لن تحصل عليها إذا لم تحلف.
سغاناريل : هيا، هيا، إحلف قليلاً، لا ضير في ذلك.
دون جوان : خذها، ها هي، خذها، قلت لك إحلف إذا، ...
الفقير : لا، يا سيدي، أفضل الموت من الجوع.
دون جوان : هيا، هيا، اني اعطيك اياها من أجل الإنسانية. ماذا ارى هناك ؟
رجلاً يهاجمه ثلاثة رجال ؟ المعركة غير متكافئة ومن واجبي إظهار الشجاعة
ومساعدته.

المشهد الثالث

دون كارلوس، دون جوان، سغاناريل.

سغاناريل (وحده) : إن سيدي على قدر كبير من التهور فهو يجابه خطراً لا
يعنيه. ولكن، يا إلهي، النجدة أتت شجاعته بثمارها والإثنان أرغما الثلاثة على
الفرار.
دون كارلوس (مستلاً سيفه) : إن فرار اولئك اللصوص يبين أهمية مساعدتك
لنا. يا سيدي، تقبل شكري وإمتناني على هذا العمل الشهم و ...
دون جوان (عائداً والسيف في يده) : يا سيدي، لم أفعل شيئاً لا تفعله أنت لو
كنت مكاني. إن كرامتنا معنية بمثل هذه المجازفات وعمل اولئك الأندال
كان جباناً وأحسب أنني كنت متواطئاً معهم لو لم أجابهم. ولكن، كيف
وقعت بين أيديهم ؟
دون كارلوس : لقد ابتعدت بالصدفة عن أخي وعن كل رجالنا، وفيما كنت

احاول اللحاق بهم، التقيت بأولئك اللصوص الذين قتلوا اولاً حصاني وكانوا على وشك أن يقضوا عليّ لولا شجاعتك.

دون جوان : هل تريد الوصول الى المدينة ؟

دون كارلوس : أجل ولكن دون الدخول اليها. لقد أُجبرتُ وأُخِي علي السفر بسبب إحدى تلك القضايا المزعجة التي ترغم النبلاء على التضحية بأنفسهم، هم وعائلاتهم، في سبيل الشرف وموجباته الصارمة. إذ أن النهاية في أكثر الأحيان تكون دائماً حزينة وأنه، إذا لم نمت، فنحن مضطرون لمغادرة المملكة. لهذا السبب، أجد الشريف النبيل تعسا : انه لا يستطيع قط الوثوق بمسلكه الحذر كل الحذر والشريف جدّاً، ويتحمل، بموجب أحكام الشرف، مسؤولية سوء تصرف الآخرين، ويرى حياته وراحته وأرزاقه مرهونة بنزوات متهور ما يسيء اليه اساءةً يستحق أن يموت بسببها.

دون جوان : ولكن، من حسنات وضعهم ايضاً أنهم يعرضون بسرور اولئك الذين يهينونهم لنفس الخطر ويجعلونهم يعيشون اوقاتاً صعبة. أياكون تطفلاً مني لو سألتك عن قضيتك ؟

دون كارلوس : أوشكت القضية على الظهور. حين تنزل بنا الإساءة، لا نحاول إخفاء عارنا بل إظهار انتقامنا وحتى إعلان ما نرمي اليه. لذا، يا سيدي، أقول بلا تردد، أن الشخص المهان الذي نسعى للثأر له هو أختي التي عُرِّر بها وخطفت من الدير. وفاعل الإساءة هو دون جوان تينوريو ابن دون لويس تينوريو. نحو نبحت عنه منذ بضعة أيام وقد تبعناه هذا الصباح، بناءً على كلام خادم قال لنا أنه خرج راكباً على حصانه برفقة أربعة أو خمسة رجال وانه إتجه نحو هذا الشاطئ. ولكن جهودنا لم تثمر ولم نستطع معرفة مكانه.

دون جوان : هل تعرف، يا سيدي، دون جوان هذا الذي تتكلم عنه ؟

دون كارلوس : كلا، لم أره قط وقد وصفه لي أخي فقط، ولكن سمعته ليس حسنة وهو رجلٌ حيائهُ ...

دون جوان : توقّف يا سيدي، إذا سمحت. انه يكاد يكون صديقاً لي وأكون جباناً لو أذنت لك بإغتيابه.

دون كارلوس : لن أغتابه ابداً، يا سيدي، وذلك تقديراً وشكراً لك. بعد أن

أنقذت حياتي، فإن أقل شيء أدين لك به هو عدم التكلم أمامك عن شخص تعرفه في حين لا يسعني التكلم عنه دون المسّ بمسلكه. ولكن، مهما بلغت صداقتك له، أمل بأنك لن توافقه على عمله ولن تستغرب محاولتنا للإنتقام منه.

دون جوان : بل على العكس، اريد أن أخدمك في هذه القضية وأوفر عليك جهوداً غير مجدية. إن شئت أم أبيت، فأنا صديق دون جوان إلا إنه من غير المعقول أن يسيء لرجال نبلاء دون أن ينال عقابه وأراني ملتزماً ببلوغك حقا.

دون كارلوس : وهل هناك حقٌ يُستعاد في هذا النوع من الإساءات ؟
دون جوان : أقصد ذلك الحق الذي يتوخاه شرفك. لا. تزعج نفسك أكثر في البحث عنه ! أعدك بإحضاره الى المكان الذي تريده وفي الوقت الذي تختاره.

دون كارلوس : هذا الأمل، يا سيدي، يريح جداً قلوباً مهانة؛ ولكن، نظراً لما أدين به لك، يؤلمني جداً أن تكون طرفاً في هذه القضية.
دون جوان : إن ارتباطي بدون جوان وثيق الى درجة أنني أقاتل معه إذا ما قاتل. على كل حال، انا كفيلاً به كما بنفسي وعليك فقط أن تقول متى تريد أن يظهر ويحقق رغبتك.

دون كارلوس : كم قدرتي قاسٍ ! أيجب أن أدين لك بحياتي وأن يكون دون جوان أحد اصدقائك ؟

المشهد الرابع

دون الونس واتباعه، دون كارلوس، دون جوان، سغانريل

دون الونس (يكلم أتابعه قبل أن يرى دون كارلوس ودون جوان) : اسقوا الخيل هناك ثم احضروها الينا. اريد أن أتمشى قليلاً. أيتها السماء ! ماذا أرى هنا ! أخي مع عدونا اللدود ؟

دون كارلوس : عدونا اللدود ؟

دون جوان (يتراجع ثلاث خطوات ويضع يده بإعزاز على مقبض سيفه) : نعم، انا دون جوان ذاته، وعددكم لا يرغمني على التستر.

دون الونس (مستلاً سيفه) : ايها الخائن ! يجب أن تموت و ... (سغانريل يركض ويختبئ) .

دون كارلوس : لا، توقف يا أخي : انا مدين له بحياتي. لولا مساعدته، لكان اللصوص الذين اعترضوا سبيلي قد قتلوني.

دون الونس : أتحجّم عن الإنتقام من أجل هذا الإعتبار ؟ مهما تكن الخدمات التي تؤديها لنا يدّ عدوة، فهي لا تستأهل التزامنا بتبرئتها. وإذا كان علينا القياس بين الواجب والإهانة، فامتنانك، يا أخي، يبدو سخيلاً هنا. بما أن الشرف هو أثمن بلا قياس من الحياة فلست مديناً بحياتك لمن انتزعها منا. دون كارلوس : اني اعرف، يا أخي، الفارق الذي على النبيل أن يضعه دائماً بين الإهانة وعرفان الجميل. وهذا الأخير لا يزيل قط من نفسي الشعور بالإهانة. لذا لإقبل بأن أردّ له ما اعارني أياه وأن أسدّد ديني على الفور عن طريق تأجيل انتقامنا وإعطائه حرية التمتع بحياته لبضعة أيام.

دون الونس : لا، لا، إن إرجاء الإنتقام مجازفة به وفرصة تحقيقه التي تتيحها لنا السماء الآن قد لا تأتي ثانية، وعلينا الاستفادة منها. عندما يصاب الشرف إصابة قاتلة، علينا عدم التفكير بأي اعتبار آخر وإذا كنت تمتعض من المشاركة في هذا العمل، ما عليك سوى الإنسحاب وتترك لي شرف هذه التضحية.

دون كارلوس : بالله عليك، يا أخي ...

دون الونس : لا جدوى من كل هذا الكلام. يجب أن يموت.

دون كارلوس : قلت لك توقف يا أخي. لا أسمح أبداً بقتله وأقسم بالله بأنني سأدافع عنه ضد أيّ كان وسأعرف كيف اجعل من نفسي درعاً له. يجب أن تقتلني أولاً قبل أن توجه اليه الضربات.

دون الونس : ماذا ؟ اراك تقف الى جانب عدوّنا، وبدل أن تتملكك نفس المشاعر التي اشعر بها، تظهر تجاهه مشاعر الرقة والشفقة ؟

دون كارلوس : لنظهر، يا أخي، بعض الاعتدال في هذا العمل المحقّ ولننتقم من دون هذا الحقن الذي تبديه. ليكن لنا قلبٌ نحن اسيادُه وليكن لنا مثل أعلى عادل وهو أن تُقدّم على الأمور بروح التصوّر والتصميم وليس بدافع الغضب الأعمى. يا أخي، علينا دين ينبغي إيفاءُه قبل كل شيء وانتقامنا لن يخسر شيئاً من مجده إذا تأجّل، بل على العكس، سيستفيد من هذا التأجيل الذي سيبدو للجميع أكثر عدلاً.

دون الونس : يا لهذا الضعف الغريب، ويا لهذه المجازفة المخيفة العمياء بشرفنا لمجرد تصوّر سخيفٍ وواجبٍ خيالي !

دون كارلوس : لا، يا أخي، لا تتكذّر. إذا أخطأت، اعرف كيف أصحّح خطئي. إنني اتكفّل بمسؤولية شرفنا واعرف الواجب الذي يجبرنا على القيام به، وعملية تعليق الإنتقام ليوم واحد التي يفرضها عرفان الجميل، سيزيد من حماستي للقيام بهذا الواجب. انت ترى، يا دون جوان، اهتمامي الشديد بتسديد ديني؛ فأحكم بنفسك وثق بأنني سأقوم بواجبي بنفس الحماسة وكما كنت قاطعاً في رد الجميل سأكون صارماً في غسل العار. لا ابغي ارغامك على تبرير مشاعرك واعطيك ملء الحرية في التفكير بالقرار الذي ستخذه. أنت تعرف مدى الإهانة التي الحققتها بنا واجعلك تحكم بنفسك بالنسبة الى العطل والضرر اللذين تتطلبهما. هناك وسائل لطيفة لإرضائنا كما هنالك العنيف منها والدموي. على كل حال، مهما يكن إختيارك، فلقد وعدتني بأن تجعلني آخذ حقي من دون جوان : فكّر بالأمر ملياً، أرجوك، وتذكر انني لم أعد أدين سوى لشرفي خارج هذا المكان.

دون جوان : لم أطلب منك شيئاً وسأبُرُّ بوعدي.
دون كارلوس : هيا، يا أخي : إن لحظة رقة لا تسيء لواجبنا الصارم بشيء.

المشهد الخامس

دون جوان، سغاناريل.

دون جوان : أين انت، يا سغاناريل !
سغاناريل (وهو يخرج من المكان الذي إختبأ فيه) : العفو ؟ ماذا قلت ؟
دون جوان : ماذا ؟ أتهرب، أيها الماكر، حين يهاجمونني ؟
سغاناريل : سامحني، يا سيدي، انا آتٍ من مكان قريب. هذه الثياب مليئة
ومطهرة على ما أظن وإرتداؤها هو دواء بحد ذاته.
دون جوان : يا لوقاحتك ! استر جينك بستر أكثر شرفاً على الأقل. هل
تعرف من هو الذي انقذت حياته ؟
سغاناريل : لا يا سيدي.
دون جوان : انه أحد اشقاء الفير.
سغاناريل : أحد ...
دون جوان : انه رجل نبيل وشريف. لقد أحسن التصرف وأنا آسف لكوني
على نزاع معه.
سغاناريل : ولكن، تسهل عليك تسوية الأمور.
دون جوان : اجل. غير أن عاطفتي. خمدت تجاه الفير والإلتزام لا يتلاءم
مطلقاً مع مزاجي. كما تعرف، أنا أحبُّ الحرية في الحب ولا أستطيع سجن
قلبي بين اربعة جدران. قلت لك عشرين مرة أن الإستسلام لما يجذبني
ويبعثني عن ميولي الطبيعية. لكل الحسنات الحق في أسر قلبي. مداورة
والإحتفاظ به على قدر الإمكان. ما هو هذا الصرح الجميل الذي أراه من بين
الأشجار ؟
سغاناريل : ألم تعرف بعد ؟

دون جوان : حقاً لا.

سغاناريل : هذا هو القبر الذي كان بينه الفارس الأمر حين قتلته.
دون جوان : آه، انت على حق. لم أكن اعرف أنه يقع في هذا المكان. لقد
اخبرني الجميع عن روائع هذا الصرح، كذلك عن تمثال الفارس الآخر،
وأرغب في رؤيته.

سغاناريل : لا تذهب الى هناك، يا سيدي.

دون جوان : لماذا ؟

سغاناريل : ليس من اللائق أن ترى رفاق رجلٍ قتلته.
دون جوان : بل على العكس، ستكون زيارة لائقة ويجب أن يستقبلني بكل
طيبة خاطر إذا كان مهذباً ولطيف العُشرة. هيا، لندخل اليه.
(يفتح القبر فيرى ضريحاً رائعاً وتمثال الفارس الأمر).

سغاناريل : يا للروعة ! يا للتماثيل الجميلة ! يا للرخام الجميل ! يا للأعمدة
الجميلة ! كم هذا جميل ! ما رأيك يا سيدي ؟

دون جوان : رأيي أن طموح رجل ميت لا يستطيع الوصول الى أبعد من
ذلك؛ والمدمش هو أن يكتفي الإنسان طوال حياته بمسكن متواضع ويريد
الحصول على مسكن رائع حين لا يكون بحاجة اليه.
سغاناريل : هذا تمثال الفارس الأمر.

دون جوان : بالله ! كم شكله مضحك وهو يرتدي ثياب امبراطور روماني !
سغاناريل : بالله، يا سيدي، كم هو حسن الصنع ! يبدو وكأنه على قيد
الحياة، وكأنه سيتكلم. انه ينظر الينا نظرات قد تخيفني لو كنت هنا لوحدي.
وأظن أن رؤيتنا لا تلذُّ له.

دون جوان : مخطئ هو لو كان الأمر فعلاً كما تقول. لكان في ذلك اساءة
لشرف زيارتي له. أسأله إذا كان يودُّ المجيء لتناول طعام العشاء معنا.
سغاناريل : هذا شيء لم يعد يحتاج إليه على ما أظن.

دون جوان : قلت لك : أسأله.

سغاناريل : أتسخر مني ؟ من الجنون التحدث إلى تمثال.

دون جوان : افعل ما اقوله لك.

سغاناريل : يا للغرابة ! ايها السيد الفارس .. (على حدة) أسخر من نفسي على حماقتي ولكن سيدي يريد ذلك. (بصوت عالٍ) يا سيدي الفارس، سيدي دون جوان يسألك إذا كنت ترغب في تشريفه وتناول طعام العشاء معه. (التمثال يحني رأسه) ها !؟

دون جوان : قل، ما الأمر ؟ ما بك ؟ لم لا تقول ؟

سغاناريل (يحني رأسه كما فعل التمثال) : التمثال ...

دون جوان : ما له ! ماذا تعني ايها الخائن ؟

سغاناريل : أقول لك إن التمثال ...

دون جوان : ما به ! التمثال ؟ سأضربك إذا لم تتكلم.

سغاناريل : لقد أومأ التمثال إليّ.

دون جوان : تباً لك ايها الماكر.

سغاناريل : قلت لك أنه أومأ إليّ. انا لا أقول غير الحقيقة. تقدّم وكلمه

بنفسك. ربما ...

دون جوان : تعال، يا محتال، اريدك أن ترى جينك بنفسك. إنتبه. أريد

السيد الفارس المجيء لتناول العشاء معي ؟ (التمثال يحني رأسه مرة أخرى).

سغاناريل : لن أتخلى عن هذا المشهد مقابل عشرة دراهم. إذًا، يا سيدي ؟

دون جوان : هيا، لنخرج من هنا.

سغاناريل (وحده) : هذا ما لا أستطيع تصديقه.

الفصل الرابع

في شقة دون جوان

المشهد الأول

دون جوان، سغاناريل.

دون جوان : دعنا من هذا الأمر على كل حال : هذه أباطيل. ربما خدعنا الضوء في القبر أو حالة اضطراب في الرأس بلبت رؤيتنا. سغاناريل : لا، يا سيدي، لا تحاول التنكّر لما رأيناه بأعيننا. لا شيء أصدق من ايماءة الرأس هذه ولا اشك بأن السماء التي صدمتها حياتك قامت بهذه المعجزة لإقناعك وردك لجادة الصواب ...

دون جوان : إسمع : إذا أستطلت في مضايقتي بنصائحك الأخلاقية الحمقاء، وإذا قلت لي أي كلمة بهذا الصدد، سأنادي أحدهم وأطلب عَصَبَ جاموس وأجعل ثلاثة أشخاص أو اربعة ممسكون بك وأوسعك ضرباً. هل تسمعي جيداً ؟

سغاناريل : هذا جيّد جداً، يا سيدي، أنت تشرح بوضوح. ما يعجبني منك هو عدم المواربة وقول الأشياء بوضوح مدهش. دون جوان : هيا، ليحضروا لي العشاء في اقرب وقت ممكن. جثني بكرسي، أيها الخادم.

المشهد الثاني

دون جوان، لافيوليت، سغاناريل.

لافيوليت : يا سيدي، ها هو تاجر القماش، السيد ديمونش يريد أن يكلمك.
سغاناريل : حسناً ! ما كان ينقصنا سوى اطراء دائن. ماذا خطر له حتى جاء
يطالبنا بالمال، ولماذا لم تقل له أن سيدي ليس هنا ؟
لافيوليت : اني اقول له هذا منذ ساعة إلا انه لم يصدقني وقد جلس ينتظر
هناك في الداخل.

سغاناريل : لينتظر قدر ما يستطيع.

دون جوان : بل، على العكس، دعه يدخل. هي سياسة رديئة جداً أن نهرب
من الدائنين. من الأفضل أن نعللهم بالوعود وأنا خبير في ارضائهم وردّهم على
أعقابهم دون اعطائهم درهماً واحداً.

المشهد الثالث

دون جوان، السيد ديمونش، سغاناريل، والخدم.

دون جوان (مبالغاً في المجاملة واللياقة والتهذيب) : إقرب، يا سيد ديمونش. كم
أنا مسرور لرؤيتك وكم أنا غاضب من رجالي لأنهم لم يدخلوك على الفور !
كنت قد أمرتهم بأن لا يدعوا احداً يدخل ولكنّ هذا الأمر يستثنيك ومن
حقك أن تجد ابوابي مفتوحة لك دائماً.

ديمونش : اشكرك، يا سيدي. انا ..

دون جوان (لخدمته) : ويحكم، ايها الماكرون، سأعاقبكم لأنكم تركتم
السيد ديمونش في غرفة الإنتظار؛ سأجعلكم تقدّرون الناس.

ديمونش : لا تحنق، يا سيدي.

دون جوان (للسيد ديمونش) : كيف وقد قالوا لأفضل اصدقائي السيد ديمونش
انني لست هنا ؟

ديمونش : انا خادمك، يا سيدي. لقد أتيت ...
دون جوان : هيا، بسرعة، أحضروا مقعداً للسيد ديمونش.
ديمونش : انا مرتاح هكذا، يا سيدي.
دون جوان : قطعاً لا. اريدك أن تجلس بقربي.
ديمونش : ليس هذا ضرورياً.
دون جوان : خذوا هذا الكرسي من هنا وأحضروا مقعداً مريحاً.
ديمونش : يا سيدي، انت تسخر مني و ..
دون جوان : لا، لا، اعرف انني مدين لك ولا اريد مرتبة بيننا.
ديمونش : يا سيدي ...
دون جوان : هيا إجلس.
ديمونش : لا حاجة لذلك، يا سيدي، فليس لدي سوى كلمة وحدة اقولها
لقد ...
دون جوان : قلت لك، أقعد.
ديمونش : لا، يا سيدي. انا مرتاح. جئت ...
دون جوان : لن اصغي اليك ما لم تجلس.
ديمونش : يا سيدي، اني افعل ما تريد. انا ...
دون جوان : آه ! إن صحتك جيدة يا سيد ديمونش.
ديمونش : نعم، يا سيدي، ولخدمتك. لقد أتيت ...
دون جوان : انت تملك صحة رائعة وشفيتين نظرتين ووجهاً قرمزيًا وعينين
حادّتين.
ديمونش : اريد أن ...
دون جوان : كيف هي احوال مدام ديمونش، زوجتك ؟
ديمونش : جيدة جداً، لحسن الحظ يا سيدي.
دون جوان : انها امرأة شجاعة.
ديمونش : انها خادمتك، يا سيدي، لقد أتيت.
دون جوان : وابنتك الصغيرة كلودين، كيف هي ؟
ديمونش : في أحسن حال.

دون جوان : يا لها من فتاة جميلة ! أحبها من كل قلبي.
ديمونش : هذا شرف كبير لها يا سيدي. أنا ...
دون جوان : وكولان الصغير، ألا يزال يَضُجُّ بطبله ؟
ديمونش : هو على حاله، يا سيدي. أنا ...
دون جوان : وكلبكم الصغير بروسكيه، ألا يزال يزمجر عالياً وَيَعُضُّ أرجل
الذين يزورونكم ؟
ديمونش : أكثر من أي وقت مضى، يا سيدي، ونحن لا نعرف كيف التخلّص
من هذه العادة.
دون جوان : لا تعجب لإستعلامي عن العائلة كلها فأنا اهتُمُّ بها كثيراً.
ديمونش : نحن في غاية الإمتنان، يا سيدي. أنا ...
دون جوان (يمدُّ له يده) : ضع يدك هنا إذاً، يا سيدي ديمونش. هل انت
صديق لي ؟
ديمونش : انا خادمك، يا سيدي.
دون جوان : وانا لك من كل قلبي.
ديمونش : هذا شرف كبير لي. أنا ...
دون جوان : لأجلك افعل المستحيل.
ديمونش : انك تظهر لي الكثير من الطيبة يا سيدي.
دون جوان : وذلك دون اية مصلحة، ارجو أن تصدقني.
ديمونش : اني، بالتأكيد، لا استحق هذه النعمة. ولكن يا سيدي ...
دون جوان : هيا، هيا، يا سيدي ديمونش، بدون تكلفة، هل تريد تناول
العشاء معي ؟
ديمونش : كلا، يا سيدي يجب أن أعود على الفور. أنا ...
دون جوان (واقفاً) : هيا، بسرعة، أحضروا مشعلاً لمرافقة السيد ديمونش
وليأخذ اربعة او خمسة من رجالي بناذقهم لحراسته.
ديمونش (واقفاً ايضاً) : ليس هذا ضرورياً يا سيدي واستطيع الذهاب وحدي.
ولكن ...
(سفاناريل يسحب المقاعد بسرعة)

دون جوان : كيف ؟ اريد أن يرافقوك. انا اهتم كثيراً بشخصك. انا خادمك ومدين لك ايضاً.

ديمونش : آه، يا سيدي ...

دون جوان : هذا الأمر ليس سرّاً وأنا اقله لكل الناس.

ديمونش : إذا ...

دون جوان : اتريد أن أرافقك ؟

ديمونش : آه، يا سيدي، انت تهزأ مني. يا سيدي ...

دون جوان : قبلني اذاً، إذا سمحت. أطلب منك للمرة القادمة أن تقتنع بأنني لك بكلّيتي وأنني لخدمتك أفعل المستحيل.

(هنا يخرج دون جوان)

سغاناريل : عليك الاعتراف بأن سيدي يحبك كثيراً.

ديمونش : هذا صحيح. فهو يعاملني بكل تهذيب ولياقة ويوجه اليّ الكثير من الإطراء والمديح حتى انني لا استطيع مطالبته بالمال.

سغاناريل : أوكد لك أنه وأهله مستعدون للموت في سبيلك وأتمنى أن يحصل لك مكروه، أو أن يوسعك أحدّ ضرباً حتى ترى الطريقة التي ...

ديمونش : انا واثق من ذلك، ولكن، يا سغاناريل، ارجوك أن تذكره قليلاً بما لي عنده من مال.

سغاناريل : اوه ! لا تزعج نفسك فسيدفع لك حتماً.

ديمونش : ولكن، انت ايضاً، يا سغاناريل، مدين لي بالمال.

سغاناريل : أف ! لا تكلمني عن المال.

ديمونش : كيف ؟ انا ...

سغاناريل : ألا اعرف انني مدين لك ؟

ديمونش : بلى ولكن ...

سغاناريل : هيا، يا سيدي ديمونش، سأضيء لك الطريق.

ديمونش : ولكن، مالي ...

سغاناريل (ممسكاً بدراع ديمونش) : أتمازحني ؟

ديمونش : اريد ...

سغاناريل (وهو يجزّه) : هيا !
ديمونش : أريد ...
سغاناريل (وهو يدفع به الى الأمام) : هراء !
ديمونش : ولكن ...
سغاناريل (مستمراً في دفعه) : أف !
ديمونش : انا ...
سغاناريل (وهو يدفع به خارج المسرح) : قلت لك أف .

المشهد الرابع

دون لويس، دون جوان، لافيوليت، سغاناريل.

لافيلوليت (لدون جوان) : يا سيدي، ها هو ابوك.
دون جوان : ها أنذا في أحسن حال لم يكن ينقصني سوى هذه الزيارة لكي
افقد صوابي.

دون لويس : اني أربكك، كما أرى، وتستطيع بكل سهولة الإستغناء عن
رؤيتي. في الحقيقة، نحن احدنا مصدر ازعاج للآخر. إذا كنت تعبت من
رؤيتي، فأنا ايضاً تعبت من تصرفاتك الفاسقة. للأسف ! نحن نعرف القليل
عما نفعله حين نأبى التوكل على السماء في امورنا الضرورية وحين نظن اننا
أكثر فطنةً منها ونُصيرُ على ازعاجها بأمانينا العمياء وطلباتنا القليلة التبصرُ !
تمنيت بشغف لا مثيل له ان أرزق ولداً؛ طلبت هذا باستمرار وبحماسة لا
تصدق؛ وهذا الولد الذي حصلت عليه بعد أن ارهقت السماء بطلباتي، هو
مصدر حزن وعذاب لي. هذا الإنسان الذي ظننت إنه سيكون مصدر فرحي
وعزائي. بأية عين، في رأيك، استطيع رؤية هذه الأعمال الحقيرة التي لا
يمكننا التخفيف من بشاعتها في أعين الناس، هذه الأعمال السيئة المتواصلة
التي جعلتني باستمرار أستنفذ رافة الملك ورصيدي ورصيد أصدقائي عنده،
من الخدمات ؟ يا لها من حقارة ! ألا تخجل قط من نسبك ؟ قل لي، أيحقُّ

لك الإفتخار به ؟ ماذا فعلت في هذه الدنيا لكي تكون من النبلاء ؟ أو تظن أنه يكفينا حمل الإسم والسلاح وفخر الإنتساب الى دم نبيل حين نعيش عيشة دنيئة ؟ لا، لا، لا قيمة للنسب بدون الفضيلة. نحن لا نشارك اسلافنا مجدهم إلا بقدر ما نحاول التشبه بهم ومآثرهم العظيمة التي تطللنا تفرض علينا الإلتزام بتكريمهم بالسير على خطواتهم وبتأبى الخبوات التي رسموها لنا وبعدم الإنحراف عن فضائلهم، إذا كنا فعلاً نريد أن نعتبر انفسنا خلقاً لهم. أما أنت، فنسبك باطل وأسلافك يتنكرون لك وما قد فعلوه من أعمال ميجدة لا يعطيك اي امتياز عن غيرك؛ بل على العكس، بريق أعمالهم ينعكس عليك ليظهر خزيك وعارك. إن مجدهم مشعل يسلط الضوء، على أعمالك المشينة. واعلم أخيراً أن الرجل النبيل الذي يعيش عيشة سيئة هو مسخ في الطبيعة، وأن الشرف هو عنوان النبيل. انني انظر الى الأعمال وليس الى الأسماء وانني احترم ابن حمّال شريف أكثر من ابن ملك يعيش مثلك.

دون جوان : يا سيدي، لو كنت جالساً لأحسنت الكلام بصورة افضل.
دون لويس : لا ايها الوقح، لا اريد الجلوس ولا قول المزيد من الكلام. وأرى جيداً أن كل ما قلته لم يؤثر بك. ولكن، اعلم، أيها الابن الجاحد، انك استنفدت مني حنان الأب من جراء اعمالك وأنني استطيع، بأسرع مما تظن، وضع حدٌ لإنحرفاتك ومعاقبتك قبل السماء وغسل عار انتسابك إليّ عن طريق الإقتصاص منك.

(هنا يخرج دون لويس)

المشهد الخامس

دون جوان، سغاناريل.

دون جوان : مت بأسرع ما يمكن، هذا افضل ما يمكنك فعله. لكل واحد دوره، وأتحرق لأرى الآباء يعيشون مثل ابنائهم فيفهمونهم.

(يجلس على المقعد)

سغاناريل : آه، يا سيدي، أنت على خطأ.

دون جوان : على خطأ ؟

سغاناريل (وهو يرتجف) : يا سيدي ..

دون جوان (متصبأً) : على خطأ ؟

سغاناريل : اجل، يا سيدي، لقد أخطأت لأنك تحمّلت ما قاله لك وقد كان عليك حمله ورميه خارج الدار. يا لها من وقاحة، أن يوبّخ والد ولده ويطلب منه تصحيح اخطائه وتذكر نسبه والعيش كرجل شريف، والعديد من الحماقات الأخرى ! كيف استطاع تحمّل ذلك رجلٌ مثلك يعرف كيف يعيش ؟ إنني معجب بصبرك. لو كنت مكانك لطرّدته. (على حدة) ايّتها المجاملة الملعونة، الى اين أوصلتني ؟

دون جوان : أريد تناول العشاء، هل هو جاهز ؟

المشهد السادس

دون جوان، دونا الفير، راغوتان، سغاناريل.

راغوتان : يا سيدي، هذه سيدة متسترة جاءت لتكلمك.

دون جوان : من هي، يا ترى ؟

سغاناريل : لنرى.

دونا الفير : لا تتفاجأ، يا دون جوان، إذ تراني في هذه الساعة وفي هذا الزبي. إن سبباً ملحاً أرغمني على هذه الزيارة وما سأقوله لك لا يحتمل التأجيل ابداً. لم اجيء الى هنا مليئة بالغضب الذي فجّرت منذ قليل وكما ترى، لقد تغيّرت كثيراً منذ الصباح. لم أعد دونا الفير تلك التي كانت تمنى لك الشر والتي كانت في قمة غضبها تطلق التهديد ولا تبغي غير الانتقام. إن السماء ازلت من نفسي كل ذلك الغضب عليك وكل فورات الغيرة العاصفة والمجرمة وكل مشاعر العشق الأرضي الفظ المخجلة؛ ولم تترك لك في قلبي سوى شعلة خالية من الشهوانية، وسوى حنان في غاية القداسة وحب منزّه عن كل شيء لا

يسعى أبداً في سبيل مصالحه ولا يلتفت سوى لمصلحتك.
دون جوان (لسغانريل بصوت خافت) : انت تبكي على ما أظن.
سغانريل : سامحني.

دونا الفير : ان هذا الحب الكامل والنقي هو الذي جاء بي الى هنا من أجلك، ولكي اوصل اليك تحذيراً من السماء، وأحاول ابعادك عن الهاوية التي أنت بصدد الإنزلاق فيها. اجل، يا دون جوان، اني اعرف كل تصرفاتك الفاسقة وهذه السماء نفسها التي امتلكت قلبي وجعلتني أدرك سلوكي المنحرف، أوحى لي بالمجيء لكي اندرك، من قبلها، بأن اساءاتك استنفدت رحمتها وأن غضبها الرهيب أوشك على الإنقضاء عليك وأنه بإمكانك تجنّب من خلال ارتدادك السريع. ربما لم يعد امامك سوى يوم واحد للإفلات من أكبر المصائب. اما أنا، فلم اعد أرتكبها ولأستحقّ من خلال ندمي العظيم العفو عن المتاهات التي أغرقنتني فيها فوراً حب مذموم. ولكنني سأألم كثيراً وسط ترهّدي إذا علمت أن شخصاً أحببته من كل قلبي اصبح عبرة مشؤومة لعدالة السماء. إن فرحي سيكون كبيراً إذا استطعت إبعاد الضربة الرهيبة المهددة، عن رأسك. بالله عليك، يا دون جوان، إمنحني هذه التعزية كحظوة أخيرة. لا ترفض لي طلب خلاصك الذي اطلبه ممزوجاً بالدموع. وإذا كانت مصلحتك لا تعنيك فعلى الأقل، تأثّر بتوسلاتي وجنّبي الآلام العنيفة التي ستنتابني إذا ما حكّم عليك بعذابات ابدية.

سغانريل : (على حدة) يا لها من امرأة مسكينة !

دونا الفير : إنني أحببتك حباً عظيماً ولا شيء في الدنيا كان أعزّ منك؛ نسيت واجبي لأجلك وعملت كل شيء في سبيلك، وجلّ ما أطلبه منك هو تقديم حياتك وتجنب موتك. أرجوك، أنقذ نفسك من أجلك أو من أجلي. مرة أخرى، يا دون جوان، اطلب منك هذا ممزوجاً بالدموع. وإذا كانت دموع من احببته لا تكفي. استحلّفك بكل ما هو قادر على التأثير بك.

سغانريل (على حدة وهو ينظر الى دون جوان) : ما هذا القلب القاسي ؟

دونا الفير : انا ذاهبة وقد قلت ما كنت اريد قوله.

دون جوان : لقد تأخر الوقت، يا سيدتي، إِبقي هنا فسنعتني بك على قدر
المستطاع.
دونا الفير : لا، يا دون جوان لا تستبقيني.
دون جوان : أؤكد لك، يا سيدتي، أنني سأسرُّ لبقائك.
دونا الفير : قلت لك لا، فلا تُضيِّع الوقت بكلام غير مُجدٍ. دعني أرحل
بسرعة ولا تُصيرُ علي مرافقتي. فكّر فقط بالإستفادة مما قلت.

المشهد السابع

دون جوان، سغاناريل، الخدم.

دون جوان : أتعرف أن مشاعري تحرّكت بعض الشيء تجاهها وأنني وجدت
حلاوةً في هذا الجديد الغريب وأن ثيابها المهمة ومظهرها البسيط ودموعها
أيقظت في نفسي شعلة حب مطفأة ؟
سغاناريل : هذا يعني أن كلامها لم يؤثّر فيك.
دون جوان : الى العشاء بسرعة.
سغاناريل : هذا حسن جداً.
دون جوان (جالساً الى المائدة) : ومع ذلك، يجب التفكير في إصلاح أنفسنا.
سغاناريل : أصبت !
دون جوان : نعم، علينا في الواقع، إصلاح أنفسنا. سنفكّر في ذلك بعد
عشرين أو ثلاثين سنة.
سغاناريل : اوه !
دون جوان : ماذا قلت ؟
سغاناريل : لا شيء. ها هو العشاء. (يأخذ دون جوان قطعة من أحد الصحن التي
أُحضِرَت له ويضعها في فمه).
دون جوان : يبدو لي أن خدك متورّم. ما هذا ؟ تكلم، ما بك ؟
سغاناريل : لا شيء.

دون جوان : دعني أرى. تبا ! هذا تورم قبيح على خدك. بسرعة، أحضروا لي مبضعاً لثقبها. المسكين لم يعد يحتمل وقد يخنقه الخراج. إنتظر أترى، كان علي وشك أن ينفجر. يا لك من مكارا
سغاناريل : في الحقيقة، يا سيدي، كنت أريد أن أرى إذا كان طباحك قد وضع الكثير من الملح والبهارات.

دون جوان : هيا، إجلس وكل. إني بحاجة اليك بعد العشاء. انت جائع علي ما أظن.

سغاناريل (يجلس الى المائدة) : أظن ذلك، يا سيدي، فأنا لم آكل منذ الصباح. ذق هذا، فهو من افضل ما يكون.

(يأخذ الخادم صحن سغاناريل ويملاه طعاماً) صحنني، صحنني ا على مهل، لو سمحت. تبا لك ايها المحتال ا يا لك من ماهر في تقديم أطباق نظيفة ! وانت، يا لافيوليت، كم تجيد تقديم المشروبات في اوقاتها !
(أحد الخدام يأخذ ثانياً صحن سغاناريل من امامه بينما يصب له آخر كأساً)

دون جوان : من تراه يقرع الباب علي هذا النحو ؟

سغاناريل : من جاء، يا ترى، ليعكّر صفو عشاءنا ؟

دون جوان : اريد تناول العشاء بسلام على الأقل، فلا تدعوا أحداً يدخل.
سغاناريل : دعني أرى. سأذهب بنفسني.

دون جوان (لسغاناريل العائد وهو مذعور) : ما الأمر ؟ ماذا هنالك ؟

سغاناريل (حانياً رأسه كما فعل التمثال) : ال ... هنا ا

دون جوان : لنرى ولنبيّن أن ما من شيء يستطيع زعزعة افكارنا.

المشهد الثامن

دون جوان، تمثال الفارس الآمر (الذي جلس الى المائدة) سغاناريل
والأتباع.

دون جوان (لرجاله وأتباعه): بسرعة، أحضروا كرسيّاً وملعقة وشوكة
وسكيناً. (لسغاناريل) هيا، إجلس.
سغاناريل: لم أعد جائعاً، يا سيدي.
دون جوان: قلت لك، إجلس. لنشرب نخب الفارس الآمر. إني ارفع الكأس،
يا سغاناريل، إملأوا له الكأس نبيذاً.
سغاناريل: يا سيدي، لست عطشاً.
دون جوان: إشرب وغني أغنيتك لنحتفل بالفارس الآمر.
سغاناريل: انا مصاب بالزكام، يا سيدي.
دون جوان: لا يهّم. هيا، تعالوا انتم ورافقوه في الغناء.
الفارس الآمر: كفي، يا دون جوان. أنا أدعوك لتناول العشاء عندي غداً.
أتجرؤ على المجيء؟
دون جوان: أجل، وسأذهب برفقة سغاناريل وحده.
سغاناريل: أشكرك، يا سيدي، إني سأصوم غداً.
دون جوان (لسغاناريل): خذ هذا المشعل.
الفارس الآمر: لا حاجة للضوء حين ترشدنا السماء.

الفصل الخامس

مشهد ريف بالقرب من المدينة

المشهد الأول

دون لويس، دون جوان، سغاناريل.

دون لويس : ماذا ؟ أيمكن، يا بني، أن تكون رحمة السماء قد استجابت لدعائي ؟ أصبح ما تقوله لي ؟ ألم أُخَدِّعُ بأملٍ كاذب ؟ أستطيع الوثوق بهذا الإرتداد الجديد المفاجئ.

دون جوان : أجل. لقد عدلت عن كل اخطائي ولم أعد كما كنت مساء البارحة. إن السماء قد أُخَدَّتْ في فجأةً تغييراً سيفاجئ الجميع؛ فقد هزتني وفتحت عيني فَرَحْتُ انظر بإشمزاز للضلال الذي غرقت فيه طويلاً ولفوضى حياتي المجرمة التي عشتها. واستعرضت في نفسي كل اعمالي الكريهة ودُهَشْتُ كيف أن السماء استطاعت تحمُّلها لوقت طويل ولم تنزل بي ضربات عدالتها المخيفة. إنني أدرك طبيعتها ورحمتها تجاهي إذ انها لم تعاقبني قط على جرائمي، وابغي الإستفادة من ذلك، مُظهِراً امام الجميع تغيير نمط عيشي المفاجئ وماحياً آثار أعمالِي المخزية السابقة وساعياً للحصول على غفران كامل من السماء. هذا ما سأعمل لأجله وأرجو يا سيدي، أن تساهم معي في تحقيق هذا الهدف وأن تساعدني بنفسك على إختيار مرشدي الروحي الذي استطيع بعنايته السير بأمان في الطريق التي اخترتها.

دون لويس : كم يُستَرَجَع بسهولة حنان الأب، يا بني، وكم تُمحي بسرعة إساءات الإبن عند اول كلمة ندم ! لم اعد أذكر حتى العذابات العنيفة التي قاسيتها بسببك وقد محى الكلام الذي سمعته منك كل سيئاتك. اني لم اعد اسيطر على عواظي كما ترى، وأذرف دموع الفرح بعد أن تحققت كل امنياتي وما عُدْتُ بحاجة لطلب اي شيء من السماء من الآن فصاعداً. قبلني يا بني. استحلفك بأن تستمرّ في هذه الخطى المشكورة. اما أنا، فسأعادر على التوّ لأنقل الخبر السعيد لأمك وشاركها مشاعر الإغتباط، حامداً السماء على القرارات المقدسة التي تنازلت واوحت لك بها.

المشهد الثاني

دون جوان، سفاناريل

سفاناريل : كم سُرِرْتُ لِإرتدادك، يا سيدي ! اني أنتظره منذ زمن بعيد، وها إن أمنياتي كلها قد تحققت بفضل السماء.

دون جوان : تباً لك، ايها الساذج !

سفاناريل : ساذج ؟ كيف ؟

دون جوان : ماذا ؟ هل صدقت ما قلته ؟ هل صدقت أن قلبي هو الذي كان يتكلم ؟

سفاناريل : ماذا ؟ لم يكن ... لم ... (على حدة) يا له من رجل ! يا له من رجل !

دون جوان : لا، لا، لم اتغيّر قط ومشاعري ما زالت كما هي.

سفاناريل : ألم تفحمك معجزة التمثال المتحرك المتكلم المدهشة ؟

دون جوان : هناك أمر فيه لا افهمه. ولكن، مهما يكن هذا الأمر، فلن يستطيع اقناعي ولا زعزعة نفسي. ما سمعتني اقله في شأن تقويم سلوكي وعيشي المثالي هو خدعة مفيدة، مظاهر خداعة ضرورية وقد قمت بها مرغماً لغاية تكتيكية صرفً ألا وهي تأمين مساعدة أبي الذي أحتاج إليه وإتقاء شر العديد

من المغامرات المشؤومة. هذا الشر الذي قد يحصل لي من الناس. أفاتحك بهذا وانا مسرور، يا سغاناريل، لأنك ستري في أعماق نفسي الدوافع الحقيقية التي تجبرني على القيام بهذه الأمور.

سغاناريل : ماذا ؟ أنت لا تؤمن بشيء ابداً وتريد الظهور بمظهر الرجل الصالح ؟

دون جوان : ولم لا ؟ كثيرون مثلي يتعاطون هذه المهنة ويستخدمون نفس القناع لخداع الناس.

سغاناريل (على حدة) : يا له من رجل ! يا له من رجل !
دون جوان : لم يعد أحد اليوم يخجل بهذا الأمر. فالخبث هو عيب شائع والعيب الشائع كالأخطاء الشائعة تصبح صواباً. إن شخصية الرجل الصالح هي أفضل شخصية نستطيع أن نلعبها اليوم، ومهنة الخبيث لها مميزات رائعة. هي فنُّ أربابه محترمون؛ حتى ولو إكتشفت ألعيبهم، لا احد يجروء على الوقوف ضدهم. فبينما تظنُّ عيوب الناس الأخرى عرضة للرقابة ولكل واحد منا حرية مهاجمتها بصوت عالٍ، يبقى الخبيث عيباً مميّزاً يفحم كل الناس ويتمتع بالطمأنينة وبحصانة قصوى. وإذ تتكاثر المظاهر الخداعة، تتشكل جمعية وثيقة من كل الذين ينتمون الى هذه المهنة (مهنة مُدعي التقوى). من سيء الى أحدهم، عليه مجابهة الآخرين كلهم. واولئك الذين نعرف أنهم يتصرفون عن حسن نية وأنهم أتقياء حقيقيون، هم دائماً مخدوعون ويقعون بسهولة في شرك الخبثاء ويؤيدون بغباوة أعمالهم الخداعة. كم تظن انني أعرف من اولئك الذين محوا بحذافة وعن طريق هذه الخدعة، إنحرافات فتوتهم وجعلوا من الدين درعاً واقية ترى وراءها أكثر الناس شراً ؟ حتى ولو كشفت مؤامراتهم وعرفتهم على حقيقتهم، يبقى رصيدهم كما هو بين الناس. يكفي أن يحنوا رؤوسهم ويتنهدوا تنهد المتقشّف ويجولوا قليلاً بنظرهم لكي يصلحوا ما قد فعلوه. سأختبئ وراء هذا الستار المناسب لكي اعيش في أمان واستقرار. لن أتخلى عن عاداتي الحلوة وإلّما سأخفيها بعناية وسألهم بأقل ضجة ممكنة؛ إذا كشف أمرى، ستلتزم الجمعية كلها بمصالحي دون أن أحرّك ساكناً، وتدافع عني ضد الجميع. هذه، بالنتيجة، الوسيلة الصحيحة التي

تمكّنتي من أن أفعل ما أشاء دون عقاب. سأجعل نفسي رقيقاً على أعمال الآخرين. وأحكم عليهم بغير عدل ولن اجامل إلا نفسي. وإذا اساء إليّ أحدٌ، ولو قليلاً، لن اغفر له ابداً وسأحقد عليه بكل هدوء، حقداً لا يزول. سأصبح المنتقم لعدالة السماء وبهذه الحجّة الملائمة، سأفحم أعدائي وأنهمهم بالكفر وأطلق وراءهم أتقياء متعصّبين صحّابين وأجعلهم يصرخون في العلن ضدهم دون معرفة الحقيقة ويصلّونهم ناراً من الشتائم ويلعنونهم بصوت عالٍ بموجب سلطانهم الخاص. هكذا يجب أن نستفيد من ضعف الناس، وأن يتكيّف الرجل الحكيم مع عيوب عصره.

سغاناريل : ايتها السماء ! ماذا اسمع ؟ لم يكن ينقصك غير الخبث وهو منتهى الشر. لم يعد باستطاعتي الإمتناع عن الكلام. هذا أقوى مني. إفعل بي ما تريد، إضربني، أو سعني ضرباً، اقتلني إذا أردت، فيجب أن أقول ما في قلبي وما ينبغي قوله بصفتي خادمك الأمين، إعلم، يا سيدي، أن « ما كل مرة تسلم الجرّة » وقد صدق قول الكاتب الذي لا اعرف اسمه : « الإنسان في الوجود مثل العصفور على الغصن »؛ الغصن هو من الشجرة ومن يتعلّق بالشجرة يتبع القوانين الجيدة والقوانين الجيدة تساوي اكثر من الكلام الجيد؛ والكلام الجيد نجده في البلاط حيث رجال البلاط الذين يتبعون الزبي الشائع والزبي ينجم عن الخيال الذي هو إحدى قدرات النفس؛ هي التي تعطينا الحياة التي تنتهي بالموت؛ والموت يجعلنا نفكّر بالسماء التي هي فوق الأرض؛ والأرض ليست البحر فحسب؛ والبحر يتعرّض للأنواء؛ والأنواء تضايق السفن؛ والسفن بحاجة الى ربان جيد؛ والربان الجيد حذر؛ والحذر لا يكون قطعاً عند الشباب؛ والشباب ملزمون بالطاعة للشيوخ؛ والشيوخ يحبّون الثروات؛ والثروات تصنع الأثرياء الذين هم نقيض الفقراء؛ والفقراء في عوز؛ والعوز لا قانون له؛ ومن لا قانون له يعيش كحيوان متوحش؛ وبالتالي سيكون مصيرك جهنم.

دون جوان : يا له من تفكير جميل !

سغاناريل : بعد هذا، ليكن الأسوأ لك إذا انت لم تقنّع.

المشهد الثالث

دون كارلوس، دون جوان، سغاناريل

دون كارلوس : انت في المكان المناسب، يا دون جوان وأجِدني مسروراً لإستطاعتي التحدث إليك هنا، أكثر مما في بيتك، أستطيع معرفة قراراتك. إن هذا الأمر يعنيني، كما تعرف، وقد تحملت مسؤوليته في حضورك. بالنسبة إليّ، أصارحك بأني أتمنى كثيراً لو يتم الأمر بالحسنى. لن أوفر جهداً لجعلك تسلك هذه الطريق وتؤكد امام الجميع أن اختي هي زوجتك.

دون جوان (بخيث) : للأسف ! أتمنى من كل قلبي ان افعل ما تريد ولكن السماء تعارض الأمر مباشرة وقد اوصت إليّ بواجب تغيير حياتي. أنا لا افكر الآن سوى بالتخلّي تماماً عن كل ارتباطاتي الأرضية والتجرّد عن كل أنواع الغرور في اقرب وقت ممكن، ومن الآن فصاعداً إصلاح كل الانحرافات المحرمة التي جعلني شبابي الضال ارتكبتها وذلك عن طريق الإلتزام بسلوك صارم.

دون كارلوس : أن هذا الهدف، يا دون جوان، لا يسيء بشيء ابداً الى ما أبغيه ورفقة امرأة شرعية تتناسب تماماً مع الأفكار الحميدة التي اوحث لك بها السماء.

دون جوان : قطعاً لا. للأسف ! هذا قرار اتخذته اختك بنفسها؛ لقد قرّرت التزهد وقد بلغتنا النعمة معاً في آن واحد.

دون كارلوس : قرارها هذا لا يشبع رغباتنا لأنه قد يُعزى الي احتقارك لها ولعائلتنا، وشرفنا يستوجب إقامتها معنا.

دون جوان : هذا مستحيل بالطبع. اني ارغب كل الرغبة في ذلك حتى أنني شاورت السماء اليوم في هذا الموضوع وسمعت صوتاً يقول لي أن لا افكر على الإطلاق بأختك وانني بالتأكيد لن أحقق معها خلاص نفسي.

دون كارلوس : أتظن، يا دون جوان انك تبهرنا بهذه الحجج الجميلة ؟

دون جوان : أنا اذعن لصوت السماء.

دون كارلوس : ماذا ؟ أتريد أن اقتنع بمثل هذا الكلام ؟

دون جوان : السماء تريد ذلك.
دون كارلوس : أتتخلى عن اختي بعد أن جعلتها تترك الدير ؟
دون جوان : السماء ارادت الأمور على هذا النحو.
دون كارلوس : ايمكننا ان نقبل بهذا الإساءة في عائلتنا ؟
دون جوان : قل هذا للسماء.
دون كارلوس : ما هذا ؟ السماء، السماء، كل مرة ؟
دون جوان : السماء تريد ذلك.
دون كارلوس : كفى، يا دون جوان، لقد فهمت. لن أبارزك هنا فالمكان غير مناسب ولكنني سأعرف كيف أجدك في القريب العاجل.
دون جوان : إفعل ما تشاء. أنا لا أفتقر للشجاعة، كما تعرف، وأجيد استعمال سيفي عند الضرورة. بعد قليل، سأكون في ذلك الشارع الصغير النائي الذي يقود الى الدير الكبير. ولكنني أعلمك بأنني لست انا من يريد المبارزة فالسماء تمنعني من التفكير بها. سنرى ما سيحدث إذا هاجمتني.
دون كارلوس : سوف نرى فعلاً، سوف نرى.

المشهد الرابع

دون جوان، سغاناريل.

سغاناريل : ما غايتك من هذا، يا سيدي، إن هذا الأمر هو الأسوأ بين كل الأمور التي فعلتها، وفضل أن تبقى كما كنت في السابق. كنت دائماً أمل في خلاصك ولكنني يئست منه الآن وأظن أن السماء والتي تحمّلتك حتى هذه الساعة، لن تقبل بهذا العمل الأخير الفظيع.
دون جوان : هيا، هيا، السماء ليست صارمة كما تظن فالرجال في كل مرة ...
سغاناريل (يلمح الشبح) : آه، يا سيدي، السماء تكلمك وهذه نصيحة أخرى تعطيك اياها.

دون جوان : إذا شاءت السماء اعطائي نصيحة، فعليها أن تتكلم بصورة أوضح ... إذا كانت تريد أن أسمعها.

المشهد الخامس

دون جوان، شبح (بزي امرأة مسترة)، سغاناريل

الشبح : لم يعد امام دون جوان سوى لحظة واحدة للإستفادة من رحمة السماء وإذا لم يتب الآن فموته محتوم.

سغاناريل : هل سمعت، يا سيدي ؟

دون جوان : من يجرؤ على قول هذا الكلام ؟ اني اعرف هذا الصوت، على ما أظن.

سغاناريل : هذا شبح، يا سيدي، فأنا أعرفه من مشيته.

دون جوان : اريد أن أعرف ما هو، شبحاً كان أو شيطاناً.

(يبدل الشبح فيمثل الزمن وهو يحمل منجلاً في يده).

سغاناريل : أيتها السماء ! أرأيت، يا سيدي، كيف تغير وجهه ؟

دون جوان : لا، لا، لا شيء يستطيع ارهابي واريد أن أتبين بسيفي إذا ما كان جسداً أو روحاً.

(يطير الشبح في الزمن عندما يحاول دون جوان ضربه).

سغاناريل : آه، يا سيدي، استسلم امام هذا القدر من البراهين وتب بسرعة.

دون جوان : لا، لا، مهما يحدث، فلن استطيع التوبة. هيا، اتبعني.

المشهد السادس

التمثال، دون جوان، سفاناريل

التمثال :توقف، يا دون جوان، لقد وعدتني البارحة بتناول العشاء معي.

دون جوان : أجل. الى اين ينبغي الذهاب ؟

التمثال : أعطني يدك.

دون جوان : ها هي.

التمثال : إن التشبث بالخطيئة، يا دون جوان، يُسبِّب موتاً مشؤوماً، ونعم

السماء إذا رفضناها تفتح الطريق أمام صواعقها.

دون جوان : ايتها السماء ! بماذا أشعر ؟ نارٌ خفيةٌ تأكلني .. لم أعد أستطيع

التحمّل .. جسدي كله أصبح جمرًا متوقداً .. آه !

(البرق والرعد يرافقان سقوط الصاعقة. فتشقُّ الأرض والهابة وتخرج منها نار كبيرة في

الموضع الذي سقطت فيه الصاعقة).

سفاناريل : آه، مرتبّي، مرتبّي ! ها إن موته هكذا قد ارضى الجميع : الجميع

مسرورون : السماء التي أهيئت والقوانين التي حُولفت والفتيات المغرَّزُ بهن

والعائلات التي هُيِّكت أعراضها والأهل الذين لَحِقَ بهم العار، والنساء

المضللّات والأزواج الذين فقدوا صبرهم وخارت قواهم كلهم راضون بموته

إلا أنا فقد فقدت مرتبّي ومالي .. ما من تعيسٍ غيري .. مالي مالي مالي.

(تَمَّت)

خَبَاثَاتِ اسْكَابَانَ

أشخاص المسرحية

- أرْكَانْت : والد أوْكَتاف وزرْبينات.
جِرونت : والد لِيَانْدُر وَيَاسَانْت.
أوْكَتاف : ابن أرْكَانْت وحبِيب يَاسَانْت.
لِيَانْدُر : فتاة مِصرِيَّة، ابنة أرْكَانْت، وحبِيب لِيَانْدُر.
يَاسَانْت : ابنة جِرونت وحبِيب أوْكَتاف.
إِسْكَابَان : حبِيب، وخدام لِيَانْدُر.
سِيلْفَاسْتُر : خَادم أوْكَتاف.
نِيرِين : مِرضع يَاسَانْت.
كَارْل : حبِيب آخِر.

الأحداث تجري في نابولي.

الفصل الأول

المشهد الأول

أوكثاف وسيلفاستر.

- أوكثاف : هذا خبر مزعج في نظر شاب عاشق. على أي مشكل أراني مقبلاً ؟
هل حقاً علمت من المرفأ بأن والدي عائد ؟
سيلفاستر : نعم.
- أوكثاف : ويصل في هذا النهار.
سيلفاستر : في هذا اليوم بالذات.
أوكثاف : وهو مصمّم على تزويجي.
سيلفاستر : نعم.
- أوكثاف : بابنة السيد جيرونت ؟
سيلفاستر : أجل بابنة السيد جيرونت.
أوكثاف : التي استدعاها من مدينة تارانت لهذه الغاية ؟
سيلفاستر : نعم، نعم.
- أوكثاف : وانت علمت بهذا النبأ من عمّي ؟
سيلفاستر : نعم من عمك.
أوكثاف : وقد طلبها والدك في رسالته الأخيرة ؟
سيلفاستر : اجل في تحريره الأخير.

أوكثاف : وعمي هذا، على ما بلغني، يدري بكل شؤوننا ؟
سيلفاستر : أجل، أجل، بكل شؤونك.
أوكثاف : هيا اسرد لي كل ما تعرفه، ولا تدعني انتزع من فمك كل كلمة بمفردها.
سيلفاستر : هناك المزيد، وتريد أن أخبرك به ؟ مع أنك مطلع على كل التفاصيل وتذكرها لي واحداً تلو الآخر.
أوكثاف : انصحني على الأقل، وأشر عليّ بما يجمل بي أن أفعل في هذه الظروف الصعبة.
سيلفاستر : اراني مرتبكاً أكثر منك، وانا بحاجة الى الارشاد أكثر ممّا تحتاج انت اليه.
أوكثاف : هذه العودة غير المنتظرة تضايقني وتشلّ تفكيري.
سيلفاستر : وانا منزعج منها أكثر ممّا تتصوره انت.
أوكثاف : عندما يدري والدي بكل هذه الخفايا ستنهال عليّ الملامات والتوبيخات.
سيلفاستر : توبيخاته غير هامة. فأنا أتمنى ان يكتفي بها في مثل وضعي. لكن يبدو اني سأدفع ثمناً أعلى بكثير بسبب تعنته، وأتوقع بوضوح أن هناك ضربة ستنهال عليّ كتفيّ وستهدّ ظهري.
أوكثاف : كيف السبيل الى الخلاص من هذه الورطة ؟
سيلفاستر : هذا ما عليك أن تفكرّ به قبل أن تجرّني انا ايضاً اليها.
أوكثاف : ما أقسى دروسك، وهي في غير محلها.
سيلفاستر : في الحقيقة تخنقني سماجة تصرفاتك الطائشة.
أوكثاف : ماذا يسعني أن أفعل ؟ أي قرار عليّ أن أتخذ ؟ والى اي علاج أبادر لمدواة هذه العلة المباغثة ؟

المشهد الثاني

إسكابان وأوكتاف وسيلفاستر

إسكابان : ما بك، يا سيدي أوكتاف ؟ ما الخبر ؟ ما هذا الاضطراب ؟ اراك في أشد الارتباك.

أوكتاف : آه، يا اسكابان المسكين. لقد هلكت، وانا على شفير اليأس. صدقتي إن قلت لك اني أتعس إنسان في هذه الدنيا.

إسكابان : كيف تقول ذلك ؟

أوكتاف : أولم يبلغك أي خبر عن وضعي ؟

إسكابان : لا.

أوكتاف : والدي يصل اليوم بصحبة السيد جيروننت، وكلاهما مصممان على تزويجي.

إسكابان : وماذا يزعجك في هذا الخبر السار ؟

أوكتاف : آسف لانك لا تدري سبب قلقي.

إسكابان : كلا. وماذا يمنعك من إخباري بذلك ؟ وانت تعرف أي رجل مسالم، يسرني أن أحل مشاكل الشباب بهدوء.

أوكتاف : آه، يا اسكابان. لبتك تستطيع أن تجد لي مخرجاً، لانفاذي من قعر الورطة التي أجد نفسي فيها. فأكون لك شاكراً مدى الحياة. لأنك تخلصني من هلاك محتم.

إسكابان : لا أخفي عنك أي أتوصّل الى حلّ معظم المشاكل، عندما أهتمّ بها جدّياً. لأن السماء حبّتي بمهارة لا تقف في وجهها اية صعوبة، مهما كانت عسيرة. فأنا كما تعرفني، قادر على ابتكار شتى المجاملات والنكات والفكاهات والمناجاة والمغامرات والسمرات التي يسمّيها بعض الناس لياقات أو شعّوذات، والبعض الآخر يدعوا حباثات. ويمكنني القول بدون تبجّح اني من الاشخاص القلائل الذين برعوا في زرع الفتن وحصد الكوارث. وليس في الكون اسرع مني في تطبيق القول المأثور ان مصائب قوم عند قوم فوائد. ولا أتدخل في معضلة لحلّها، إلا وكان لي فيها حصّة الأسد. وبما أن النبوغ لا يُقدّر

اليوم حقّ قدره، تراني دائماً غارقاً في لجة الافلاس.
أوكثاف : كيف يتفق لك ذلك ؟ وأية مشكلة خرجت منها خاسراً ؟
إسكابان : هناك مغامرة اشتبكت فيها أنا والعدالة.
أوكثاف : انت والعدالة ؟
إسكابان : اجل تنازعت انا واياها.
سيلفاستر : تقول انت والعدالة.
إسكابان : نعم، نعم، لأنها قست عليّ، بينما كنت أشكو وأتململ من جور
هذه الايام. فقررت الامتناع عن الاشتراك في أي حلّ. وقضيتي تلك لا توازي
عشر مغامرتك.
أوكثاف : هل تعلم، يا إسكابان، أن والدي والسيد جيرونت ركبا البحر منذ
شهرين للقيام برحلة تجارية بغية انجاز صفقة اشتركا فيها كلاهما.
إسكابان : أنا مطلع عليها.
أوكثاف : وأني انا ولياندر بتنا موضوع إهمال ابويننا، ووضّعنا كلانا تحت
رحمة سوانا، أنا في عهدة سلفاستر، ولياندر تحت إشرافك.
إسكابان : سأقوم بواجبي خير قيام.
أوكثاف : بعد زمن وجيز صادف لياندر صبيّة مصرية، وهام بحبّها.
إسكابان : أعرف ايضاً هذا.
أوكثاف : انت تدري كم هي متينة صداقتنا انا ولياندر. لذا إئتمني على سرّ
حبه ورافقه لمقابلة تلك الفتاة التي وجدتها حقاً جميلة، ولكن ليس بمقدار ما
أظن بوصفها لي. فلقد راح يكلمني عنها كل يوم مراراً، ويبلغ في تعداد
تفاصيل حسننها، ويمتدح لي ذكاءها، ويتغنّى بسحر عينيها، وينعتها بأحلى
الأوصاف، ويردّد علي عباراتها الرصينة، ويحاول ان يقنعني بأن كلامها أبلغ ما
قيل في الدنيا. وكان يعاتبني أحياناً اذا لم أظهر له استحساني لما يكرره على
مسامعي، ويلومني على قلة اكرائي، اذا لم تبرق عيناى طرباً لما يزيّنه لي من
أحاديث الهوى وشجون الشوق والهيام.
إسكابان : لم افهم بعد الى اين تريد ان تصل بي في هذا الميدان الفسيح.
أوكثاف : ذات يوم رافقه الى زيارة بعض الأصحاب. وكانت هناك الفتاة التي

يبنى عليها آماله واحلامه. فسمعنا في أحد البيوت المنفردة، وسط شارع منعزل، صوت أنين ممزوج بسيل من شهيق البكاء والتأوه. فسألنا عن السبب. فأجابتنا امرأة صعدت الزفرات، ان هناك اشخاصاً غرباء يستدعون الشفقة والرثاء لحالهم، إلا اذا لم يبق في الدنيا من شعور انساني.

إسكابان : الى اين يقودنا هذا الحديث ؟

أوكثاف : عندئذ دفعني حب الاستطلاع الى الطلب من لياندر بالحاح أن نرى ما الخير ؟ فدخلنا قاعة مهملة، وجدنا في احدى زواياها امرأة عجوزاً تنازع، والى جانبها خادمة تداريها وتتحسر عليها، وبقربها صبيرة تزرف الدموع، عليها مسحة من الجمال ربما كان اروع ما يمكن أن يشاهده إنسان في الدنيا.

إسكابان : ها، ها.

أوكثاف : أؤكد لك ان فتاةً غيرها في مثل بؤسها كانت بدت كامدة الملامح، لانها لم تكن مرتدية سوى ثوب قاتم قبيح المنظر وصدرة مصنوعة من نسيج خشن، وعلى رأسها قبعة صفراء مشمورة الجوانب تتدلّى منها خصل شعرها المشعث وتبعثر على كتفها. ومع ذلك كانت مشرقة المحيا كنور الصباح، تجتذب الانظار إعجاباً، كأنها أطف مخلوقة على وجه الأرض.

إسكابان : ها قد بدأت أدرك خفايا الأمور.

أوكثاف : لقد أبصرتها، يا اسكابان، في وضع بسيط أثبت لي انها حقاً رائعة. إسكابان : انا لا اشك بصدق كلامك. وبدون أن أراها، أجد أنها فعلاً احلى الصبايا جميعاً.

أوكثاف : ودموعها لم تكن ابداً مدعاةً للإشمئزاز منها بسبب كآبة سحتها، بل بالعكس كانت، وهي تبكي، تسحر الالباب وتستدرّ العطف والاعجاب، إذ كانت تسميها بمعالم اللطف والنعومة والأنوثة الجذابة.

إسكابان : ها أنا ايضاً ألمح رقبتها تماماً كما شاهدتها انت.

أوكثاف : وكان منظرها يحمل على مشاركتها النحيب وهي منحنية على تلك العجوز المنازعة التي كانت تدعوها « أميتمتي العزيزة ». وليس في الكون من إنسان لا ينقبض قلبه ويضيق صدره لمراى هذا المشهد الحزين.

إسكابان : حقيقةً، أَحْسَسْتُ بما شعرتِ انتِ به من الانجذاب إليها، ويثُ استلطفها مثلك.

أوكُتاف : في الواقع، يا اسكابان، لا سبيل الى مقاومة سحر عينيها الذي يستميل اقصى المُهَج.

إسكابان : لا شكّ عندي في ما تقول. لان قلبي نظير فؤادك عطوف، وليس مقدوداً من الصخر الأصمّ.

أوكُتاف : وبعد تبادلِي وإياها بعض الحديث الرقيق، حاولت أن أخفّف من آلامها، واهوّن عليها فجيعتها. خرجت أنا ولياندر من ذلك المكان الكئيب، وسألته رأيه في تلك الفتاة الجذّابة. فأجابني ببرود أنه يجدها مقبولةً لا بأس بها. فأزعجني ما أبداه من فتور حيالها، وما لمستَه في ردّه من برود. لكنني لم أشكف له شدة استغرابي من موقفه الجامد بالنسبة الى ما شعرت به انا من إعجاب ببساطتها ومن حماس وتقدير لبهاء طلعتها.

سيلفاستز (لأوكُتاف) : ما رأيك في تأجيل سردك لي باقي قصّتك وإياها حتى يوم الغد؟ فأكون لك من الشاكرين. دعني أختتم حديثي بكلمتين. (لإسكابان) : ألمس لمس اليد أن فؤاده وقع اسير هوى هذه الصبيّة المسكينة. لأن زيارته المتكرّرة لم تُلَقَ اية لفتةٍ من قِبَل الخادمة التي اصبحت رفيقة الصبيّة بعد وفاة والدتها. وهذا ما غمر بالقنوط صدر صاحبنا الولهان. ومهما حاول ان يلحّ عليها ويتوسّل إليها ويستعطفها، لم تنجح جميع الوسائل في تليين موقفها الحازم تجاهه. وقيل له إن هذه الفتاة، وان كانت بلا مال ولا سند، هي من اسرة شريفة، ولن تنفع في استمالتها كافّة الإلحاحات والتوسّلات، إلّا اذا عمد الى وسيلة واحدة فعّالة، هي شدّها اليه بوثاق الزواج. فضاغف ذلك رغبته في ثيل رضاها وكسب عطفها، لأنه ممن تزيدهم الصعوبات في غرامها تعلقاً وتشبثاً وشوقاً الى امتلاك مهجتها والتمتع بعذوبة ألطافها. ففكّر ملياً ووازن بين حسناتها وسيئاتها، وسرعان ما اتخذ قراره النهائي، ألا وهو الاقتران بها مهما كلفه الأمر. وها قد مضت عليه ثلاثة أيام، وهو ينعم بروعة جمالها كرفيقة حياته وشريكة عمره.

إسكابان : استوعبتُ تماماً ما شئتُ أن تسرده لي من قصة غرامه.

سيلفاستر : أضف الى ذلك عودة ابيه غير المنتظرة الآن، لأنه كان ينوي أن يأتي بعد شهرين. وها قد اكتشف عمه سرّ زواجه هذا، وقارنه بالزفاف الآخر الذي كان يُخطط له الى ابنة السيد جيرونت، وكانت قد أنجبتها له زوجة ثانية، يقال انه اقترن بها في مدينة تارانت.

أوكثاف : وفوق كل ما سبق ذكره، لا يغربّ عن بالك فقر الصبيّة المسكينة الجميلة، وعدم قدرتي على مساعدتهما نظراً الى هزال احوالي المالية.

إسكابان : أعتقد أن هذا هو صُلب المشكلة. وها أنتما كلاكما رهيتا مسألة تافهة. هل تجد ان الامر يستحقّ كل هذا الارتباك والاضطراب ؟ الا تستحي من نفسك أن تكون قاصراً خيال موقف بسيط كهذا ؟ انت بطولك وعرضك، ودهائك وذكائك، لا تجد وسيلة ولا سيلاً الى مساعدة هذا الشاب المسكين على تسوية وضعه ؟ تَبّاً لك من قليل الحيلة. لو كنت أنا مكانك لوجدت حتماً طريقة لتبديل هذا القلق والهَمّ بانفراج واسع النطاق. أجل، عندما كنت صغير السنّ ما عييت عن ابتكار ألف حيلة للوصول الى غايتي المنشودة.

سيلفاستر : أنا لا أنكر ان حظي لم يزوّدي بمواهبك الغزيرة، واني لا اصل الى عشرّ ما تتمتع به من القدرة على تدبير الامور وحلّ أعسر العقّد بدون مخالفة أيّ من قوانين الحق والعدالة.

أوكثاف : ها قد اقبلت حبيبتى ياسانت.

المشهد الثالث

ياسانت واوكثاف واسكابان وسيلفاستر.

ياسانت : يا اوكثاف، هل هو صحيح ما قاله سيلفاستر لنيرين عن عودة ابيك، وعن رغبته في تزويجك.

أوكثاف : أجل، يا عزيزتي ياسانت الحلوة. وهذا النبأ يشغل بالي ويقضّ مضجعي. لكن ماذا ارى ؟ لماذا تبكين ؟ لماذا تسيل الدموع على خديك ؟

هل تشكّين بأمانتي وإخلاصي ؟ هل تظنّين بي سوءاً أولستِ مرتاحةً الى زواجنا ومؤمنةً بصفاء ما احفظه لك من الحب الصادق ؟
ياسائت : اجل يا اكتاف، أنا واثقة كل الثقة بأنك تهواني. ولكن غير مؤمنة بدوام حبك لي طوال العمر.

أوكتاف : وهل يسعني أن أحبك، وأن لا يدوم هيامي بك طوال الحياة ؟
ياسائت : لقد سمعت، يا اوكتاف، أن عشق الرجال لا يدوم بقدر ما يطول عمر الحب في قلوب النساء، وان حماس الرجل في فاتحة عهد غرامه لا تلبث جذوته ان تخمد بسرعة.

أوكتاف : لا، يا عزيزتي ياسانت، فؤادي ليس كسائر قلوب الرجال. لأنني أحسّ في أعماقي بأنني لن انقطع ابداً عن التدلّه بحبك، وسأظلّ أهواك حتى بعد ان يضمّني القبر.

ياسائت : أنا أريد أن أصدّق ما تردّده عليّ من معسول الكلام وتأكيد عهودك لي. لكنني أخشى أن يتغلّب يوماً على عواطفك ما أخشى أن يكون اقوى من الحب الذي يملأ الآن صدرك، وهو إصرار والدك الذي يريد أن يزوّجك فتاة غيري. كن على يقين بأنني سأموت إن رأيتك تميل الى سواي، وحلول ذلك سيكون الكارثة القاتلة.

أوكتاف : لا، لا، يا حلوتي ياسانت. لن يتوصّل ابي الى تحقيق رغبته هذه، ولن يتمكّن من فصلني عنك وتحويل هيامي الى امرأة سواك. فأنا مستعد أن أهجر معك هذه البلاد اذا ألحّ ابي على تحقيق حلمه بزفّي الى غيرك. لقد بتّ اكره هذه الفكرة، وأجنّد الآن جميع طاقتي لمحاربتها وتفشيها. حتى إن لم أكنّ شرير الطباع، وقلبي غير مقدود من الصخر الجلمود، لن أصغي الى صوت أي شخص في الدنيا يريد إبعادي عنك. فلا تبكي، بل كفكفي دمعك، يا حبيبتي ياسانت. لأن دموعك كالحراب تطعن فؤادي الذي لا يحيا إلا بما تحيطيني به من عطفك وحنانك.

ياسائت : بما أنك تطلب مني أن أمسح دموعي، ها أنا استجيب طلبك راضية ولتفعل السماء بحبّنا ما تشاء.
أوكتاف : ثقّي بأنها لن تحجب عنا السعادة والهناء.

ياسانت : سأكون دائماً بخير اذا بقيت اميناً متشبثاً بهوانا.
 أوكتاف : سأظلّ عند حسن ظنّك بي ما دام قلبي ينبض بالحياة.
 ياسانت : ستغمر الطمأنينة كل أيامي في ظل رعايتك ومحبتك.
 إسكابان (على حدة) : لعمرى، أجدها ذكية سديدة التفكير.
 أوكتاف (يشير الى إسكابان) : هذا الرجل، اذا اراد، سيكون لنا عوناً قديراً
 على تأمين جميع حاجاتنا عند الاقتضاء.
 إسكابان : لقد اقسمت يميناً مغلظة أن لا أتدخل في أمور سواي. لكن اذا
 سألتماني انتما الاثنان أن اساعدكما، ربما ...
 أوكتاف : اذا كنت تكثفي بأن نرجوك كي تساعدنا، فحبّذا لو ترضى ان تمدّ
 لنا يد العون لحلّ مشاكلنا عند اللزوم.
 إسكابان (لياسانت) : وانت لم اسمعك تتلفّظين بكلمة واحدة.
 ياسانت : ألتمس منك أن تعيننا مثلاً على إبقاء حبنا متأججاً بين ضلوعنا.
 أوكتاف : هل تعتقدين ...
 إسكابان (لأوكتاف) : أصمت. (لياسانت) : ثقي بي، وكوني مطمئنة البال.
 (لاوكتاف) : كن على استعداد للمحافظة على حزمك أولاً تجاه ابيك.
 أوكتاف : لا أخفي عنك أن هذه القضية تُرعد فرائصي منذ الآن. لأنني اخشى
 أن أئين بسبب الحياء الطبيعي الذي يتغلب عليّ عادة.
 إسكابان : مع ذلك لا بدّ لك من أن تكون رابط الجأش لدى أوّل صدام، لئلا
 يغدر بك ضعفك وتخسر معركتك بتصرفك كالصبيان الصغار. عليك أن
 تتمالك نفسك وتستجمع كل شجاعتك ورباطة جأشك لتجابه أي ضغط
 يمارس عليك، وتقف كالسنديانة الصلبة في وجه رياح المعارضة التي تهبّ
 عليك.
 أوكتاف : سأفعل كل ما بوسعي في هذا السبيل.
 إسكابان : تعالٍ نجرّب، لنعرف كيف يكون صمودك. راجع دورك في هذه
 الرواية الحاسمة ولنرى ما يكون من أمرك. كن صارم الملامح، عالي الجبين،
 ثابت الجنان.
 أوكتاف : هكذا ؟

إسكابان : بل أشد قليلاً.

أوكتاف : أبهذا المقدار ؟

إسكابان : حسن. تصوّر أني والدك القادم من السفر، وأجيني بحزم. علي أسئلتني كما ستردّ عليه عند الاقتضاء. « كيف تسمح لنفسك، يا شقي، يا عقوق، يا ايها الابن الذي لا يستحق أن أكون لك والدًا، كيف تتجاسر علي الوقوف أمامي، بعد تصرّفك الغبي الخسيس اثناء غيابي. هل هكذا تكافئ اتعابي وسهري علي تربيّتك ؟ اين الاحترام والإعتبار المتوجّب عليك نحو أبيك ؟ لا يسعني أن اصدّق انك ارتبطت سرّاً واقترنت بفتاة لا أرضي بها أنا والدك. أجيني ايها الغبي الوقح، أجيني ايها الاحمق المغرور. لماذا خرجت علي طاعتي. لماذا ؟ لماذا تظّل هكذا صامتاً لا تردّ علي اسئلتني ؟.

أوكتاف : لا اريد ان اجيب بخشونة علي ما تطرحه عليّ من اسئلة، يا ابي. إسكابان : نعم، كان عليك، يا جبان، ان لا تغتتم فرصة غيابي وتُقدم علي هذه الفعلة الشنيعة.

أوكتاف : لا أحبّ عليّ من إتخاذ قراري بنفسي، ومن إجابتك بحزم.

إسكابان : طبعاً هذا ما أطلبه منك.

أوكتاف : بدون شكّ.

سيلفاستّر : ها هوذا والدك قد أقبل.

أوكتاف (وهو يهرب) : يا إلهي. لقد هلكت لا محالة.

إسكابان : يا اوكتاف، ماذا دهاك ؟ قف، يا اوكتاف. هيا قف وعُد. لماذا تهرب ؟ ما أجبنك، يا احطّ الرجال. لا تدعّ أباك الشيخ ينتظر رجوعك بفارغ الصبر.

سيلفاستّر : وماذا اقول له ؟

إسكابان : أتركني، أنا اردّ عليه، وأنت اتّبع خطّتي.

المشهد الرابع

أزكائت، وإسكابان، وسيلفاستر.

- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : هل كلّهم أحد في قضية مماثلة ؟
إسكابان : لقد إطلع على المسألة، وأطاشت صوابه الى درجة جعلته يتحدث وحده بصوت عالٍ .
- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : هذه جسارة منقطعة النظير.
إسكابان : لنستمع اليه قليلاً.
- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : كم أودّ أن أعرف بماذا يمكنه أن يعتذر لي في موضوع هذا الزواج الموفّق الذي أهيبّه له.
إسكابان (على حدة) : انا فكّرت في هذا الأمر.
- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : وهل يحاول أن ينكر ما حدث ؟
إسكابان : كلّاً. لم أفكر بذلك.
- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : أو إنه سيهتدي الى حجّة ستكون واهية ؟
إسكابان : هذا غير مستبعد.
- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : وهل يسرّه أن يقصّ علي حكاية خيالية ؟
إسكابان : ربّما.
- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : كل أعذاره ستظلّ غير مجدّية.
إسكابان : سنرى إن كان ذلك صحيحاً.
- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : لن يستطيع خداعي أو إقناعي.
إسكابان : لا سبيل الى تأكيد هذا.
- أزكائت (يظنّ نفسه وحيداً) : سأوسع سيلفاستر ضرباً مؤلماً.
سيلفاستر (لاسكابان) : كانت الدهشة استولت عليّ، لو تغافل عن وجودي.
- أزكائت (يلمح سيلفاستر) : ها، ها. أنت هنا، أيها المستشار القانوني، يا مرشد الشبان، يا سديد الرأي وبلغ البيان.
إسكابان : يسرني ان اراك قد عدت.
- أزكائت : نهارك سعيد، يا اسكابان. (لسيلفاستر) : اراك نفذت اوامري حرفياً

- بصورة مُثلى. لذا تصرّف ابني حسب نصيحتك بطريقة حكيمة اثناء غيابي.
- إسكابان : اجدك تتمتع بصحة جيدة، يا سيدي.
- أزكائت : لا بأس، والحمد لله. (لسلفاستر) : لا أسمعك تتلفظ بكلمة، أيها المحتال.
- إسكابان : اعتقد أن رحلتك كانت موفقة.
- أزكائت : على قدر الإمكان، والحمد لله. دعني أباشر المشاجرة برواق.
- إسكابان : هل تريد أن تشاجر ؟
- أزكائت : اجل أريد أن أشاجر جدّياً.
- إسكابان : تشاجر من، يا سيدي ؟
- أزكائت (يشير الى سيلفاستر) : هذا الغبي الأحمق.
- إسكابان : ولماذا ؟
- أزكائت : ألم تعلم بما أقدم عليه اثناء غيابي ؟
- إسكابان : أجل دريت بحدوث أمر بسيط.
- أزكائت : كيف تدعو ذلك امراً بسيطاً، وهو في الواقع تصرّف خطير ؟
- إسكابان : ربما كان بعض الحق الى جانبك.
- أزكائت : أتتكلم بمثل هذه الجسارة ؟
- إسكابان : هذا صحيح. لماذا لا ؟
- أزكائت : ابني يتزوج بدون موافقتي أنا والده ؟
- إسكابان : طبعاً، لا بأس من النقاش في مثل هذه القضية. لكن يجعل بك أن لا تثير حوله ضجّة مزعجة.
- أزكائت : انا لا ارى هذا الرأي، وأصّر على اثاره ضجة مدوّية، بكل ما أوتيت من قوة. ألا تجد أنني على حق في صبّ جام غضبي على جميع من سعوا الى معاكستي ومشاكستي ؟
- إسكابان : لو كنت انا مكانك، وعلمت بأن الأمر قد قُضي، لكنت افعلت المعركة وخصمت الذي أظهره نحوك هو الذي كان عليه أن يقبل يديك، ويلتمس رضاك حتماً. ولكنك وجّهت اليه كلاماً لا يقلّ عنفاً عما خاطبته به أنت والده وعلة وجوده. لكني تبصّرت وترثت ونظرت إلى المأساة بعمق

ورويّة، لأنه في الحقيقة ليس مخطئاً تماماً كما تتصوره أنت.
 أُرْكَائتُ : ما هذه البدعة الصبائية التي تُظالمني بها ؟ تقول أنه ليس مخطئاً في
 اقتترانه بفتاة مجهولة ؟ انا لا أجد أسخف من تصرفه الطائش بمثل هذه
 الحماقة.

إِسْكَابان : وهل تلومه اذا ساقته ظروفه الى مصيره هذا المحتوم ؟ لأن ما
 كتب على الجبين، كما تقول الأغنية، لا بد من ان تراه العين.
 أُرْكَائتُ : هذا منطوق مضحك حقاً. ما هذه الحجة الواهية ؟ إن طبّقنا فكرتك
 نرتكب أفظع الجرائم والحماقات، ونغشّ، ونسرق، ونقتل، ويكون عذرنا انا
 منساقون وراء مصيرنا المحتوم، كما تدّعي.

إِسْكَابان : يا الهي. كيف تحمل كلامي على محمل هذه الفلسفة العرجاء. أنا
 لا اجد له عذراً بل أعزّي تصرفه الى قدره الذي دفعه الى هذه النتيجة التي
 ارتضاها.

أُرْكَائتُ : ولماذا يستسلم الى قدره، اذا كان سيودي به الى هذا العمل
 الشاذّ ؟

إِسْكَابان : وهل تطلب من ولدك الشاب أن يكون حكيماً مثلك، وقد بلغت
 أنت درجة متقدّمة في النضوج والتروي ؟ هل نسيت أن الصبّا بعيد كل البعد
 عن التحفّظ والتبصّر والتقيّد بالمنطق السليم ؟ والشاهد على ذلك لياندر الذي
 رغم كل التنبيهات والتحذيرات أقدم على تصرّف أغرب مما أتاه ابنك. آه،
 كم أودّ أن أعرف لو كنت أنت لا تزال شاباً في مثل وضعه إن كنت لا تحذو
 حذوه وتنقاد الى العوامل ذاتها التي شدّته الى مصيره المقبول.

أُرْكَائتُ : ربما كان هذا في الواقع صحيحاً. ولكنني كنت اكتفيت بمغامرة
 طفيفة وما غُصتُ نظيره في بحر أهوائه التي اوقعته في هذا الشرك المهلك.
 إسْكَابان : وكيف تريد منه أن يتصرّف عندما يشاهد صبيرة حسناء لا تتمنى له
 إلّا الخير والهناء. وهو نظيرك قد ورث عنك حب الحسان الفاتنات. فوجدها
 رائعة وثابر على زيارتها، ووجّه اليها حلول الكلام، وتبادلا المناجاة التي تروي
 غليل اشواقه وعواطفه وتستجيب امانيه وأحلامه الزاهية. وهي من جهتها
 انجذبت الى سحر شبابه ووعوده البرّاقة، ولم يقف كلاهما عند حدّ اللياقات،

ففوجئ بإلحاح ذويها الذين اجبروه على الإقتران بها.
سيلفاستُر (على حدة) : ما ادعاه من خبيث محتال.
إسكابان : فهل كنت تفضّل والحالة هذه أن يتعرّض ابنك للقتل، أو كم يتدارك التهديد بهذا الحلّ الواجب. أولاً ترى معي ان زواجه هذا خير من فقدانه، لا سمح الله.

أزكائت : لم يشّر لي احد أن المعضلة وصلت الى هذا الحدّ من التعقيد.
إسكابان (يشير الى سيلفاستر) : إنسأله فيها هو الآن أمامك، ولن يُنكر اقوالي.
أزكائت (لسيلفاستر) : اذا أُجبر إبنني على هذا الزواج إجباراً؟
سيلفاستُر : أجل، يا سيدي.

إسكابان : وما هي مصلحتي في ان اكذب عليك ؟
أزكائت : عليه الآن اذاً أن يبادر ويحتجّ رسمياً على هذا العنف الذي راح ضحيته.

إسكابان : وهذا ما لم ولن يقبل بأن يفعله.

أزكائت : لكنه سبّب شرعي لفسخ الزواج.

إسكابان : تريد منه أن يفسخ زواجه ؟

أزكائت : نعم، نعم.

إسكابان : لا سبيل الى فسخه أبداً.

أزكائت : كيف لا ؟

إسكابان : لا سبيل بتاتاً.

أزكائت : ماذا تقول ؟ أوليس هناك من حقوق ؟ أين رضى الوالد ؟ وأين حق

المنطق السليم، عندما يمارس مثل هذا الضغط والعنف والتهديد على ولدي

لإجباره على هذا الزواج السخيف ؟

إسكابان : ابنك لا ينظر الى الأمر نظرتك انت.

أزكائت : ولماذا ؟ ما هي حجّته ؟

إسكابان : يكفي أن يكون رأيه مخالفاً لرأيك، وهو حرّ التصرف.

أزكائت : هل يخالفني ولدي في الرأي ؟

إسكابان : اجل. هل تريد أن يعترف لك بأنه لم يقوَ على مجابهة الواقع خشية

عواقبه الوخيمة. فأثر الصمت، وقيل راضياً ما آل اليه مصيره، على أن يفتح باب الفضائح والمهاترات على مصراعيه. ولكن آنذاك مرّغ سمعته، وبالتالي سمعتك أنت والده، بأو حال الاستهتار والرعونة.

أزكائت : هذا لا يهمني كثيراً.

إسكابان : أولاً تجد ان المحافظة على شرفه وعلى شرفك أيضاً تقتضي ان لا يدع سمعته وسمعتك انت ايضاً تلوكهما اللسنة الطويلة الزلقة ؟ لكنه تروى وفضل ان يتم زواجه هذا، وان يصون صيته الطيب بقران اضطراري، يقوم على الرضوخ للأمر الواقع.

أزكائت : انا لا ارى هذا الرأي مطلقاً، وأجد أن سلامة شرفه وشرفي توجب عليه إعلان العكس تماماً.

إسكابان : لا، لا. أنا على يقين بأنه لن يفعل ذلك. لأنه ليس من صالحه، كما قلت لك.

أزكائت : انا اجبره على الإنصياع لهذا الحلّ.

إسكابان : وانا أوكد لك وأكرر أنه لن يفعل.

أزكائت : سينفذ ما أريد، وإلا حرمته من الميراث.

إسكابان : أنت تحرمه ؟

أزكائت : اجل، أنا ...

إسكابان : طيب.

أزكائت : ما معنى طيب.

إسكابان : انا على أتمّ الثقة بأنك لن تحرم ولدك من حقوقه.

أزكائت : ولماذا لا أحرم إبني، اذا لم يطاوعني ؟

إسكابان : لن تحرمه.

أزكائت : سنرى إن كنت سأحرمه أو لا.

إسكابان : أجل لن تحرمه.

أزكائت : هذا خبر مضحك. ولماذا لا أحرم ولدي، اذا خرج على طاعتي ؟

إسكابان : اكرّر عليك انك لن تحرمه.

أزكائت : ومن يمنعني عن عمل ما أشاء ؟

إسكابان : انت نفسك.
أزكائت : أنا ؟
إسكابان : انت، نعم، انت. لأن قلبك الأبوي لن يصل بك الى هذه القسوة.
أزكائت : بل سيصل بي، فأنا أتمكن من التحكّم به.
إسكابان : هل تهزأ بنا ؟
أزكائت : انا لا اسخر ابداً من أحد.
إسكابان : حنّوك الوالدي سيحوّل دون تنفيذك هذا التهديد. والوعيد.
أزكائت : عندما تجري الأمور على غير ما أروم، لن يؤخرني اي مانع.
إسكابان : هذا قول لن تتقيّد به مطلقاً.
أزكائت : بل انا الذي أقول وأفعل.
إسكابان : هذا الكلام تتلفّظ به شفتاك، ولن يرضى قلبك المحب بتنفيذه.
أزكائت : هذه حجة واهية لا تقنعني.
إسكابان : يا الهي. أنا أعرف حنّوك، وأثق بطيبة قلبك وحبك لإبنك.
أزكائت : انا لست طيب القلب ولا رقيق العواطف، بل انا لكيم متي شئت، لا سيما عندما يستفزّني العقوق والجُحود. لنقف عند هذا من نقاشنا العقيم الذي يضيق له صدري ويتليني بالعلل. (يوجّه كلامه الى سيلفاستر) : أغرب عن وجهي ايها الجاحد، واذهب لاستدعاء ولدي، بينما أنا أوافي السيد جيرونت لأحدّثه عن خيبة املي.
إسكابان : اذا استطعت أن أفيدك في أمر من الأمور، لا تتردّد في طلبني، فأحضر فوراً بكل سرور لتلبية رغبتك.
أزكائت : أشكرك. (على حدة) : آه ! لماذا أصبح ولدي وحيد. كم آسف على فقدان ابنتي التي كنت جعلتها في هذه الحالة وريثتي الوحيدة.

المشهد الخامس

اسكابان وسيلفاستر

سيلفاستُر: انا أُقرُّ بأنك رجل عظيم. وها هي قضيتك تسير في الدرب الصحيح. لكن المال من جهة اخرى يستعجلنا للبتِّ في القضية. لأن الدائنين يلاحقوننا من كل حدب وصوب.

إسكابان: دعني اتصرّف، فقد وجدت الحلّ المناسب. والآن لنبحث عن رجل يساعدنا على بلوغ مرامنا، ويقوم بدور الشخص الذي نحتاج اليه. انتظر قليلاً، وتمالك اعصابك. أنزل قبعتك على عينيك كأنك صعلوك حقير، وتظاهر بالخوف والحذر، وانقل خطواتك بتمهّل كأنك ملك المتشرّدين تنهادى على خشبة المسرح. أجل، هكذا. ثم اتبعني. فأنا ماهر في تمويه معالم وجهك وصوتك، وإخفاء شخصيتك الحقيقية. ولن يعرفك أحد ممّن يقع نظرهـم عليك.

سيلفاستُر: أرجوك أن لا توقعني في قبضة العدالة. إسكابان: لا تقلق. فكلانا نتقاسم المسؤولية معاً. وثلاث سنوات في السجن اكثر أو أقل، لن تؤثر على رغبتنا في التخلص من هذه الورطة.

الفصل الثاني

المشهد الأول

حيرونت واركانت.

جيرونت : اجل، في هذا الوقت العسير سيحضر أصحابنا اليوم الى هنا، وبرفتهم بجرار من مرفأ تارانت أكد لي انه أبصر الرجل الذي ننتظره، يتأهب لركوب السفينة. لكن ابنتي ستصل قريباً عندما تبلغ الفوضى أشدها، خلافاً لما نترقبه. وما اخبرتني به أنت عن ابنك يقلب ترتيب التدابير التي اتخذناها سوية رأساً على عقب.

أركانت : لا تزعج نفسك، ولا تضطرب. انا مستعد وقادر أن اذلل هذه الصعوبات. وأوشك ان أحقق النجاح في مساعي.

جيرونت : حقاً، يا سيدي اركانت، لست ادري ما اقول لك. فإن تربية الأولاد مسألة دقيقة لا تحتمل أن يتهاون الأهل فيها.

أركانت : طبعاً، بدون شك. ولكن، لماذا تذكر لي ذلك ؟

جيرونت : لأن تصرف الأولاد غير اللائق ينجم في أغلب الأحيان عن تربية الأبوين غير الصالحة.

أركانت : قد يحدث ذلك في بعض الأحيان. ولكن ماذا تقصد بهذا التلميح.

جيرونت : ما اقصده ...

أركانت : نعم.

جيروئت : لو كنت أباً حازماً محتكاً وقومت اعوجاج ولدك، لما كان خيب رجاءك بما لم يتورّع عن الأقدام عليه.

أزكأئت : حسن. وهذا يدلّ على أنك أنت ربّيت ابنك تربية صالحة.

جيروئت : بدون شك، ولن أسامحه أبداً لو تصرّف على هذا النحو غير اللائق.

أزكأئت : وإذا أقدم ولدك، الذي ربّيته كما يجب، على عمل اسوأ مما

فعله ابني انا، ماذا يكون موقفك ؟

جيروئت : ماذا تقول ؟

أزكأئت : أجل، ماذا يكون موقفك عندئذٍ ؟

جيروئت : ماذا تعني بكلامك هذا ؟

أزكأئت : هذا يعني، يا سيدي جيروئت، أن الأجدر بك أن لا تحكم بهذه

القساوة على الآخرين، وان من يودّ الانتقاد عليه قبلاً أن يتفحص ما يجري

حوله من خلل، وأن لا يرشق جاره بالحجارة عندما يكون بيته من زجاج.

جيروئت : أنا لا أفهم ماذا تقصد ؟

أزكأئت : سأشرح لك ذلك بالتفصيل.

جيروئت : هل بلغك عن إبني ما يشغل البال ؟

أزكأئت : ربما. فالقضية لا تخلو من الاحتمالات.

جيروئت : ارجوك أن تبين لي ما هو مرامك بالتمام ؟

أزكأئت : صاحبك اسكابان لم يسرد لي القصة الآ باختصار. ويمكنك أن

تطلع منه او من سواه على بعض التفاصيل. بالنسبة اليّ سأبادر الى استشارة

المحامي، واستفهم منه عن الاجراءات التي يجب أن أقوم بها على سبيل

الإحتياط. فالى اللقاء.

المشهد الثاني

لياندر وجيرون.

جيرونت (وحده) : ما عسى أن تكون هذه المشكلة في الحقيقة ؟ هل هي اسوأ من معضلته ؟ انا لا ارى أن ما يحصل قد يكون اسوأ مما جرى. وأجد ان زواج الإبن بدون موافقة ابيه تتعدى كل ما يجوز أن نتصوره من حماقات. الآن وقد جئت ...

لياندر (يبادر اليه كي يعانقه) : ما أعظم سروري بقدمك، يا ابي.

جيرونت (يرفض معانقته) : مهلاً. لتتكلّم أولاً عما حصل.

لياندر : دعني اقبلك أولاً ثم ...

جيرونت (يبعده عن صدره) : مهلاً، قلت لك مهلاً.

لياندر : ماذا ارى ؟ هل ترفض معانقتي، يا ابي، ولا تريد ان أبدي لك شوقي

ومحبتني بمعانقتك ؟

جيرونت : نعم ... امامنا مشكلة لا بد لنا من أن نعالجها ونجد لها حلاً.

لياندر : وما هي ؟

جيرونت : قف منتصب القامة جيداً، كي اتفحصك.

لياندر : لماذا تطلب مني ذلك ؟

جيرونت : أريد أن أنظر ملياً الى عينيك.

لياندر : هيّا أنظر كما تشاء.

جيرونت : قل لي بصراحة، ماذا حدث لك هنا ؟

لياندر : ماذا حدث لي ؟

جيرونت : ماذا فعلت أثناء غيابي ؟

لياندر : وماذا تريد أن أفعل، يا ابي ؟

جيرونت : انا غير موافق بتاتاً على ما فعلته أنت، واستفسر عما قمت به بدون

علمي.

لياندر : أنا ؟ لم أفعل قط ما لا يرضيك أو تتذمّر منه.

جيرونت : ألم تُقدّم على أي عمل ؟

لياندر : كلا.

جيروئت : هل أنت صادق في ما تؤكده لي ؟

لياندر : أنا واثق بأنني بريء لم اقترف ذنباً يزعم أياً كان.

جيروئت : مع أن اسكابان روى لي عنك بعض الانحرافات.

لياندر : إسكابان ؟

جيروئت : ماذا دهاك حتى احمرّ خدّاك لدى ذكر اسمه ؟

لياندر : هل أعلمك ببعض أخباري ؟

جيروئت : هذا المكان غير ملائم ولا يصلح لفتح موضوعك ومناقشته. علينا

أن نتقل الى زاوية اخرى انسب منها. والأفضل ان نمضي الى المنزل. اسبقني

وانا أوافيك بعد هنيهة. هل يسرّك ان تلوّث سمعتي، يا حقير ؟ لن أتردّد في

انكار اني ابوك، يا ايها الأحمق. هيّا أغرب عن وجهي الى الأبد.

المشهد الثالث

اوكتاف واسكابان ولياندر.

لياندر (وحده) : هل خان الغادر عهدي. يا له من ثرثار. كان عليّ أن أخفي

عنه حقيقة ما جرى، ولا أأتمنه على سرّي كي لا ييوح به لأبي. أقسم بأنني لن

أترك خيانتته هذه بدون عقاب.

أوكتاف : يا عزيزي اسكابان، كم أنا مدين لك بأفضالك عليّ. انت فعلاً

رجل وفّي وتستحق كل الاعجاب والتقدير. فقد ارسلتك العناية الالهية

لمساعدتي.

لياندر : ها أنت قد جئت في الوقت الملائم، وانا مسرور جداً بمشاهدتك،

أيها السيد الدجال.

إسكابان : يكفيني شرفاً ان أكون خادمك الأمين المطيع، يا سيدي المفضل.

لياندر (يستل سيفه) : ما لي اراك تظهر لي لؤمك على هذا النحو ؟ سأعلمك

كيف ...

أوكتاف (يقف بينهما، ويمتد لياندر من أن يضرب اسكابان) : ارجوك، يا لياندر.
لياندر : لا، لا. انا ارجوك أن لا تتدخل في الأمر، يا اوكتاف، ولا تمنعني من
تأديب هذا الخبيث.

إسكابان (للياندر) : رحماك، يا سيدي.

أوكتاف (للياندر) : ألتمس منك أن تصغي اليّ.

لياندر (يهّم بضرب اسكابان) : دعني اشفي غليلي بضرب هذا المحتال.

أوكتاف : اكراماً لصداقتنا الحميمة، ارجوك أن لا تسيء معاملته.

لياندر (يهّم بضرب اسكابان) : ألم تفعل ما يزعجني، يا محتال ؟

أوكتاف (يمنع من الضرب) : تمهّل، يا لياندر، إكراماً لي.

لياندر : أصّر، يا اوكتاف، على ان يعترف لي الآن بما رواه لأبي من أقوال
كان الأجدد به أن يدفنها في أعماق صدره. أجل، لقد فضحني لدى والذي
وأطلعته على ما لا أريد أن يعلمه. وقد بلغني كل ما كشفه هذا الخائن لأبي من
اسراري التي كنت احرص على أن لا يعرفها والذي. وأنا الحّ الآن على أن يقرّ
هذا المنافق أمامي بكل ما أطلع عليه أبي. وإلا اخترقت بسيفي هذا صدره
النجس.

إسكابان : وهل تسمح لك طيبة قلبك بمثل هذا العمل الفظيع.

لياندر : تكلم اذاً.

إسكابان : هل لحقك. يا سيدي، بسببي أنا أيّ أذى ؟

لياندر : أجل، أيها الخبيث الخسيس. ولا بد لضميرك من أن يوبخك على ما
فعلت، إن كان لك من ضمير.

إسكابان : أوكد لك، يا سيدي، أنني لا أعلم بما أزعجك من أقوالي أو أفعالي.

لياندر (يتقدم ليضربه) : أتدعي انك لا تعلم ؟ ...

أزكانت (يمنع) : تبصّر في الأمر، يا لياندر.

إسكابان : بما أنك تصرّ، فأنا أعترف لك بأنني شربت بصحبة بعض رفاقي
قليلاً من الخمرة الاسبانية التي قدّم لك منها برميلاً بعض اصدقاتك منذ بضعة
أيام، وقد أفرغت قليلاً منه، ثم سكبت على الأرض ماءً لأوهمك أن الخمرة قد
تسرّبت من البرميل.

ليالدر : انت اذا شربت من الخمرة الاسبانية، وسببت توييخي الخاد
أتهمتها بالسرقة.

إسكابان : نعم، يا سيدي. انا آسف، وأرجوك أن تسامحني.

ليالدر : انا مرتاح الى اقرارك هذا الذي يبرئ ساحة الخادمة. لكن الـ
التي أريد محاسبتك عليها تتعلق بقضية اخرى.

إسكابان : هل هناك قضية أخرى ؟

ليالدر : نعم، وهي تهمني وتضايقني اكثر من التي اعترفت لي بها ا

إسكابان : يا سيدي، أنا لا أتذكر بأني أقدمت على عمل آخر غير

ليالدر (يهتم بضربه) : ألا تريد أن تتكلم ؟ هل عدت الى الإنكار ؟

إسكابان : انكار ماذا ؟

أوكشاف (يمنعه) : مهلاً، مهلاً.

إسكابان : نعم، يا سيدي، ها أنا أعترف : من مدة ثلاثة اسابيع ارسلتني

مساءً لأوصل ساعة صغيرة الى الصبية المصرية التي تحبها. وحال رجوع

البيت، والوحل يكسو ثيابي، والدم يلطخ وجهي، أعلمتك بأن لصوصاً

عليّ وضربوني وسرقوا مني الساعة. بينما كنت أنا قد خبأتها.

ليالدر : انت خبأت ساعتني ؟

إسكابان : نعم، يا سيدي، لكي أعرف الوقت بواسطتها.

ليالدر : ها أنا أطلع في هذه اللحظة على خبائة جديدة قمت بها ايضاً،

بأن خادمي غير أمين. ولكن هذا كذلك ليس ما اطلبه منك بالضبط

إسكابان : ليس هذا ؟

ليالدر : كلا، أيها اللص الدجال. هناك أمر أهم بكثير أريد منك أن تعتر

به.

إسكابان (على حدة) : ويحي، وتباً لي من شقي تعيس.

ليالدر : تكلم حالاً. فأنا مستعجل لمعرفة ما فعلت تماماً بالتفصيل.

إسكابان : هذا كل ما فعلته أنا، يا سيدي.

ليالدر (يهتم بضرب اسكابان) : أهذا كل ما فعلته، يا لعين.

أوكشاف (يحول دون ضرب اسكابان) : ارجوك ...

إسكابان : ها أنا اتكلم. هل تذكر، يا مولاي، انك تلقيت عدة ضربات من شبح اثناء الليل، وكدت تسقط على الأرض وتفكّ عنقك، في المغارة عندما هممت بالهرب في الظلام ؟

ليالدر : ماذا تقصد ؟

إسكابان : هذا الشبح هو أنا، يا سيدي.

ليالدر : انت أيضاً صاحب هذه الخبائة المزعجة ؟

إسكابان : نعم، يا سيدي، أنا. لكنني كنت اقصد أن أحيبك فقط، لأمنعك من الركض كل ليلة كما اعتدت أن تفعل.

ليالدر : لن أنسى ما سمعته الآن منك من الخبائات. ومن ضروب الاحتيال والأذى. لكنني أرغب بالبحاح في أن تعترف لي بما بُحّت به عني لأبي.

إسكابان : لأبيك ؟

ليالدر : نعم، نعم، لأبي.

إسكابان : لكنني لم أشاهده بعد عودته.

ليالدر : هل تُنكر أنك شاهدته ؟

إسكابان : كلا، يا سيدي، لم أشاهده.

ليالدر : هل أنت واثق بما تدّعي ؟

إسكابان : طبعاً، طبعاً، يا سيدي. ويمكنك أن تسأل والدك الذي سيؤكّد لك صدق كلامي.

ليالدر : لكنه هو بذاته أعلمني بأنك بُحّت له بما يعرف عني، أيها الكذاب المنافق.

إسكابان : اسمح لي، يا سيدي، بأن أوكد لك بكل بساطة أنه لم يقل لك الحقيقة.

المشهد الرابع

كارل، واسكابان، ولياندر، واوكتاف.

كارل : يؤسفني أن آتيك بخبر غير سارّ عن حبيبتك، يا سيدي.

لياندر : وما هو ؟

كارل : المصريون على وشك أن يسلبوك حبيبتك زريينات التي كلّفتني،
والدمع يملأ عينيها، بأن اقول لك حرفياً : إن لم تبادر الى الدفع لهم خلال
مهلة ساعتين فقط، مبلغ المال الذي طلبوه منك للافراج عنها ستفقدتها الى
الأبد.

لياندر : خلال ساعتين ؟

كارل : نعم ساعتين فقط.

لياندر : آه، يا صاحبي اسكابان، كم أنا بحاجة في هذه اللحظة الى مساعدتك
القيّمة.

إسكابان (يمزّ امامه وهو يختال متشامخاً) : « آه، يا صاحبي اسكابان »، الآن
اصبحت صاحبك اسكابان ؟ حين احتجت الى مساعدتي.

لياندر : هيا، أنا اسامحك بكل ما بُحْت لي به منذ هنيهة عمّا فعلته معي من
مزعجات ومضايقات.

إسكابان : لا، لا. لا تسامحني بتاتاً، بل اخترقْ صدري بسيفك البرّاق، فأكون
أول المبتهجين اذا قتلتي وأرحتني من هذه الحياة.

لياندر : انت عزيز على قلبي يا اسكابان. فأرجوك أن تستعمل عبقرتك
المبدعة التي لا تعجز عن إيجاد الحلّ اللازم لجميع المشاكل.

إسكابان : لا، أقول لك : هيا اقتلني وانقذني من هموم الدنيا. فذلك أولى بي.
أوكتاف : يا اسكابان، لا بدّ لك من أن تساعد سيدك صاحب الافضال

العديدة عليك.

إسكابان : بعد كل الاهانات واللعنات التي صبّها على رأسي أنا المسكين.
لياندر : اتوسّل اليك أن تنسى ما قلته لك، وأن تسعفني بمهارتك وبراعة

حيلك.

أوكتاف : وأنا أضمّ رجائي الى توسّله.
 إسكابان : هناك إساءة لن أغفرها له ما حييت.
 أوكتاف : لا بد من كتم غيظك الآن.
 لياندر : هل يهون عليك ان تتخلّى عني، يا إسكابان، وانا في أمسّ الحاجة إليك لانقاذ حبيتي.
 إسكابان : لقد وصفنتي بالمحتال، والدجال، والمنافق، والغبي، والصعلوك.
 لياندر : حقاً، أنا آسف كل الأسف، يا صاحبي.
 إسكابان : وكنت مزعماً ان تخترق صدري بسيفك القاتل.
 لياندر : ألتمس منك الصفح والغفران من كل قلبي. وإذا اقتضى الأمر أن أجتو على ركبتي أمامك متوسلاً، لن أتأخّر، يا إسكابان. أوكد لك اني لن أتخلّى عنك طوال ايام حياتي.
 أوكتاف : كفك، يا إسكابان، تمنّعاً وتشامخاً، أمام سيدك وولي نعمتك.
 إسكابان : إنهض إذأ، ولا تكن في المرة القادمة سريع الغضب والمهاترة عليّ.
 لياندر : هل تعدني وعداً قاطعاً بأن تعمل على مساعدتي.
 إسكابان : دعني أفكّر في الأمر.
 لياندر : لكن لا تنسَ ان الوقت يداهمنا ويمرّ بسرعة.
 إسكابان : لا يقلق لك بال. كم هو المبلغ الذي تحتاج اليه ؟
 لياندر : خمسمئة فرنك.
 إسكابان (لاوكتاف) : وانت ؟
 أوكتاف : مئتا فرنك.
 إسكابان : سأسحب هذين المبلغين من والديكما (لاوكتاف) أمّا في ما يتعلّق بك، فقد وجدت الوسيلة والعلاج الناجع. (للياندر) : وفي ما يخصك أنت، مهما كان أبوك شديد البخل، أحتاج أنا معه الى عناء أقلّ. ومهما كان سريع الخاطر، فإنه يفتقر تجاهي الى كثير من الفطنة، ويمكنني اقناعه بقبول أيّ حل يناسبنا. أشكر المولى علي أن لا وجود لأيّ شبه بينك وبينه. وبما أنني أرى الآن والد أوكتاف مقبلاً، فلأبدأ به ما دام هو نفسه يأتي إلينا. هيّا ابتعدا كلاكما عن هذا المكان. (لاوكتاف) : وأنت أوّعز الى صاحبك سلفاستر بأن يأتي ليقوم بدوره في لعبتنا البارعة.

المشهد الخامس

اركانت واسكابان

إسكابان (على حدة) : ها هوذا يتمم ببعض كلمات.
أركانك (يظن نفسه وحده) : مهما شدّ سلوكه وقلّ وقاره، لا يجمل به أن يرمي بنفسه في تهلكة كهذه. آه من طيش الشباب.
إسكابان : أنا خادمك الأمين، يا سيدي، أنتظر أوامرك.
أركانك : نهارك سعيد، يا اسكابان.
إسكابان : أما زلت تفكر في قضية ولدك ؟
أركانك : لا أحفي عنك أن مشكلته تقلق فكري وتقض مضجعي.
إسكابان : الحياة، يا سيدي، حافلة بالهموم والمفاجآت المزعجة. وعلى المرء أن يظل متيقظاً على الدوام. فقد سمعت منذ زمن طويل كلمة حكيمة من فم شيخ جليل لفتت إنتباهي وحرصتُ على حفظها لانطباقها تماماً على الواقع.
أركانك : وما هي ؟
إسكابان : « مهما كان غياب رب الأسرة عن ذويه قصيراً، لا بد له من الحذر والانتباه الى كل مباحثة غير سارة يمكن أن تعترض سبيله عند عودته ». فلا يُستبعد ان يحترق بيته أو أن يُصيب الشلل ابنه، وعليه أن يتحسّب لكل ما لم يحلّ به بعد، وأن يواجهه بالتبصّر والصبر الجميل. أنا من جهتي قد وضعت هذه القاعدة نصب عيني، وجابهت الصعوبات والشدائد بفلسفة وحنكة. ولم أعد الى بيتي إلا وقد حسبت كل الحسابات لتلافي غضب سادتي مثلاً، وتحملّ تنديداتهم واهاناتهم وركل اقدمهم وضرب قضبانهم وسياطهم، وما يخطر ببالهم من اصناف الإحتقار والإذلال كعقاب عند اللزوم. ولقد حمدت الله على ما يخبئه لي نصيبي من مصير.
أركانك : هذا قول جميل. لكن الزواج الذي باغتني به ابني آلمي وأدمي فؤادي. وقد استشرت بعض المحامين لدرس امكانيات فسخه وإبطال مفعول عقده.
إسكابان : صدّقني، يا سيدي، إن قلت لك إنّ هناك حلاً لكل معضلة. ولا بد

من أن تستريح من قلقك واضطرابك، كما يتسنى لكل أب أحزنه عصيان ابنه الذي لم يتصرف حسب رأيه ورضاه.

أزكائت : انا لك سلفاً من الشاكرين.

إسكابان : لذا ذهبت لمقابلة شقيق العروس التي تزوجها، وهو شاب شهيم، يُعتمد على استقامته في الشدائد والملّات، لا يسمح له وجدانه بالقتل كمن يشرب جرعة من الخمرة. ولقد حذّرت من مغبة هذا الزواج غير الملائم، ونبّهته الى امكان فسخه وإبطاله ولو بالقوة والعنف. لأن والد العريس غير راضٍ، وطبعاً يسانده القانون والحق والمنطق السليم والمال والاصدقاء. أخيراً درست المسألة من كافة وجوها وأصغيت الى جميع الاعتراضات والاقتراحات والتفسيرات، واقنعت بتسوية الوضع لقاء مبلغ من المال. وفهمت منه أخيراً أنه يوافق على فسخ الزواج، اذا قبلت بمنحه بعض الترضيات.

أزكائت : وكم طلب منك ؟

إسكابان : أولاً فرض ما لا سبيل الى القبول به، مهما كان الأمر.

أزكائت : ثم ماذا ؟

إسكابان : طالب بأمور غير معقولة.

أزكائت : وماذا بعد ؟

إسكابان : لم يأتِ على ذكر مبلغ أقل من خمسمئة او ستمئة فرنك.
أزكائت : خمسمئة أو ستمئة فرنك ؟ وهو لا يستحق سوى خمسمئة أو ستمئة لعة. هل تراه يسخر بالقيم والاشخاص ؟

إسكابان : هذا ما أجبته به، وقد رفضت مثل هذه التلميحات. وبيّنت له أنك لست غيباً لتدفع له خمسمئة أو ستمئة فرنك. أخيراً بعد عدّة محاولات ومفاوضات طويلة أبلغته أن زمن الالتحاق بالجيش قد حان. وأنا على وشك أن أنجز تجهيز نفسي لذلك، وأن حاجتي الى المال تحثني على وجوب الاكتفاء بهذا الغرض. لذا يلزمي حضان خدمة، ولن أحصل عليه بحالة مقبولة إلا لقاء ستين فرنكاً.

أزكائت : لقاء ستين فرنكاً أنا أعطيك اياه.

إسكابان : بالمناسبة، احتاج الى عِنان لقيادة الحصان، وكذلك الى غَدارات
وسعرها عشرين فرنكاً.

أزكائت : فيكون المجموع ثمانين فرنكاً، وهذا كثير.

إسكابان : نعم، هذا هو المجمل بالكمال والتمام.

أزكائت : ومع أنه باهظ، أنا أوافق عليه.

إسكابان : وأحتاج أيضاً الى حصان ليركبه خادمي الذي سيكلفني ثلاثين
فرنكاً.

أزكائت : ماذا تقول ؟ يتحتم عليك أن تستغني عنه.

إسكابان : كيف أقنعه بذلك ؟

أزكائت : لا، لا. أنا لن ارضى بذلك، لأن خادمك يغالي في طلبه.

إسكابان : هل تريد أن يسير خادمي على قدميه ؟

أزكائت : يمكنه أن يمشي كما يحلو له، وكذلك سيده أيضاً.

إسكابان : يا الهي. لا تعسر الأمور، يا رجل، ولا تهتمّ بالمسائل الطفيفة
ارجوك أن لا تتشبّث بتفاهات كي تنجو من يد العدالة.

أزكائت : لا، لا. ليذهب الى الجحيم هو والبغل الذي يطلبه. فقد أصبح
مطلبه لا يُطاق. والأفضل أن يمثّل امام القضاء.

إسكابان : ارجوك، يا سيدي ...

أزكائت : لا، لا. لن أقبل بأية زيادة بعد كل ما تساهلت ورضيت به.

إسكابان : يا سيدي، لم يبقَ إلا ان توافق على هذا البغل الصغير.

أزكائت : لن أعطيه حتى ولا حماراً.

إسكابان : لا بدّ اذاً ...

أزكائت : كلا ثم كلا. انا أفضل ان ادافع عن قضيتي امام المحكمة.

إسكابان : ما هذا الكلام، يا سيدي. ماذا قرّرت ان تفعل ؟ لا يغرب عن بالك

ما في مواجهة المحاكم من عراقيل. هناك البداية والاستئناف ثم التمييز، وما

يرافقها من محاضر وتدقيقات وضمانات وإجراءات معقّدة، ومن مباشرين

وكُتّاب وقضاة وشرطيّين ومحققين ومحامين. ومع كل ذلك لا تُنسَ ان دون

حصولك على حقوقك صعوباتٍ شتى. هذا اذا تيسر لك ان تصل اليها بعد

تذليلك كل العراقيل. وهناك عند تبليغ الدعاوى والأحكام كم من تجاوزات وتمويهات وتزويرات، وحين تنقضي المدة القانونية، ينقلب الحق الذي يكون معك الى حقّ يجور عليك ويظلمك. فتدفع تكاليف اعادة الكرة، حين لا تتمّ الاجراءات حسب الانظمة السارية المفعول. وفضلاً عن كل ذلك يجمل بك أن لا تُغفل الرشوات المتفشية بين سائر فئات رجال العدل من كبيرهم الى صغيرهم، لأنهم لا يترفعون عن قبض الاكراميات لتحويل القوانين وتعديل الاحكام من صالحك الى اصداها لصالح خصمك، فتقلب الآية ويضيع حقلك وتذهب ضحية الفوضى وسوء النية التي لن يمكنك أن تتخلص من اذاها ولو هربت الى اقاصي بلاد الهند وأبعد اطراف الدنيا.

أزكائت : بالاختصار كم هو ثمن البغل المرغوب ؟
إسكابان : يا سيدي، لأجل البغل والحصان للسيد وخادمه، ولأجل العنان والغدارات، ولتقديم هدايا لمضيفته، يحتاج ايضاً الى مئتي فرنك.

أزكائت : مئتي فرنك ايضاً ؟

إسكابان : نعم، يا سيدي.

أزكائت (يمشى بغضب طويلاً وعرضاً على خشبة المسرح) : لا، لا. أفضل أن الجأ الى المحكمة.

إسكابان : ارجوك أن تفكّر جدّياً بكل ما يقتضيه رفع قضيتك الى المحاكم من مصاريف باهظة وتكاليف مضاعفة.

أزكائت : لا تُلقِ بنفسك الى ...

أزكائت : كلا، ثمّ كلا ... أفضل المحكمة.

إسكابان : لكن المحكمة، كما بيّنت لك تقتضي اموالاً وافرة. فهناك دفع التأمين ثمّ تكبّد رسوم التدقيق واكلاف النيابة العامة ومصاريف الاستنابة والجلسات ويوميات التحقيق، تضاف اليها تكاليف الاستشارات والمرافعات والكتابات، وما تضطر الى دفعه لاصدار الاحكام وتسجيل القرارات والزيادات والمراجعات والتوقيعات والتبليغات الى ما هنالك من واجبات وجبايات اخرى. وكل ذلك يحتاج الى دفع الأموال بدون حساب، اذا تمسّكت باصرارك على رفع الدعوى الى المحاكم. فالأفضل اذاً كما ترى، أن تدفع القليل الى هذا الرجل بدلاً من أن تتورط في بذل الكثير ...

أزكائت : لكن، كيف يطلب مئتي فرنك ؟
إسكابان : نعم، وتكون أنت الراح الأكر. لقد أكرت حساباً وكرزاً لكل
التكاليف التي تتطلبها العدالة، ووجدت ان مئتي فرنك تدفعها لهذا الرجل،
تظل ارخص من مصاريف المحكمة الباهظة وتوابعها. وهكذا توفر مزيداً من
المال والتعب والقلق. وتتجنب مشاكل المحاكمة وحماقات رجالها ولؤم
المحامين ونفاقهم وكذب المباشرين وتأجيلاتهم. وأنا شخصياً أفضل ان ادفع
له ثلاثمئة فرنك على أن لا أعلق بحبائل المحاكمات وموجباتها.
أزكائت : انا لا تهمني خزعبلاتهم، واتحدى المحامين الذين لن يكون لهم
أي شأن معي.
إسكابان : انت حرّ في قرارك النهائي وتفضيلك الوسيلة التي تؤمن بواسطتها
حقوقك الشرعية. غير أنني لو كنت مكانك لتحاشيت اللجوء الى المحكمة.
أزكائت : لن ادفع له مئتي فرنك مهما كان الحال.
إسكابان : ها هوذا الرجل، الذي حدثتك عنه، قد أتى.

المشهد السادس

سيلفاستر، واركانت، واسكابان

سيلفاستر (متكرراً بهيئة شقي رهيب) : يا اسكابان، عرفني الى السيد اركانت
والد اوكتاف.
إسكابان : لماذا، يا سيدي ؟
سيلفاستر : علمت منذ لحظة أنه يريد أن يقاضيني امام المحكمة ليفسخ زواج
شقيقتي.
إسكابان : انا أجهل اذا كان يفكر بذلك. لكنه لا يقبل أن يدفع مبلغ مئتي
فرنك حسب طلبك، ويؤكد انه باهظ.
سيلفاستر : بحق هذا النهار، وحياء رأسي ورأسه، اذا أبصرته سأنغص عليه

عيشه، ولو كلّفني ذلك ضرباً مبرحاً. (يختبئ أركانك خائفاً وراء اسكابان كي لا يراه سيلفاستر المتكبر).

إسكابان : يا سيدي، أعلم، أن والد اوكتاف رجل شجاع لا يهاب احداً. سيلفاستر : هو شجاع ؟ بحياة رأسي لو كان حاضراً ها هنا، لبقرت له بطنه بحد هذا السيف، ودلقت أمعاه. (يلمح اركانك) من هو هذا الرجل ؟ إسكابان : ليس هو، يا سيدي، ليس هو، بالتأكيد.

سيلفاستر : أوليس احد أصدقائه ؟

إسكابان : لا، يا سيدي. بل هو من ألد أعدائه.

سيلفاستر : من ألد أعدائه ؟

إسكابان : نعم.

سيلفاستر : الآن هدأ بالي وغمر السرور قلبي. (لأركانك) هل حقاً انت من

أعداء الدجال المدعو أركانك ؟

إسكابان : نعم. قلت لك، نعم، من أعدائه.

سيلفاستر (يهز يد أركانك) : ضع يدك في يدي. أعدك وأقسم لك بشرفي،

وبالسيف الذي أحمله، وبأغلظ الايمان التي يشملها حلفاني، بأني قبل نهاية

هذا النهار سأحطّم رأس هذا المحتال المدعو اركانك. إتكل علي في تنفيذ

تهديدي هذا.

إسكابان : لا تنس، يا سيدي ان وسائل العنف لا تنقص في هذا البلد العجيب

الغريب.

سيلفاستر : انا لا بهمني أحد، وأزدري بكل الناس وبكافة الوسائل، لأنني لا

أخشى أية خسارة.

إسكابان : سيظلّ بالطبع متمتعاً لأن له عدداً من الأهل والأصحاب والخدم.

ولا يريد أن يفقد أيّاً منهم.

سيلفاستر : هذا ما أرجوه وأتمناه. (يستلّ سيفه وينظر الى جميع الجهات، كأن

امامه العديد من الأشخاص) : ليتني التقي في هذه اللحظة ببعضهم لكي أقضي

عليهم بأجمعهم. ولكن كيف أعرفهم بين ثلاثين شخصاً. وهل يمكنهم أن

يهاجموني بأسلحتهم ؟ حتماً سأقتلهم. اين هم ؟ ليتقدموا نحوي. (يجيل بصره

في كل الجهات كأنه سيقا تل العديد من الرجال) هيا ل يبرز أحد هم على الأقل، وليتقدم نحوي، إن كانت له الجرأة على القتال. يا لهم من جنباء، سأقطع رؤوسهم وأوصالهم جميعاً بدون استثناء. هيا، اين هم هؤلاء الصعاليك ؟ (يلتفت الى كل الجهات). أين انتم ايها الجنباء ؟ ما لكم تتوارون ايها الاقزام الضعفاء ؟

إسكابان : يا سيدي، لم يصل الأمر بأي انسان الى حدّ مهاجمتك. سيلفاستر : لن يجرؤ أحد على الوقوف في وجهي، وإلا حطمت رأسه تحطيماً. (يتعد).

إسكابان : هل ادركت كم شخصاً من الممكن أن يُقتلوا لقاء مئتي فرنك ؟ أتمنى لك حظاً سعيداً.

أركايت (يرتجف خوفاً) : يا إسكابان.

إسكابان : انا في خدمتك.

أركايت : لن أتأخّر عن دفع المئتي فرنك.

إسكابان : يسرني أن أسمع منك هذا أخيراً. فقد انقذت حياتك بهذا التروّي والتبصّر.

أركايت : هيا بنا نذهب اليه، وندفع له المبلغ لأنه في حوزتي.

إسكابان : يمكنك أن تسلّمني اياه. اذ ليس من صالحك ان تظهر أمامه بصفتك اركانته، بعد النكران والتأكيد له انك شخص آخر. وأخشى إن عرفك أن يطلب منك مزيداً من المال.

أركايت : لكني اكون مرتاح البال اكثر، إن شاهدته كيف يقبض هذا المبلغ.

إسكابان : ألا تؤمّني على مالك ؟

أركايت : لا لست أقصد ذلك. ولكن ...

إسكابان : إمّا أن أكون محتالاً خبيثاً، يا سيدي، وإمّا شريفاً اميناً، كما تقول.

فهل يسعني أن أخدعك في هذه القضية، وأنا لا مصلحة لي سوى تحقيق رغبتك، يا سيدي، وبكل اخلاص أريد أن اساعدك. فإن كنت تشكّ بأمانتي، فلن أتدخل في شأن لا ناقة لي فيه ولا جمل، وعليك أن تبحث منذ هذه اللحظة عمّن يرضى مصالحك.

أرْكَائْت : هَيَّا، خذ هذا المبلغ، واجتهد ان تتخذ جميع الاحتياطات حياله.
إِسْكَابَان : دعني اتصرف. فأنا كما تعرفني جيداً، لست بغبيّ احمق.
أرْكَائْت : سأنتظرك في بيتي لأعرف نتيجة مسعاك.
إِسْكَابَان : سأوافيك حتماً بأقرب وقت. (وحده) من الرجل الأوّل، سأنتقل الى معالجة الثاني. ها هو آت، على ما أرى، وقد تواردا اليّ الواحد تلو الآخر كي يعلقا في شباكِي.

المشهد السابع

جيرونت، وإسكابان.

إِسْكَابَان (يتظاهر بأنه لا يرى جيرونت) : ايتها السماء، إْحْمِنِي من الخيبة المرّة غير المنتظرة. يا له من أب مسكين. اسفي عليك، يا سيدي. جيرونت، ماذا تفعل ؟

جيرونت (على حدة) : ماذا يقول عني هذا الخداع، ووجهه متجهم هكذا ؟
إِسْكَابَان (وهو يقوم باللعبة ذاتها) : من يمكنه أن يدلّني اين أجد الآن السيد جيرونت ؟

جيرونت :. ماذا في الأمر، يا اسكابان ؟

إِسْكَابَان (يركض على المسرح بدون ان يسمع أو يبصر جيرونت) : اين يسعني أن ألاقيه لأبلغه هذه الخيبة المؤلمة ؟

جيرونت (يسرع نحو اسكابان) : ماذا جرى ؟ أخبرني.

إِسْكَابَان (يواصل اللعبة ذاتها) : لقد بحثت في كل النواحي بدون أن أعثر عليه.

جيرونت : ها أناذا.

إِسْكَابَان (يوقف اسكابان) : هَيَّا قِفْ. هل أنت مصاب بالعمى كي لا تبصرني ؟

إِسْكَابَان : يا سيدي ؟ لم يسعدني الحظ بأن ألاقيك.

جيروئت : منذ نصف ساعة، وأنا أمام عينيك. ماذا جرى لك ؟
إسكابان : سيدي.

جيروئت : ماذا جرى ؟

إسكابان : سيدي، ابنك ...

جيروئت : ما به ؟

إسكابان : فاجأته خيبة أمل غريبة عجيبة.

جيروئت : وما هي ؟

إسكابان : لقد أبصرته منذ هنيهة حزينا، ولا أدري ما قلت انت له. حاولت أن
أبدد عنه قلقه، فرافقته في نزهة الى المرفأ. هناك أبصرنا سفينة تركية على أهبة
الإبحار. فدعانا شاب تركي حسن الهمدأ كي ننزل الى المركب، ومدّ الينا
يده مصافحاً، واستقبلنا بكل ترحيب واکرام، وقدم لنا لقمة أكل طيبة وفواكه
لذيذة، وقليلاً من الخمرة، لم نذق أجود منها من قبل.

جيروئت : وماذا يشغل البال في هذه المعاملة الحسنة ؟

إسكابان : إنتظر، يا سيدي، سأعلمك بكل ما جرى. بينما نحن نتناول الطعام
ابتعدت السفينة عن الشاطئ. فما لبث الشاب التركي ان اصعدني الى زورق
نجاة، وأرسلني على جناح السرعة لأبلغك بأنه، ما لم ترسل له بصحبتني
خمسمئة فرنك، سيأخذ إبنك معه الى الجزائر.

جيروئت : كيف يفرض علي دفع خمسمئة فرنك ؟

إسكابان : نعم، يا سيدي. وفضلاً عن ذلك حدّد لي مهلة ساعتين لتنفيذ طلبه.

جيروئت : تباً لهذا التركي الخسيس. إنه لص مجرم يهدّدني بهذه الطريقة
الوضيعة.

إسكابان : عليك أنت، يا سيدي، ان تجد طريقة مناسبة لإنقاذ ولدك من
عبودية الذل، وتجنّبه القهر والعذاب، نظراً الى ما تحيطه به من الحب والحنوّ.

جيروئت : ولماذا نزل الى هذه السفينة اللعينة ؟

إسكابان : لم يفكّر بما قد يياغته من مساوئ.

جيروئت : إذهب الى هذا التركي وقلّ له اني سأرسل رجال العدالة
للاقتصاص منه على غدره الدنيء.

إسكابان : وما عسى ان تفعل العدالة فوق امواج البحر ؟ هل تسخر أنت من الناس بقولك هذا ؟

جيروئت : لا افهم ماذا دعاه للنزول الى هذا المركب الجهنمي ؟

إسكابان : مصيره البائس حملة على الوقوع في هذه الورطة.

جيروئت : يجب عليك، يا اسكابان، نعم يجب عليك أن تبذل قصارى جهدك بصفتك خادمي الأمين لانقاذ ولدي.

إسكابان : ماذا تطلب مني، يا سيدي ؟

جيروئت : ان تذهب وتقول لهذا التركي أن يرّد لي ولدي. واذا اقتضى الأمر، أن يأخذك بدلاً عنه رهينةً الى أن أجمع المال المفروض، وارسله اليه.

إسكابان : هل فكّرت في كلامك هذا، يا سيدي ؟ وهل تظنّ أن هذا الشاب التركي أبله الى حدّ أن يستبدل ابنك بخادم معدم بائس مثلي ؟

جيروئت : آه، لا أفهم لماذا نزل ابني الى هذه السفينة ؟

إسكابان : لم يخطر بباله أن تتابه هذه المصيبة. تصوّر، يا سيدي، ان المهلة لا تتجاوز الساعتين فقط.

جيروئت : قلت لي انه يفرض ...

إسكابان : خمسمئة فرنك عدداً ونقداً.

جيروئت : خمسمئة فرنك ؟ أوليس له من ضمير ؟

إسكابان : أجل، ليس له أي ضمير. وهل تظن أن لمثل هذا التركي من ضمير ؟

جيروئت : وهل يعرف ما هي قيمة الفرنكات الخمسمئة التي يطلبها ؟

إسكابان : نعم، يا سيدي. هو يعرف انها خمسمئة فرنك.

جيروئت : وهل يظنّ هذا السارق المحتال أن خمسمئة فرنك مبلغ زهيد جاهز حالياً في جيبي ؟

إسكابان : انه نصّاب لا يدرك أي منطق.

جيروئت : أنا لا أفهم لماذا نزل ولدي الى هذه السفينة الشيطانية.

إسكابان : هذا صحيح. لكن، لا يغربّ عن بالك ان الانسان لا يسعه أن يتوقّع ما سيحدث له في مستقبل الايام. أرجوك، يا سيدي، أن تعجّل في دفع المبلغ.

جيروئت : هذا مفتاح خزانتي.

إسكابان : حسن.

جيروئت : إذهب وافتحها.

إسكابان : طيب.

جيروئت : وستجد مفتاحاً أكبر منه في جهة اليسار، وهو مفتاح مخزني.

إسكابان : نعم.

جيروئت : هيا إذهب وخذ جميع الملابس الموجودة في السلّة الواسعة وبعها في السوق القريب، ثم اسرع واجلب لي ولدي.

إسكابان (وهو يرّد له المفتاح) : هل تحلم، يا سيدي ؟ لن أجمع مئة فرنك من بيع كل الملابس المستعملة التي تشير اليها. ثم، أنت تعلم مدى ضيق الوقت المحدّد لنا.

جيروئت : آه، ثم آه. لا أفهم لماذا نزل إبنني الى هذا المركب اللعين.
إسكابان : انت تضيع الوقت هكذا سديّ. إنس السفينة، وفكّر في الوقت القصير الذي يمرّ مسرعاً. نحن نغامر بحياة ولدك. ويؤسفني، يا سيدي، أن أصارحك بأنني لست على يقين مطلقاً بأن اراك بعد الآن على قيد الحياة. ربما في هذه الأثناء اختُطفت انت ايضاً واقتُدت الى الجزائر. ولكن، يشهد الله على صدق كلامي، اني فعلت في سبيلك كل ما بوسعي. واذا داهمنا الوقت وافترق احدنا عن الآخر، لا سمح الله، يعزّ عليّ أن تُتّم لهم لدى حلول هذه الكارثة، بقلة إهتمامك بابنك.

جيروئت : انتظر، يا اسكابان، فأنا ذاهب لجمع هذا المبلغ.

إسكابان : عجل ما استطعت، يا سيدي، فأنا أرتجف قلقاً وفزعاً من ان تنتهي المهلة ويفوت الأوان ونخسر ولدك.

جيروئت : أليس المبلغ أربعمئة فرنك، كما قلت لي ؟

إسكابان : كلا، يا سيدي، المبلغ خمسمئة فرنك بالتمام والكمال.

جيروئت : خمسمئة فرنك ؟

إسكابان : نعم، نعم.

جيروئت : آه، أنا لا أفهم لماذا نزل إبنني إلى هذا المركب الجهنمي.

- إسكابان : الحق الى جانبك. لكن عليك الآن أن تستعجل.
جيروئت : أولم يكن هناك مكان آخر يقصده ولدي للتنزه ؟
إسكابان : هذا صحيح. ولكن، العجلة العجلة. فالوقت يمرّ بسرعة.
جيروئت : يا له من مركب لعين.
إسكابان (على حدة) : هذه السفينة تسيطر على كل تفكيره.
جيروئت : خذ، يا اسكابان. لم أتذكرّ قبل هذه اللحظة أنني قبضت هذا المبلغ، ولم أتصوّر انه سيُنزَع مني بهذه السرعة المذهلة (يقدم له محفظته التي لم يتركها من يده، بل راح ينقلها من يد إلى الأخرى، واسكابان يمدّ يده ويحاول ان يتناولها منه) : هيا، خذها، واذهب واشترِ حياة ولدي.
إسكابان (يمدّ يده) : نعم، هات، يا سيدي.
جيروئت (يمسك بالمحفظة التي يتظاهر بأنه يريد أن يعطيها اسكابان) : لكن، قلّ لهذا التركي المحتمل إنه لصّ دنيء.
إسكابان : أجل.
جيروئت : (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه سارق دجال.
إسكابان : نعم.
جيروئت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه مجرم فاقد الضمير.
إسكابان : دعني اتصرف.
جيروئت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه يختلس مني خمسمئة فرنك بدون أيّ حياء.
إسكابان : نعم، نعم.
جيروئت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه لا يستحق أن يبقى على قيد الحياة، بل يتحتّم عليه أن يذوق كأس الموت الزؤام.
إسكابان : حسن.
جيروئت : وإني اذا أمسكتُ به، سأعرف كيف انتقم منه شر انتقام.
إسكابان : نعم يا سيدي، نعم.
جيروئت (يردّ محفظته الى جيبيه، ويمضي) : أسرع، أسرع وانقذ ولدي.
إسكابان (يجري وراءه) : أين أنت ذاهب، يا سيدي ؟

جيروئت : ماذا تريد مني ؟
إسكابان : اين المال الذي تنوي ان تعطيني اياه ؟
جيروئت : ألم تستلمه ؟
إسكابان : لا، لا. حقاً، لا، يا سيدي. لقد أعدته الى جييك.
جيروئت : آه، طغى الهم والحزن على وعيي، فلم أعرف ماذا افعل.
إسكابان : ارى ذلك في تصرفك الغريب.
جيروئت : لا أفهم الى الآن لماذا نزل إبني الى هذه السفينة اللعينة. تَبَّ. لهذا
التركي من لص مجرم. ليذهب الى أعماق الجحيم.
إسكابان (وحده) : لم يهضم فكرة الفرنكات الخمسمئة التي أودَّ أن انتزعها
منه انتزاعاً. لكنني لن اكتفي بهذا المبلغ بل سأرغمه على دفع مبلغ آخر لقاء
المآزق الذي زجنتي فيه بسبب ولده.

المشهد الثامن

أوكتاف، ولياندر، واسكابان.

أوكتاف : هل نجحت، يا اسكابان، في تدبير الأمور لدى والدي ؟
لياندر : وهل لديك وسيلة تنقذ انت بدورك حبييتي من الورطة التي وقعت
فيها.
إسكابان (لأوكتاف) : هذه مئتا فرنك انتزعتها من ابيك.
أوكتاف : ما أبرعك في إدخال السرور على قلبي.
إسكابان (للياندر) : اما أنت فلم استطع حتى الآن أن أفيدك بشكل ملموس.
لياندر (يهّم بالذهاب) : عليّ اذاً ان اقتلع شوكي بيدي. ليس لديّ من مال
يكفيني لأعيش، وها هي زربينات قد اختُطِفَتْ مني.
إسكابان : لا تقلق. مهلاً، إصبر قليلاً. لماذا تغسل يدك من حلّ قد أتوصّل
اليه عمّا قريب.
لياندر (يلتفت الى اسكابان) : هل تفكّر بما قد يحلّ بي.

إسكابان : هدي روعك واطمنن. فإن حلّ معضلتك جاهز في جيبي.
لياندر (يعود) : حياتي بين يديك.
إسكابان : لكن، شرط ان تثق بي ثقة عمياء. فأنا أنوي الانتقام لنفسي بهدوء
من والدك المستبدّ لقاء الدور القدر الذي قام به حيالي.
لياندر : إفعل ما تشاء.
إسكابان : هل تعدني وتحلف لي بشرفك ان لا تسخط عليّ ؟
لياندر : نعم أعدك.
إسكابان : اذاً، خذ مبلغ الخمسمئة فرنك هذا، وتصرّف به كما يحلو لك.
لياندر : انا مسرع حالاً لفلك أسر من يهواها قلبي.

الفصل الثالث

المشهد الأول

زريينات، وياسانت، واسكابان، وسيلفاستر

سيلفاستُر : قرر اصحابك فيما بينهم أن يظلّوا مجتمعين، وأن ننفذ نحن الأمر الذي أصدره الينا.

ياسانت (لزريينات) : هذا الأمر لا يعجبني. ويسرني أن أتمتع برفقة من هذا النوع، اذ يهمني أن تعمّ الصداقة بين الناس الذين نحبهم، وان يظلّ الوفاق مخيماً عليهم.

زريينات : انا أرحبّ بهذا الإقتراح، ولن أشجب اية صداقة جديدة تضاف الى سابقاتها.

إسكابان : وحين يكون الحب مهيمناً على مختلف الفرقاء فأهلاً به ومرحباً. زريينات : مجال المحبة واسع جداً، وأنا لا أرفض المغامرة في رحابها والكرّ والفرّ في ربوعها باستمرار، مع أنني لست من أهل الشجاعة والإقدام.

إسكابان : بل أنت، على ما أرى، جريئة وحازمة تجاه سيدي في الوقت الحاضر. لكن التفاني الذي لم يتردّد في بذله لأجلك، لا بد من أن يحملك على استجابة أمانيه عاجلاً أو آجلاً.

زريينات : من طبعي أن لا أسارع الى الوثوق بأيّ كان، إلا حين يتبيّن لي حسن نيته ونبيل قصده. انا مرحة وأميل الى البهجة. لكنني مع ذلك جدّية للغاية

في أمور معينة. وسيدك يتوهم اذا اعتقد أن دفعه الفدية عني يضمن له مسائرتي رغباته. فأنا لا يجتذني المال كغيري، بل يأسرني الحب والوفاء، ويكفييني أن اقتنع بسمو أخلاقه وصدق عواطفه نحوي حتى أخصه بكل ولائي وعطفي. إسكابان : هذا تماماً هو مبدأه في الحياة. فإن مال اليك فدافعه الشرف والولاء. ولو لم يكن الصدق رائده لما كنت انا ساهمت في جمع شملكما. زرينات : هذا ما أودّ أن أومن به، ولا سيما انك أنت تؤكده لي. لأنني غير مرتاحة الى نوايا ابيه الذي يعارض تحقيق مشروعنا. إسكابان : لا بدّ من ايجاد حلّ ملائم لهذه المشكلة.

ياسائت (لزرينات) : تشابه مصيرنا عمل على توطيد الصداقة بيننا. لأننا كلتينا غارقتان في المأزق ذاته، وكلتينا معرّضتان لمفاجآت غير مطمّنة. زرينات : انتِ على الأقلّ، وضعك أسلم متي، لأنك على بينة من أمرك. وأهلك لا يعاكسون مشيئتك. لذا يمكنك أن تؤمّني سعادتك في الزواج حسب مرامك. بينما أنا، لا أجد حولي من يساندني في تحقيق أمنيّتي، وأضطرّ لأخذ جميع الاحتياطات حتى استطيع الصمود في وجه إرادة ابي الذي لا يههما إلا المال.

ياسائت : على الأقلّ ليس في محيطك من يسعى الى تفويض ما بنيت من آمال على حبّ شاب تهوينه، ويجبرك على الاقتران برجل سواه يناسب اهدافه ولا تحيينه.

زرينات : ان تغيير مئيل قلب الحبيب ليس بالأمر الذي أخشاه. فأنا واثقة نوعاً ما بإخلاص من أهواه، ولا يزعجني في وضعي إلا تشدّد مشيئة والده الذي لا يأبه كثيراً للصفات الحميدة.

ياسائت : يا للأسف، نحن كثيراً ما نضطر الى مجابهة الصعوبات وتذليل العقبات لننعم بما لمسناه من هيام حبيب ووفاء زوج، أروع ما في الحب هو خلّوه من الشكوك التي تدمي الفؤاد أحياناً، والتمتع بعذوبة الوفاء الذي يربط قلبين جمعهما التفاهم والوثام.

إسكابان : انما تسخران من الواقع المرير على ما ارى. لأن صفاء الحب هو حال لا يدوم، وقد قيل ان العذاب في العشق مستطاب، وكالمغناطيس يجتذب

الأفئدة ويوحدها. وما دامت الحياة متقلبة الأهواء بين شقاء وهناء، فليس سوى مجابهة الصعاب التي تزيد المهج شوقاً والمشاعر لذةً وعطاء.

زريينات : والآن، ارجوك، يا اسكابان، أن تقصّ علينا كيف تدبّرت امرك لكي تسحب بحيلة مبلغاً لا بأس به من سيدك العجوز البخيل ؟ فأنا يطيب لي ان اسمع مثل هذه الروايات التي تثلج صدري وتريح اعصابي وقد وترتها معانداً الأيام.

إسكابان : ها هوذا سيلفاستر، وهو أبرع مني في سرد التفاصيل. فأنا أخطئ لانتقام رهيب اتدوّق منذ الآن طعمه العذب.

سيلفاستر : لماذا يسرّك ما تُنزله بالناس من شرور ؟

إسكابان : لأنني أهوى المغامرة والاقتصاص من المناوئين اللؤماء.

سيلفاستر : لقد سألتك أن تصلح نواياك، وان لا تُلحق أي ضرر بسواك.

إسكابان : نعم. ولكنني لن أرتاح إلّا عند إتمامي ما يُرضي ضميري.

سيلفاستر : تَبّاً لك من شقيّ. أهكذا تفرح بتعذيب أبناء مجتمعك ؟

إسكابان : ولماذا أنت مهتمّ بهذا الأمر ؟

سيلفاستر : لأنني أتوقّع ما تجتذبه لنفسك من عواقب وخيمة.

إسكابان : لن تكون هذه النتائج إلّا من نصيبي ولن ينوبك انت منها أي إزعاج.

سيلفاستر : لا شك في أن مصيرك ملك يدك، ولا دخل لأحد في ما يحلّ بك من شقاء وعذاب.

إسكابان : لم أخف يوماً من أية شدّة. لأنني أكره المستبدين المعتدين ولا أبالي إن لحق بي بعض الأذى، بعد أن أردّ كيدهم الى نحرهم.

زريينات (لإسكابان) : نحن بحاجة الى مساعدتك، يا صاحب الهمم.

إسكابان : سأعود اليكم بعد فترة. ولا أحد يستطيع أن يصدّني عن إنجاز ما أصمّم عليه، إلّا اذا عدلت أنا عمّا أرغب فيه، على أثر اكتشاف السرّ الذي كان علي أن لا أبوح به.

المشهد الثاني

جيرونت، وإسكابان

جيرونت : ماذا فعلت، يا إسكابان، وأين صارت قضية ولدي ؟
إسكابان : ابنك، يا سيدي، في مأمن من كل اذى. لكنك أنت تتعرض لخطر
جسيمٍ داهمٍ. لذا أودّ أن تبقى قابلاً في منزلك لا تغادره الى حين قريب إن
شاء الله.

جيرونت : أي خطر يهدّدي ؟
إسكابان : في هذه الساعة بالذات، يبحث عنك شخص مجهول ينوي أن
يقضي عليك.

جيرونت : عليّ أنا ؟

إسكابان : نعم، عليك أنت.

جيرونت : ومن هو ؟

إسكابان : شقيق الصبية التي تزوّجها أوكتاف، لأنه يعتقد أنك باستبداد تهدم
سعادة اخته حين شئت أن تستبدلها بابتك. الأمر الذي يفضي الى إبطال زواج
شقيقته. وعلى اساس هذه الفكرة المشؤومة راح يصب على شخصك جام
غضبه ونقمته. وقد صمّم على الانتقام منك لشرفه المهان. وجميع اصحابه هم
من حملة السيوف والسكاكين المناوئين نظيره. ولقد ابصرت هنا وهناك برفقته
بعض الجنود يستجوبون المارة الذين يصادفونهم، ويحتلون ارصفاً الشوارع
التي يجوبونها بحثاً عنك، ويراقبون جوار منزلك. وهكذا لم يعد بإمكانك أن
ترجع الى بيتك، ولا أن تتقدّم خطوة واحدة الى اليمين او الى اليسار، الى
الامام أو الى الوراء بدون أن تتعرض للوقوع في قبضتهم الرهيبة.

جيرونت : وماذا عليّ أن أفعل، يا صديقي إسكابان ؟

إسكابان : لست ادري، يا سيدي. فهذه مسألة غريبة عجيبة. وتراني ارتجف
هلعاً من قمة رأسي الى أخمص قدمي. إنتظر ها هنا. (يلتفت، ويتظاهر بأنه ذاهب
الى صدر خشبة المسرح ليرى إن كان هناك من أحد).

جيرونت (مرتجفاً) : ما العمل ؟

إسكابان (عائداً) : لا، لا، لا سبيل للخوف مطلقاً.
جيروئت : ألا تجد سبيلاً لتخليصي من هذه الورطة ؟
إسكابان : أحاول أن أتخيّل لك وسيلة. لكنني سأجاذف جدّياً بحياتي، وأختنى
ان اتعرّض للقتل.

جيروئت : ما بالك فزعت. تصرّف، يا إسكابان، كخادم غيور. ارجوك ان لا
تتركني لمصيري المرعب.
إسكابان : لا أحبّ عليّ من ذلك. فأنا أحفظ لك من المحبة والعطف ما لا
يطاوعني على تركك بدون مساعدة.

جيروئت : أوكد لك اني سأكافئك على اخلاصك. وأعدك بأن أمنحك ردائي
هذا قبل ان يهترئ كثيراً.
إسكابان : إنتظر. هوذا حلّ مناسب اهدتيت اليه في هذه اللحظة لإنقاذك.
عليك أن تختبئ في هذا الكيس الكبير، وان ...
جيروئت (يُخيّل اليه أنه رأى أحداً) : آه !

إسكابان : لا، لا، لا. ليس من أحد. لا بد لك من أن تختبئ داخل
الكيس، وان تمتنع عن أية حركة. وأنا سأحملك على ظهري كرزمة بضاعة،
وانقلك هكذا، مجتازاً صفوف أخصامك، حتى اصل بك الى منزلك حيث
يمكنك أن توصلد الأبواب والنوافذ وتستدعي من يحميك من كل عنف
وعدوان.

جيروئت : ما هذه الفكرة الرائعة.
إسكابان : ليس انسب منها، وسترى. (على حدة) ستدفع لي غالباً ثمن
استهتارك بي طوال هذه المدة.

جيروئت : ماذا تقول ؟
إسكابان : أقول إنك ستلجم أشداق أعدائك. أرجو الآن أن تتكّوم في قعر
الكيس وأن تقبع في داخله بدون حراك خوفاً من أن ينوبك أي ضرر.
جيروئت : دعني أتصرّف. فأنا أعرف كيف أختبئ داخله ...
إسكابان : هيا، عجلّ وتواز عن العيان. فهذا أحد المناوئين يبحث عنك.
(يغيّر صوته) : سأحظي حتماً بقتل هذا المدعو جيرونت. لا بدّ من أن يُسدي

أحد اليّ معروفاً ويدلّني عليه ؟ (لجيروننت بصوته العادي) : لا تتحرّك. (يغيّر صوته) : لا بدّ من أن أعثر على هذا الشقي، ولو اختبأ تحت سبع طبقات الأرض. (لجيروننت بصوته الطبيعي)، لا تدعّه يراك. (تارةً يغيّر صوته، وطوراً يعيده الى طبيعته) : لا تدعّه يراك. (تارةً يغيّر صوته، وطوراً يعيده الى طبيعته) — يا حامل الكيس. — نعم، يا سيدي. — سأدفع لك خمس فرنكان إن أرشدتني الى مكان جيروننت. — هل تبحث عن السيد جيروننت ؟ — نعم، أمره يهمني كثيراً. — ولماذا تبحث عنه، يا سيدي ؟ — أبحث عنه لأضربه بهذا القضيب حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة. — يا سيدي، ضربات القضيب ليست لأمثال السيد جيروننت. — وما ادراك من هو جيروننت هذا المحتال. — السيد جيروننت ليس محتالاً. — هل تكذّبتني، يا هذا، وتحدّثني ؟ — انا اذافع كما يليق بي عن رجل شريف تكيل له الاهانات بدون حساب. — هل انت من اصدقاء جيروننت ؟ — نعم، يا سيدي. — اذا كنت حقاً من اصحابه فما عليك إلا ان تتلقّني. (يضرب اسكابان الكيس بالقضيب عدّة مرّات). — هذا ما أُخبئه له. — آه آه، يا سيدي. آه. آه. مهلاً، مهلاً. — خذ له هذا من قبلي. الوداع. — آه. حَمَلْتِك الأبالسة، أيها الوحش الضاري. آه، آه. (يعنّ اسكابان ويتململ، وهو يحرك ظهره، كما لو كان فعلاً قد تلقى ضربات القضيب).

جيروننت (يخرج رأس من الكيس) س : آه، يا إسكابان، لم أَعُدْ قادراً على التحمّل. إسكابان : أنا أسف كل الأسف، يا سيدي، وأكتافي أنا أيضاً تؤلمني إلى حدّ لا يطاق.

جيروننت : ماذا تقول ؟ أكتافي هي التي تلقت الضربات الموجهة. إسكابان : لا، أبداً، يا سيدي، كانت الضربات تنهال على ظهري أنا. جيروننت : ما هذا الكلام ؟ أنا شعرت بالضربات التي انهالت على ظهري، ولا أزال أحسّ بالوجع.

إسكابان : لا، يا سيدي، أوكد لك أن القضيب نزل على أكتافي أنا، وعلى ظهري أيضاً.

جيروننت : كان عليك أن تزيح قليلاً الى الوراء لتجنّبي قساوة الضرب. إسكابان (يعيد رأس جيروننت الى داخل الكيس) : إحذر الضرب. ها هوذا شقيّ

آخر غريب السحنة يقترب. (يعيد اسكابان اللعبة ذاتها كما سبق). — عليّ أن أوصل البحث عن جيرونت حتى أعرّ عليه. (لجيرونت بصوته الطبيعي) : إختبئ جيداً. — ألا قل لي، يا رجل، هل تعرف أين يمكنني أن أجد جيرونت الذي أبحث عنه ؟ — لا، يا سيدي، أنا لا أعرف أين هو جيرونت. — ألا قل لي بصراحة، أين هو ؟ فأنا لا أريد له أي أذى، بل أودّ أن أتخفه بهديّة يحملها على ظهره، وهي عبارة عن ١٠ أو ١٥ قضيباً، ثم ثلاث أو أربع طعنات في صدره. — أوكد لك، يا سيدي أنني لا أعرف أين هو. — أظن أن شيئاً يتحرّك داخل هذا الكيس. — لم أفهم ما تقصده، يا سيدي. — لا بد من أن يكون شيء ما داخل الكيس. — لا، لا، أبداً. ليس فيه أي شيء. — كم أودّ أن أخترق هذا الكيس بسيفي. — إياك أن تفعل، يا سيدي. — إذا أرني ما بداخله، وإلا ... — مهلاً. — لماذا تطلب مني ان أتمهل ؟ — لن ترى أبداً ما بداخل الكيس. — ما هذا الكلام ؟ — هذه بعض ملابس تخصّني. — قلت لك، أرني ما بداخله. — وأنا أقول لك أنه يحوي بعض ملابس. — لا أريد أن أمسك بسوء. — لماذا إذاً تلجّ كل هذا الإلحاح، إذ كنت لا تنوي أي شرّ. — إن لم تطاوعني وتكشف لي عما في داخل الكيس ستنال بعض الضرب بهذا القضيب. — وانا لا يهمني تهديدك. أكرّر عليك أكشف لي عما في داخل الكيس. (ينهال ضرباً على الكيس، ويصرخ إسكابان كما لو كانت الضربات تنهال عليه) : — آه، آه، آه. يا سيدي، آه، آه، آه. — والآن الوداع. وإياك أن تعود الى مخاطبتي بوقاحة. — ألا حَمَلْتك الشياطين الى قعر الجحيم، أيها المحتال اللئيم.

جيرونت (يُخرج رأسه من الكيس) : أكاد أموت من شدة الوجع.

إسكابان : وأنا ايضاً أكاد أموت من الألم.

جيرونت : لماذا ضربني هذا الشرير على ظهري بمثل هذه القساوة الوحشية ؟

إسكابان (يعيد رأس جيرونت الى داخل الكيس) : كُنْ على حذر. فها هم خمسة أو ستة رجال شرطة قادمون الى هنا. (يقلّد عدّة اصوات، بالتالي) : — هيا نبحث عن جيرونت في كل الجهات. — ولا نوفرّ خطواتنا. — لتركض في مختلف اطراف المدينة بحثاً عنه حتى نجده. — من أين نذهب الآن ؟ الى

— هيا، يا غبي، قل لنا أين سيّدك ؟ — ارجوكم، يا سادة، ان لا تسيئوا معاملي. — اذا أخبرنا أين هو ؟ — مهلاً، يا سادتي. (يُخرج جيرونت رأسه من الكيس بهدوء، ويلاحظ خبائث اسكابان، وينتبه الى تقلّبات صوته، وهو يصيح) : إن لم تدلّنا عليّ مخبأ سيّدك، ستلقّي المزيد من الضربات بالقضيب. — انا افضل ان اتوجّع ألف مرّة، ولن أبوح لكم بمكان وجوده. — سنقتلك اذاً يا أحجمق. — افعلوا بي ما يحلو لكم. — أترغب في تلقي الضربات ؟ — لن أخون أبداً سيدي. — اذاً تلقّ. هذا نصيبك من الضرب جزاء عنادك. — آه. (وحين يتأهب إسكابان ليضرب، يُخرج جيرونت رأسه من الكيس. فيهرب إسكابان).
جيرونت : تباً لك من منافق محتال، أيها الخدّاع الخسيس. أراك تريد أن تقضي عليّ ضرباً.

المشهد الثالث

زربينات وجيرونت

زربينات (تضحك بدون أن تبصر جيرونت) : أوّد أن أتشّق قليلاً من النسيم العليل.
جيرونت (يظنّ نفسه وحيداً) : أقسم بشرفي أنك ستدفعين الثمن غالياً.
زربينات (بدون ان تبصر جيرونت) : ها، ها، ها، ها. ما أروع هذه القصة وما أغبي هذا العجوز المغرور.
جيرونت : ليس ما يفرح في هذه الحكاية التي لا توحى بالضحك.
زربينات : ماذا قلت ؟ وماذا تقصد، يا سيدي ؟
جيرونت : قلت أن اللباقة تقضي عليك بأن لا تزدرني بي.
زربينات : وهل أنا ازدرني بك ؟
جيرونت : نعم.
زربينات : كيف ؟ ومن يفكّر بأن يسخر منك ؟

جيروئت : لماذا جئت الى هنا لتضحكي عليّ ؟
زربينات : هذا لا يعينك بتاتاً. فأنا أضحك وحدي بسبب قصةٍ خطرت ببالي في هذه اللحظة. ولا أدري إن كانت لك بها أية علاقة. ولكنني لم أجد فحواها سخيفاً نظير اللعبة التي أقدم عليها ابنٌ بحقّ أبيه، لكي يبتزّ منه بعض المال.

جيروئت : أقدم عليها ابنٌ لبيتزّ المال من والده ؟
زربينات : أجل. مهما حاولت ان تقف منّي على تفاصيلها، لن تنال مبتغاك.
جيروئت : أرجوك أن تقصّي عليّ هذه الحكاية الطريفة.
زربينات : أودّ بكلّ طيبة خاطر، لأنني لا أبالغ في كلامي إن سرّذتها لك. فهي مغامرة ظلّت طويلاً مكتومة كسيرّ دفين. لقد رمانني قدرني بين ايدي جماعة من الجوّالين المصريين يتنقلون من مقاطعة الى أخرى، ويكسبون معيشتهم من العرافة والتنجيم. وحين وصلنا الى هذه المدينة، أبصرني شاب وأحبّني. فاعتقدت أنا أنه كسائر الفتيان الذين يظنون أن أية فتاة، لمجرد إسماعها بعض الكلام المعسول، عليها أن تنقاد الى رغبتهم صاغرةً وتخضع لأهوائهم. لكنه وجدني ابّية لا أسايره كما يتبغي. فبدّل رأيه فيّ، وأعرب لبعض زملائي عن رغبته في الحصول عليّ والاحتفاظ بي لقاء مبلغ من المال يدفعه لهم كي يتخلّوا عني. لكن سرعان ما تبين أن عاشقي من أولاد الأسر المحترمة وأنّ لا مال في حوزته، وأنّ والده الغني بخيل للغاية يصرّ على التمتع وحده بأطياب الحياة، ولا يبالي إن حرم ولده من أبسط حقوقه. إسمع. لقد خانتني ذاكرتي، ولا يخطر الآن ببالي إسم هذا الرجل المغرور. وساعدني، واذكّر لي اسماء بعض ذوات هذه المدينة ولا سيما من طغت عليهم آفة البخل الى اقصى الحدود.

جيروئت : أنا لا أعرف احداً بهذه الصفة.
زربينات : في اسمه لفظة رون أو روئت وربما أوروئت. لا، لا. يُدعى. « جي ... جيرونت » نعم، نعم، هذا هو اسمه. وهو بخيل خسيس، كما قلت لك. ولتعدّ الى قصّتي. أراد جماعتي اليوم أن يغادروا هذه المدينة الى غيرها. وكاد عاشقي يفقدني، لأن لا مال لديه. لو لم يسحب بعض الدراهم من والده

بفضل حيلة إبتدعها خادماً في بيت أبيه. واسم هذا الخادم هو... إني أعرفه جيداً، إسمه إسكابان. ويبدو أنه رجل ودود لا مثيل له يستحق كل مديح وثناء. جيروئت (على حدة) : يا له من دجال.

زربينات : وهذه هي الحيلة التي لجأ إليها لبيت سيده المغرور. ها، ها، ها. أكاد لا أتذكرها حتى أضحك من كل قلبي. ها، ها، ها. لقد شاهد الخادم وعاشقي سفينة تركية على وشك الإقلاع. ودعاها شاب تركي للنزول إليها، وتناولوا وجبةً لذيذة من الطعام. وبعد التناول في موضوع هام، أعاد الشاب التركي الخادم في زورق نجاة الى الشاطئ، على أن يقابل سيده والد العاشق، ويخبره بأن ابنه سيق الى الجزائر كرهينة، ولن يُفرج عنه إلا اذا دفع خلال مهلة ساعتين فديةً مقدارها خمسمئة فرنك. ها، ها، ها. غير أن العجوز البخيل غضب وحزن، لأن ليس في صدره أثر للشفقة على ابنه، طبعاً بسبب بخله. اذ ان الفرنكات الخمسمئة المطلوبة منه، هي بمثابة خمسمئة طعنة خنجر يتلقاها في قلبه المتحجر، إن اضطر الى دفعها. ها، ها، ها. وإذ لم يقبل أن يدفعها، نظراً الى تعلقه بالمال، إحتال عليه خادمه باشكال عديدة. ها، ها، ها. فأراد الأب أن يرسل رجال العدالة لمقاضاة ملاحى السفينة في عرض البحر. ها، ها، ها. والتمس من الخادم ان يمضي الى الشاب التركي الذي احتجز ولده، وأن يطلب منه احتجازه هو الخادم بدل الشاب، وإطلاق سراح هذا الأخير. لأن الأب لشدة شحّه لم يشأ أن يدفع الفدية عن ابنه. ها، ها، ها. أخيراً إقترح على خادمه أن يبيع اربعة أو خمسة من ملابس الوالد العتيقة التي لا تساوي كلها اكثر من ثلاثين فرنكاً، ويدفع فدية الابن البالغة خمسمئة فرنك. ها، ها، ها. لقد ادرك الخادم حقارة الأب ودنائه وسخافة اقتراحه، وسماجة تساؤله المتكرر عما حدا بابنه للنزول الى السفينة المقلعة الى الجزائر، وكان لا يملّ من ترديد سؤاله هذا البليد. وبعد كل هذه التفاصيل المسهبة التي سردتها على مسمك عن غرابة موقف الاب حيال محنة ابنه اثناء احتجازه واختطافه كرهينة، ولم يظهر عليك، يا سامعي، أي أثر للأسف والحسرة، يُخيّل اليّ انك لم تتأثر بفداحة الحادث المؤلم الذي اخبرتك به، فما هو رأيك في الموضوع ؟

جيرونت : أقول إن الشاب الوقح، لا بدّ من أن ينال عقابه حتماً على يد أبيه بسبب تصرّفه الأرعن على هذا النحو. وإن الصبية المصرية القليلة الحياء التي ندّدت برجل شريف مثلي يلزمها تأديب صارم لأنها أتت الى هذه الديار لتفسد أجواءها، وتستدرج أبناء أسرها الى الدعارة التي تمتهنها. وإنّ الخادم المحتمل يجب أن أرسله انا جيرونت الى حبل المشنقة ليوضع في عنقه عاجلاً ويزهق أنفاسه جزاء ما جنت يداه الأثيمتان.

المشهد الرابع

سلفاستر، وزربينات.

سيلفاستر : الى أين تريدان ان تهربي، يا مسكينة ؟ هل أدركت أنك كنت تتحدّثين الى والد حبيبك، وتندّدين به.

زربينات : لقد شككت بالأمر، وخاطبته في هذا الموضوع بدون ان يكون لي أي قصد أو فكر سيّئ، وكانت غايتي فقط أن أروي له قصته وقصتي معاً.

سيلفاستر : كيف أيقنت أنها قصته ؟

زربينات : لأنني كنت متأثرة للغاية بما حدث، وكنت أتوق الى تفريج همّي بسردها. لكن هذا غير مهمّ، ولا فرق عندي إن أعجبته أو أزعجته، إذ انها لا تقدّم ولا تؤخّر بالنسبة الى دوري في سياقها.

سيلفاستر : كنت تتوقين الى التحدّث، لذا إنسابت على لسانك الكلمات كالشلال المتدفّق، وأنت تروين حكايتك بدون إغفال أبسط التفاصيل.

زربينات : لو لم يسمعها من فمي، لبلغته على لسان غيري.

المشهد الخامس

اركانت، وسيلفاستر

أركانت : يا سيلفاستر.
سيلفاستر (لزبينات) : أدخلني الى المنزل. ها هوذا سيدي يناديني.
أركانت : إنفقتما معاً، أنت واسكابان المحتال، وابني الغبي لكي تتمردا على سلطتي الوالدية وتُخالفا رغبتي، وأنتما تظنّان اني سأسكت على وقاحتكما.
سيلفاستر : اذا كان إسكابان، يا سيدي، قد تخابث عليك، فأنا لست مسؤولاً عنه، ولا علاقة لي بما فعله.
أركانت : سنناقش هذه المشكلة قريباً، يا محتال. فأنا لست ممّن يسكتون عن مثل هذه الألاعيب الدنيئة.

المشهد السادس

جيرونت، وأركانت، وسيلفاستر.

جيرونت : ليتك تعلم، يا سيدي أركانت، كم أرهقتني هذه السفالات.
أركانت : أنا ايضاً عافت نفسي هذه الخزعبلات الحقيرة.
جيرونت : إختلس مني الدجال اسكابان بحيلة خسيصة خمسمئة فرنك.
أركانت : هذا المحتال نفسه اختلس مني ايضاً مبلغ مئتي فرنك.
جيرونت : ولم يكتفِ بالفرنكات الخمسمئة التي ابتزّها مني، بل عاملني بطريقة غادرة أحجل من أن أرويها. غير أنه سيدفع لي ثمنها غالياً.
أركانت : وأنا ايضاً سأؤدّبه بأسلوب لن يعجبه، على المهزلة التي وطّني فيها.
جيرونت : أجل، وأنا سأنتقم منه انتقاماً رهيباً.
سيلفاستر (على حدة) : أتمنى أن لا يكون لي نصيب في كل هذه القصص المخجلة.

جيروئت : هذا ليس كل ما في الأمر، أيها السيد اركانت. فالمصيبة تجرّ دائماً وراءها مصيبة أخرى. فقد كنت آمل وأمّني نفسي بأن أجد ابنتي التي كنت أعلّق عليها كل رجائي. وها أنا قد علمت من صاحبي بأنها ذهبت منذ زمن طويل الى تارانت. وبلغني انها هلكت في حادثة غرق الباخرة التي أقلتّها. **أركانت :** لماذا بقيت في تارانت، ولم تُعدّ برفقتك لتدخل السرور الى قلبك ؟ **جيروئت :** لديّ أسباب قاهرة ودواعي عائلية اضطررتني الى كتمان سرّ زواجي الثاني حتى الآن. لكن ماذا أرى ؟

المشهد السابع

نيرين، واركانت، وجيرون، وسيلفاستر.

جيروئت : أجذك هنا، أيتها المرضع، فماذا جرى ؟
نيرين (تجثو على ركبتيها) : آه، يا سيدي باندولف، ما ...
جيروئت : ناديني جيرون، ولا تلفظي بعد اليوم ذاك الاسم الذي ذكرته.
فالأسباب التي دفعتني الى اتخاذه موقّتا في تارانت قد زالت الآن.
نيرين : كم أدخل تغيير اسمك على قلوبنا من الحزن والقلق. فجننا الى هنا للإطمئنان عنك.

جيروئت : أين تركت ابنتي وأمّها ؟
نيرين : ابنتك، يا سيدي، ليست بعيدة عن هذا المكان. ولكن قبل أن تشاهدها، لا بد لي من طلب عفوك، لأنني اضطررت الى تزويجها بسبب حالة الإهمال والضياع التي وجدنا أنفسنا غارقين فيها.

جيروئت : ابنتي تزوّجت ؟

نيرين : أجل، يا سيدي.

جيروئت : ومن تزوّجها ؟

نيرين : شاب يُدعى أوكتاف، ابن سيّد اسمه أركانت.

جيروئت : يا الهي.

أركانك : ما هذه الصدفة ؟

جيرونت : خذيني، هيا خذيني حالاً الى حيث هي كي أراها.
يرين : ما عليك إلا أن تدخل الى هذا المنزل لتشاهدها.
جيرونت : سيرى أمامي. وأنت، يا سيدي أركانك، إلحق بي.
سيلفاستر : هذه مغامرة مباحة لم يسبق لها مثيل.

المشهد الثامن

اسكابان، وسيلفاستر

إسكابان : ارجوك، يا سيلفاستر ان تقول لي ماذا يفعل اصحابنا ؟
سيلفاستر : لديّ نبأ ابلك إياهما : الأول، ان قضية أوكتاف قد سوّيت،
وتبين أن ياسانت هي ابنة السيد جيرونت. وشاءت الصدفة أن يؤدي تحفظ
ابويها الى اتخاذ قرار زفافها. والنبأ الثاني هو أن العجوزين يتآمران عليك، ولا
سيما السيد جيرونت.

إسكابان : هذا غير مهمّ. فلم تُرهبني التهديدات يوماً، لأنها كالغيوم العابرة لا
تلبث أن تنقشع.

سيلفاستر : كن على حذر. إذ لا يُستبعد أن يتفق الابنان والوالدان ويتفاهم
الجميع معاً، وتبقى أنت متهماً بالجرم.

إسكابان : دعني أتصرّف، فلن يصعب عليّ أن أهدئ الخواطر وأن ...
سيلفاستر : إنسحب من هنا. فها هم قد أقبلوا.

المشهد التاسع

جيرونت، وأركانت، وسيلفاستر، ونيرين، وياسانت

جيرونت : هيا، يا ابنتي الحبيبة، عودي الى منزلي. فلن يكتمل فرحي إلا حين أبصر والدتك الى جانبك.
أركانت : ها هوذا أوكتاف قد أقبل.

المشهد العاشر.

أوكتاف، وأركانت، وجيرونت، وياسانت، ونيرين، وزربينات، وسيلفاستر.

أركانت : تعال، يا ولدي، نفرح معك بزواجك المبارك. فالسماء ...
أوكتاف (بدون أن يبصر ياسانت) : لا يا أبي. كل اقتراحاتك في موضوع زواجي لا تُجدي نفعاً. يتحتم عليّ أن أصارحك بما أخفيه عنك. فلا بدّ من أن تكون قد علمت بارتباطي في هذا الموضوع الجوهري.
أركانت : نعم، ولكنك لا تعلم ...
أوكتاف : انا مطلع على كل ما يجب أن أعرفه.
أركانت : أريد أن أخبرك بأن ابنة السيد جيرونت ...
أوكتاف : ابنة السيد جيرونت لا علاقة لها البتّة بوضعي انا.
جيرونت : إنها ...

أوكتاف (لجيرونت) : كلاً، يا سيدي. أرجوك أن تعذرني، لأنني تصرّفت حسب قراري النهائي وصالحني الخاصّ.
سيلفاستر (لأوكتاف) : أنصت إليّ.
أوكتاف : لا أريد أن أسمع منك حرفاً واحداً في هذا الموضوع المنتهي.
أركانت (لأوكتاف) : ان زوجتك ...
أوكتاف : قلت لك ان لا رغبة لي في السماع، يا ابي. أفضّل ان اموت على

أن أتخلّى عن حبيتي وزوجتي ياسانت. (يجتاز خشبة المسرح ليقف الى جانبها).
نعم، مهما فعلت، لا فائدة منه الآن، لأنني قد ارتبطت بها بوثاق الزفاف،
وسأحبها طوال عمري، ولن أرضى بزوجة بديلة عنها.
أرکائت : في الحقيقة، هي المرأة التي أنوي أن أزفّها اليك. وخلافنا ليس في
الواقع إلا سوء تفاهم لا أكثر ولا أقل.
ياسائت (تشير الى جيرونت) : أجل، يا اوكتاف، ها قد وجدت ابي وزالت
عني وعنك كل الشدائد والهموم.

جيرونت : لنذهب الى بيتي حيث نتحدّث بارتياح أوفر.
ياسائت (تشير الى زرينات) : أرجو، يا أبي، ان لا يكون لديك أي مانع
لإحتفاظي بصداقة هذه الصبيّة التي أحبّها. وهي فتاة تستحقّ كل التقدير
والثناء، وستنال إعجابك عندما تعرفها معرفة وافية.
جيرونت : تريدان أن أقبل في بيتي صبيّة تزوجها أخوك بدون علمي، وقد
ألصقت بي منذ هنيهة ألف حماقة وحقّرتني وازدرت بي.
زرينات : أرجوك، يا سيدي، ان تسامحني. لم أكن لأتكلّم عنك هكذا لو
عرفت من أنت. فقد سمعت عنك شتى الأخبار غير المشجّعة قبل أن أتعرّف
اليك.

جيرونت : ماذا بلغك عني ؟
ياسائت : ارجوك، يا ابي، ان تعلم ان ما يحفظه لها أخي في أعماق قلبه من
الحبّ والتقدير ليس جرماً، وأنا أضمن ما تتخلّى به من الفضائل والحسنات.
جيرونت : هذا جميل جداً. فأخوك أصرّ على الاقتران بها، رغم أنها فتاة
مجهولة مهنتها التشرّد.

المشهد الحادي عشر

لياندر، واوكتاف، وياسانت، وزرينات، وأركانت،
وجيروننت، وسيلفاستر، ونيرين.

لياندر : لا تتذمّر، يا ابي، من إقدامي على الإقتران بمجهولة، لا أصل لها ولا مال لديها. ان الأشخاص الذين انتزعتها من بينهم أكّدوا لي بالبرهان أنها ابنة رجل شريف من اسرة محترمة تقطن هذه المدينة، لأنهم اختطفوها وهي في الرابعة من سنّها. وقد أعطوني هذه الاسورة التي كانت في معصمها. وأعتقد أنها خير دليل يساعدنا على الاهتداء الى أهلها.

أركانت : يا الهي. حال مشاهدتي هذه الاسورة، عرفت انها تخصّ ابنتي التي فقدتها، وهي في العمر الذي ذكرته الآن.

جيروننت : إبتك ؟

أركانت : أجل هي ابنتي، وملامحها تعيد الي ذاكرتي صورة محيّاها حين كانت صغيرة السنّ.

ياسانت : ايها السماء، ما هذه المفاجآت الحلوة الخارقة التي حدثت في هذا النهار ؟

المشهد الثاني عشر

كارل، ولياندر، واوكتاف، وجيروننت، واركانت،
وياسانت، وزرينات، وسيلفاستر، ونيرين.

كارل : أعذروني، يا سادتي. لقد جرى الآن حادث غريب التوقيت.

جيروننت : ما هو ؟

كارل : مسكين اسكابان.

جيروننت : هو دجال محتال، أتمنّى شنقه.

كأزل : مع الاسف، يا سيدي، لن تحتاج بعد الآن الى هذا العناء. عندما كان ماراً قرب ورشة بناء سقط حجر ضخّم على رأسه وهشّمه كأنه مطرقة. وهو في هذه اللحظة ينازع، وقد إلتمس منا أن نأتي به الى هنا ليشاهدكم ويخاطبكم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

أركانت : أين هو حالياً ؟

كأزل : ها هوذا.

المشهد الثالث عشر

إسكابان، وكارل، وجيروننت، وأركانت، الخ.

إسكابان (يحمله رجلان، ورأسه معسوب بالشاش، كما لو أصابه جرح بليغ) : آه، آه، يا سادتي، ترونني... آه، ترونني في حالة يُرثى لها. آه، لم أشأ أن أموت بدون أن آتي واطلب عفو جميع الأشخاص الذين أغظتهم وأسأت اليهم. آه، نعم، يا سادتي، قبل أن أفارق الحياة، ألتمس من قلوبكم السمحة أن تغفر لي جميع حماقاتي، ولا سيما ما فعلته بالسيد أركانت والسيد جيروننت. آه، آه.

أركانت : انا من جهتي سامحتك. فيمكنك أن تموت بسلام ...

إسكابان (لجيروننت) : أمّا أنت، يا سيدي، فقد أسأت اليك أكثر من سواك لأنني أوسعتك ضرباً بالقضيب ...

جيروننت : لا تقل أكثر من هذا. فأنا أيضاً قد سامحتك.

إسكابان : لقد أمعنتُ في الإساءة اليك حين أوسعتك ضرباً، وأنا أُوهمك بأنني أحملك من أعدائك.

جيروننت : دعنا من هذا الحديث.

إسكابان : أشعر، وأنا أموت، بألم شديد كأنه ناجم عن الضرب بالقضيب ...

جيروننت : يا الهي. قلت لك كَفَى، أسكت

إِسْكَابَان : هذه الضربات الموجعة التي أنزلتها بك ...
جيروئت : قلت لك أصمت، وائسَ كل ما مضى.
إِسْكَابَان : أنا آسف كل الأسف. فقد غمرتموني بكرم أخلاقكم. ولكن، هل
حقاً سامحتني من كل قلبك، يا سيد جيرونت، وغفرت لي ضربي إياك
بالقضيب ؟ ...
جيروئت : أجل، لا تُعُدْ الى ذكر حرف ممّا مضى. أجل، غفرت لك كل
إساءاتك.
إِسْكَابَان : الآن هدأ بالي بهذه المسامحة الأكيدة الشاملة.
جيروئت : أجل، أنا سامحتك وغفرت لك جميع إساءاتك، بشرط أن تموت.
إِسْكَابَان : ماذا تقول، يا سيدي ؟
جيروئت : اذا استغربت قولي، أراجع عنه فوراً.
إِسْكَابَان : آه، آه، ها قد عادت الأوجاع تدبّ في أوصالي بشدّة.
أزكالت : ايها السيد جيرونت، إكراماً لإبتهاجنا، يجب عليك أن تغفر له
وتسامحه بدون أي شرط.
جيروئت : فليكن.
أزكالت : هيّا بنا اذاً لتعشّي سويّةً ونحتفل بأفراح يومنا هذا.
إِسْكَابَان : وأنا أودّ أن أجلس الى مائدتكم متصدّراً، بانتظار أن أموت في
المستقبل، بعد العمر الطويل.

(تَمّت)

غيرة المخدوع

أشخاص المسرحية

- المخدوع : زوج أنجيليك.
الطبيب :
أنجيليك : ابنة كورجيبوس.
فالير : عاشق أنجيليك.
كاتي : مُرافقة أنجيليك.
كورجيبوس : والد أنجيليك.
فيلبروكان : صديق كورجيبوس
لا فالي :

المسرحية ذات فصل واحد المشهد الاول

المخدوع

المخدوع : لا بدّ لي من الاعتراف بأنّي أتعس خلق الله. اذ لا همّ لزوجتي إلا ان تثير غضبي، بدل ان تكون تعزيتي وسلواي في هذه الدنيا، وأن تسعى جاهدة لتحقيق أمنياتي. فأراها تعمل بكل خبث ودهاء على اخضاعني لشيطان حماقتها عشرين مرة في اليوم الواحد، بدلاً من المكوث في بيتها والإنصراف الى اشغالها المنزلية. لانها تحبّ النزاهات والمآكل اللذيذة التي يجود بها عليها المتملقون، ومعاشرة ما هبّ ودبّ من الناس المغرضين. فما أشقاني أنا المخدوع، وما افدح مصابي. على كل حال، هي تستحقّ أشد العقاب. آه، لو كان باستطاعتي ان أقتلها وأرتاح من شرّها... لكن ذلك لن يفيدني، بل سيوصلني الى جبل المشتقة. واذا تسببت في سجنها... ستخرج منه اللعينة، بفضل ما تتقنه من فنون الاغراء. فماذا عساي أن افعل؟ ها هو الطيب يمرّ من هنا. وما عليّ إلا ان اطلب منه نصيحة تنقذني من جحيمي الذي لا يطاق عذابه الاليم.

المشهد الثاني

الطبيب والمخدوع

المخدوع : كنت مزماً ان اذهب اليك لكي أرجوك ان يصف لي علاجاً يشفيني من علتي المزمنة التي ترهقني منذ زمن بعيد.
الطبيب : لا بد لك من ان تكون غيبياً وبليداً الى اقصى حد، يا صديقي، لانك تخاطبني بدون ان ترفع قبعتك عن رأسك احتراماً لمقامي، وبدون ان تبادرني بالزم القايي التي أستحقها عن جدارة. واذا بك تبدأ توجيه حديثك اليّ بقلة لياقة ولباقه، وتحيني بدون تهذيب وانحناء، وبدون ما أعتر به من لقب الطبيب النطاسي الفريد. يخيل اليّ انك تظنني من عامة الناس، أيها الصديق الجاهل.

المخدوع : أرجوك ان تعذرني، يا سيدي، لعدم إنتباهي الي هذا الواجب، ولعدم تفكيزي بما كنت أقول وأفعل. لكن ثق بأنني أعلم تماماً انك رجل لطيف كريم.

الطبيب : هل تدري ما معنى اللطيف الكريم ؟.

المخدوع : أجل، هو الرجل الآتي من الضواحي البعيدة التي لا يهمني أمرها.
الطبيب : أعلم، يا هذا، ان كلمة لطيف تعني صاحب اللطف، وعندما تضاف اليها كلمة كريم تنتسب حينئذ الى الرجل اللطيف الكريم. فهل ما زلت تظنني من عامة الشعب ؟.

المخدوع : أنا واثق بانك طبيب. ولتتكلم عن المسألة التي أطلب مشورتك من أجلها. فأرجوك ان تعرف أنني...

الطبيب : أعلم أيضاً انني لست طبيباً مرة واحدة فقط بل مرتين وثلاث واربع وخمس وست وسبع وثمانى وتسع وعشر مرات طبيباً ماهراً.
— أولاً : لأن الوحدة هي الأساس، ورقم واحد هو أول الأرقام لذ أنا أول الاطباء براعة.

— ثانيا : هناك موهبتان ضروريتان لمعرفة كل المعلومات، بغية استيعاب المعنى والمدلول. وبما اني أدرك المعنى والمدلول، فأنا طبيب مرتين.

المخدوع : لا خلاف على ذلك. ولكن...
 الطيب : ثالثاً، لأن العدد ثلاثة يشير الى الكمال حسب ما أكدّه الفيلسوف
 ارستطاليس، وبما اني كامل الصفات، كذلك كل أفكارى بُرمتها هي كاملة،
 وهكذا انا طيب ثلاث مرات.

المخدوع : لا شك عندي في ذلك مطلقاً، ايها الطيب.
 الطيب : رابعاً، لأن علم الفلسفة يشتمل على اربعة أقسام اساسية هي :
 المنطق والاخلاق والطبيعة وما وراء الطبيعة، وبما اني وحدي امتلك هذه
 الاقسام الاربعة، ومتضلع منها جميعاً، فأنا طيب اربع مرات.
 المخدوع : اكرر لك اني لا أشك بذلك بتاتاً. فأرجوك أن تستمع اليّ.
 الطيب : خامساً، لأن هناك خمسة عناصر كونية في: النوع، والجنس،
 والفرق، والخاصة، والحادث، وبدون معرفتها لا يمكن ان يستقيم أي منطق،
 وبما اني قادر على استخدامها لصالحى، وأدرى الناس بفوائدها، فأنا هكذا
 طيب خمس مرات.

المخدوع : ما أحوجني معك الى الصبر الجميل وطول البال.
 الطيب : سادساً، لان الرقم ستة هو رقم الشغل، وبما اني أعمل بدون
 انقطاع للمحافة على أمجادى، فأنا طيب ست مرات.
 المخدوع : يمكنك ان تتكلم بقدر ما تريد.

الطيب : سابعاً، لأن الرقم سبعة مبارك ويدل على الغبطة، وبما اني ضليع
 في جميع المعارف التي تؤمن رفاهية الانسان، وانا سعيد بما لدي من
 مواهب، اراني مضطراً لأن أعلن اني طيب سبع مرات.

— ثامناً، لان الرقم ثمانية يرمز الى العدالة ويشتمل على المساواة، ولأنى
 بهذه العدالة الحكيمة أقيس جميع أفعالى، فأنا أعتبر ذاتى طيباً ثمانى مرات.
 — تاسعاً، لأن البشر لا يمكنهم الإستغناء عن هذا العدد بدون ترديد سائر
 الارقام، ولان هذا الرقم عالمى أيضاً وأيضاً، وجدني البشر طيباً عالمياً،
 لأنى أجمع كل صفات الطيب الماهر. لذلك ترى هذه الأسباب القاهرة
 صحيحة ومقنعة لا تحتاج الى أي برهان لإثبات انى مرة ومرتين وثلاث
 وأربع وخمس وست وسبع وثمانى وتسع وعشر مرات طيب بارع.

المخدوع : ما هذا الكلام ؟ ظننت اني وقعت على رجل عالم جدير بأن
يجود عليّ بنصحه، فتبين لي انه منظف مداخن، بدل أن يحدثني أولاً
وثانياً وثالثاً ورابعاً الخ. ها، ها، ها، هذا لا يعجبني. فأرجوك ان تصغي
اليّ وأن تصدقني إن قلت لك إنني رجل لا أضيع لك أتعابك. وانك إن
لبيت طلبتي الذي أسألك اياه، ستنال ما ترغب فيه من المال، طبعاً اذا
شئت ان تفيدني.

الطبيب : أنت تذكّر المال.

المخدوع : نعم، المال وأي شيء آخر تطلبه.

الطبيب : (يجمع يديه أطراف جبهته خلف ظهره) : أنت تظن ان المال
يجعلني أفعل كل ما تطلبه مني، ايها الغيبي، كأني إنسان يتمسك بالمادة،
ويؤجّر نفسه كسائر المرتزقة ؟ ألا اعلم، يا صاح، انك وإن منحتني كيساً
من النقود موضوعاً في علبة، والعلبة مزخرفة محفوظة في صندوق يستحق
الاعجاب، وهذا الصندوق موجود في غرفة رائعة، والغرفة في جناح فخم،
وهذا الجناح داخل قصر شاهق، وهذا القصر ضمن قلعة حصينة، وهذه
القلعة في قلب مدينة شهيرة، وهذه المدينة وسط جزيرة خصبة، وهذه
الجزيرة يحيط بها بحر حافل بالغرائب والعجائب، وهذا البحر ضمن منطقة
مزهرة، وهذه المنطقة وسط مملكة واسعة شاسعة. وإن جُدتَ انت عليّ
بهذا العالم الرائع بما يحويه من ممالك مزدهرة ومناطق غنيّة ومدن عامرة
شهيرة وقلاع لا مثيل لها وقصور شاهقة وأجنحة مُتَرَفَة وغرف مزيّنة وصناديق
ثمينة وعلب مزخرفة ومحافظ نقود مليئة، فلن اهتمّ بك ولا بمالك حتى
ولا بشخصك.

المخدوع : لقد أخطأت في التوجّه اليه، لأنه يرتدي ملابس شبيهة بشباب
الاطباء، جعلتني أظنّ ان عليّ ان احده عن المال. ولكن، بما انه لا يرغب
في المال، فمن السهل إرضاءه بأي شيء آخر. لذا عليّ ان أمضي اليه.

المشهد الثالث

أنجيليك، وفالير، وكاتي

انجيليك : أوكد لك، يا سيدي، انك تجبرني أحياناً على مرافقة زوجي المشوّه والمستهتر والسكّير، وعلى احتمال سماجته كعذاب لا يطاق. إذ لا فائدة ولا سلوى في مصاحبة مثل هذا الثقيل الظلّ.
فالير : انتِ تكرميني كثيراً بمساررتي هكذا. لذا اعدك بأن أبدل جهدي للترويح عن نفسك. وبما انك تبدين متهجة بمجالستي، يسرني ان اعلمك بأنني انا أيضاً سعيد بمبادلتك الحديث الطلي الذي توجّهينه اليّ.
كاتي : علينا ان نغيّر الموضوع، لأن زوجي، حليف النحس، قد وصل.

المشهد الرابع

المخدوع، وفالير، وانجيليك، وكاتي

فالير : يكاد اليأس يخنقني با سيدتي، حين انقل إليك أخباراً مزعجة عن شخص معين. وبما ان أخاك مريض جداً...
انجيليك : ارجوك ان لا تضيف كلمة الى ما قلته لي. واشكرك على ما تحمّلته من مشقّة للمجيء الى هنا.
المخدوع : بدون الذهاب الى الكاتب العدل، حظيت بالشهادة الناصعة التي تؤكّد أنني زوج مخدوع. ها، ها، ها، يا سيدتي البارعة في الاغراء، اراك بصحبة رجل غريب، رغم كل التحريمات التي امليتها عليك، وانت تتقنين، فنون الغنج والدلال.
أنجيليك : وهل يستدعي ذلك أن تُسمعي هذه الملامة ؟ لقد جاء هذا السيد ليخبرني بأن أخي مريض، فما هو الداعي للمشاجرة ؟.
كاتي : ها هو مائل أمامي. ولا شك عندي أننا مقبلون على فترة صعبة.

المخدوع : انما كلاكما تتدلّان وتجلبان الغمّ الى قلبي. اما انتِ، يا كاتي، فأني على يقين بأنك تحرّضين زوجتي على التمرد والعصيان. فمنذ ان تصاحبتما لم تعد تملك نصف ما كنت أقدّره فيها من الطاعة والمسايرة. كاتي : طبعاً، لأنك مستبدّ تحجز حرّيتها بشكل لا يطاق. أنجيليك : دعي هذا السكّير يهزي. ألاّ تشمين رائحة الخمرة الفوّاحة من فمه التنّ؟.

المشهد الخامس

كوزجيبوس، وفيلبروكان، وانجيليك، وكاتي، والمخدوع

كوزجيبوس : ها هوذا صهري الملعون يشاجر ابنتي المسكينة. فيلبروكان : علينا ان نعرف الاسباب التي دفعته الى ذلك. كوزجيبوس : الشجار المتواصل لا يُحتمل. فلا اثر للسلام والهدوء في هذا البيت. المخدوع : هذه المتهتكة تعتبرني سكّيراً. آه، كم أودّ أن أودّبها بحضور أهلها. كوزجيبوس : لو أقدمت على ذلك لدفعْتُك الى الشيطان الرجيم. انجيليك : أترى كيف يبدأ هو دائماً بإثارة الشغب. كاتي : ما أنحس الساعة التي رضيت فيها بهذا الدجال زوجاً. فيلبروكان : هيا اسكتي، يا ثرثارة.

المشهد السادس

الطبيب، وفيلبروكان، وكورجيبوس وكاتي، وانجيليك والمخدوع.

الطبيب : ما هذه الفوضى، ما هذا الشجار ؟ وما هذه السفاهة ؟ ما هذه الضجة ؟ ما هذا الخلاف ؟ ما هذا التناحر ؟ ما الخبر، يا جماعة ؟ ما ذا جرى ؟ أليس من سبيل الى التفاهم فيما بينكم والاتفاق والوثام ؟ هل من وسيلة فعّالة لأكون المصالح الموفق فيما بينكم ؟.

كورجيبوس : صهري وزوجته، ابنتي المسكينة، يتشاحنان معاً باستمرار.
الطبيب : ما السبب ؟ أخبرني ماذا جرى بينهما من خلاف ؟.

كورجيبوس : سيدي...

الطبيب : إختصر الكلام.

كورجيبوس : طبعاً. أرجع قبعتك الى رأسك.

الطبيب : هل تعرف مصدر كلمة قبعة ؟.

كورجيبوس : كلاً.

الطبيب : هي مشتقة من قَبَعَ أي مكث بهدوء، وهذا ما يجب ان يسود هذا المكان.

كورجيبوس : لم أكن أعرف ذلك.

الطبيب : قل لي بسرعة ما هو سبب هذا الشجار ؟.

كورجيبوس : إليك ما جرى...

الطبيب : لا أظن أنك تستطيع ان تستوقفني طويلاً. فأرجوك ان توجز حديثك لان لديّ اموراً مستعجلة عليّ أن أتمّها في المدينة. لكنني لأجل إعادة الصفاء الى أسرتكم يسعني ان اتوقّف لحظة.

كورجيبوس : سأروي لك القصة بلمحة.

الطبيب : إختصر اذا على قدر الامكان.

كورجيبوس : وهذا ما أنوي أن أفعله.

الطبيب : عليك ان تعلم، يا سيدي كورجيبوس، ان الإيجاز فضيلة نادرة، وأن المحذّنين الكبار بدلاً من أن يحملوا الناس على الإستماع اليهم، يتصرفون

بشكل غير لائق، ناسين أن أبرز فضائل الانسان هي التقليل من الكلام.
كورجيبوس : واعلم أنت إذا أن...

الطبيب : لقد أوصى سقراط الفيلسوف أتباعه بثلاث صفات هامة : التبصر
في عواقب الأمور، والقناعة في الأكل، وسرد الوقائع بوجيز العبارة. فأبدأ
إذا، يا سيدي كورجيبوس، على هذا الأساس.

كورجيبوس : هذا ما أنوي عمله.

الطبيب : بالاختصار، وبدون مقدمات، وبدون إلهائي بطول الشرح، أخبرني
بسرعة، يا سيدي كورجيبوس، ما هو جوهر الخلاف الناشب، لأنك أولى
بالحديث من المتشاجرين.

فيلبروكان : يا سيدي الطبيب، أنت تعلم...

الطبيب : أنت جاهل، وغير لبق، وغريب عن كل لياقة، بل حمار، بصريح
العبارة، لا تفقه شيئاً. لأنك تبدأ السرد بدون أية كلمة تمهيد. ولا بد
لأحد سواك من أن يفسر لي اسباب الخلاف. فأعلميني أنت، يا سيدي،
كيف وقع الشجار؟.

انجيليك : زوجي هذا السمج يشبه قربة الخمرة التي لا تفرغ.

الطبيب : مهلاً من فضلك، وتكلمي عن زوجك باحترام ووقار حين تكونين
في حضرة طبيب بارع مثلي.

انجيليك : هل هذا حق مكتسب، يا سيدي الطبيب؟ أنا لا أبالي لا بلقبك
ولا بعلمك، وأتحدث كما يحلو لي.

الطبيب : أعتقدين ذلك، أيتها الحمقاء؟ أنت صاحبة مزاج متقلب على
ما يظهر، وعليك ان تكوني مهذبة في حضرة رجل علم ومهارة نظيري
يفرض اعتباره ومهافته على الجميع بدون استثناء. هيّا أخبريني باختصار ما
هو سبب الخلاف؟.

المخدوع : سيدي الطبيب...

الطبيب : هذا الكلام مطلعته جدير بالاستماع اليه. « سيدي الطبيب ». وهو
تعبير حلو الرنين، رخيم النبرة على الأذن، وحافل بالوقار : « سيدي
الطبيب »...

المخدوع : هذا يعجبني تماماً...
الطيب : وهذه عبارة أخرى تروق لي أنا أيضاً، وتتضمن ادباً جماً واحتراماً
مشكوراً يؤدّي دوماً الى حسن الختام.
المخدوع : لكن حديثك أصبح ثقيلاً على مسمعي.
الطيب : أحذف هذا التعبير البليد من قولك، لأنه سمج بذيء.
المخدوع : ارجوك ان تنصت اليّ، يا سيدي الطيب.
الطيب : كلّي آذان صاغية، كما قال الخطيب المفوه « شيشرون ».
المخدوع : انا لا اكثرث لما يُنفّر أو يُتّذل من الكلام. على كل حال
ستصغي اليّ أو أحطّم لك أسنانك. فما أنت، على ما أرى، إلا إبليس الخسيس.
(هنا يضحّ المخدوع وانجيليك وكورجيبوس وكاتي وفيلبروكان، وهم يتكلّمون جميعهم
في آن واحد ويشرحون للطيب أسباب الشجار، ملتصين استتباب الهدوء والسلام لأن
الوثام لا تفوقه أية فضيلة. وفي أثناء هذا الصخب يربط المخدوع رجل الطيب بحبل
ويشدّه، فيسقط الطيب على ظهره، ويجرّه المخدوع على الأرض، بينما يواصل الطيب
صراخه وهو يعدّد على أصابع يده كل الصفات التي يتحلها، كما لو كان منتصباً على
رجليه وهو سيّد الموقف رغم انه محجوب عن الأنظار بين جماعة الصاخبين).
كورجيبوس : هيا، يا ابنتي، عودي الى بيتك، وتفاهمي وزوجك بهدوء.
فيلبروكان : وداعاً، ايها الرجل العنيد، وليلتك سعيدة.

المشهد السابع

فالير، ولا فالير. (تسحب أنجيليك)

فالير : أشكرك على تدخلك المستحبّ، وأعدك بأن ألبّي لك طلبك قبل
مرور ساعة من الزمن.
لا فالير : المسألة لا تحتل التأجيل. واذا تأخرت ربع ساعة ستنتهي الحفلة

الساهرة بعد فترة، ولن يتسنى لك ان تشاهد الصبية التي تحبها اذا لم تبادر الى المعجىء خصيصاً لذلك.
فالير: هيا بنا إذاً نسرع الخطى.

المشهد الثامن

انجيليك

أنجيليك: بينما زوجي غائب، أودّ أن أقوم بجولة بين الحاضرين أثناء هذه الحفلة الساهرة التي تحيّيها إحدى جاراتي المرحات. وسأعود قبل رجوعه من الخمارة التي اعتاد ارتيادها. وهكذا لن ينتبه الى غيابي. فإن هذا الغبي يتركني وحدي في المنزل، كما لو كنت خادمة مولّجة بحراسة البيت.

المشهد التاسع

المخدوع

المخدوع: كنت على يقين بأنّي سأنال من هذا الطبيب الاحمق ومن معرفته السخيفة. ألاّ حمّل الشيطان هذا الجاهل المغرور الذي سخرت من كل علومه ومن غباهه المزعج. على كل حال، عليّ ان أذهب وأرى إن كانت زوجتي الخبيثة قد أعدت لي طعام العشاء.

المشهد العاشر

انجيليك

انجيليك : ما اتعس حظي. لقد تأخّرت ووصلت بعد انتهاء السهرة، عندما أخذ المدعوون ينصرفون. لكن هذا لا يهمّ كثيراً، سأعوّض عن ذلك في المرة القادمة. والآن عليّ أن أعود الى البيت كما لو لم أتغيّب عنه. لكن الباب مقفل. كاتي، يا كاتي.

المشهد الحادي عشر

المخدوع (يطلّ من النافذة) وانجيليك

المخدوع : كاتي، يا كاتي. اين أنتِ، يا كاتي ؟ ثم من أين أنتِ قادمة، يا زوجتي الرصينة في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وفي هذا الطقس المكفهرّ؟

انجيليك : من اين أنا آتية؟ إفتح أولاً، يا غبي، ثم أعلمك بعدئذ.
المخدوع : يمكنك ان تنامي حيث كنت. واذا فضّلتِ، يسعك أن تبيتي في الشارع. فأنا لن أفتح الباب لمتشرّدة متهتكة نظيرك. كيف خرجت وحدك في هذا الليل الدامس. لا أدري بالضبط مع من تسكّعت في هذه الاثناء. ولكنني أعلم جيداً أنك مذنبه.

انجيليك : تركنتي وحدي في البيت، يا لثيم، فخرجتُ أتسلّي بعض الوقت. وها انت تلومني وتخاصمني لأنني بحثت عن صحبة تُلهيني قليلاً.
المخدوع : كان عليك ان تبقي في البيت لإعداد طعام العشاء وترتيب الفوضى السائدة على المنزل. ولتؤمّني للأولاد ما يحتاجون اليه من عناية، وكذلك لتوفّري لي بعض الراحة.

انجيليك : والآن ماذا دهاك ؟ ألا تريد ان تفتح لي الباب ؟

المخدوع : كلاً ثم كلاً. لن أفتح لك.
انجيليك : إفتح لي، يا زوجي العزيز. أرجوك ان تفتح لي الباب، يا حبيبي.
المخدوع : يا لك من دجالة غدارة. تباً لك أيتها الافعى السامة. أنتِ
تتملقيني الآن لكي تخونيني بعد قليل.
انجيليك : إفتح، يا مغرور، هيا افتح حالاً.
المخدوع : الوداع، يا خداعة. إذهبي الى إبليس اللعين.
انجيليك : ماذا تقول، أيها الأحمق؟ ألا تريد أن تفتح لي الباب؟
المخدوع : كلا، ثم كلا، ثم كلا.
انجيليك : ما لك لا تشفق على زوجتك المسكينة التي تحبك كثيراً؟
المخدوع : لا، لا. لن أرحمك، لانك اهتنتني، وأنا مستعد للانتقام من
استهتارك وتهتكك، وسأكون قاسياً معك، ولن اشفق عليك.
انجيليك : هل تعلم انك، إن أخرجتني وأخرجتني عن تحفظي سأغضب
وسأقدم على عمل ما يسبب لك الأسف والندم.
المخدوع : وماذا عساكِ تفعلين، ايتها الزوجة الامينة؟
انجيليك : اذا لم تفتح لي، سأنتحر أمام الباب. فيأتي أهلي حتماً ليتفقدوني
قبل ان يناموا، ويروا ما إذا كنا سوية بخير، ويجدونني قد فارقت الحياة،
فيكون نصيبك حبل المشنقة.
المخدوع : ها، ها، ها. سأكون عندئذ من أسعد الناس، وستكونين انتِ
الخاسر الاكبر. هيا، انا على يقين بأن حماقتك لن توصلك الى هذا المصير
البائس.
انجيليك : ألا تصدق اني جادة في قولي؟ ها هوذا السكين جاهز في يدي
وإن لم تفتح، سأغرزها حالاً في صدري.
المخدوع : إحذريه، لأنه مرهف الحد، ولا سيما رأسه الرفيع.
انجيليك : ألا تزال مصمماً على عدم فتح الباب؟
المخدوع : أكّدت لك عشرين مرة أنني لن افتح لك. إنتحري واذهي
الى اعماق الجحيم. فلن يهمني مصيرك الكئيب، بل اتخلص من لسانك
الطويل.

انجيليك : (تتظاهر بأنها تطعن صدرها) : الوداع إذًا، يا صاحب القلب الرقيق... آي. ها انا أَلْفِظُ أنفاسي الأخيرة.

المخدوع : هل جننت فعلاً لكي أقدمي على هذه الحماقة ؟ لا بد لي من إضاءة شمعة، والمبادرة لأرى حقيقة الامر.

انجيليك : وانا لا بد لي من الإمساك بخناقك. اذا شئت سأدخل البيت خلسةً، بينما أنت تبحث عما جرى لي. وهكذا يتحكّم كلٌّ منا بالآخر على هواه.

المخدوع : كنت واثقاً بأنها ليست غيبية الى هذه الدرجة. هل تكون قد ماتت، وقد ركضت كالحصان الجامح ؟ على كل حال أرعدت فرائصي برهةً. حسناً فعلتُ باسراعها الخطي وبدخولها الى المنزل. وإلا، لو أمسكت بها وهي علي قيد الحياة، لأنزلت بجانبها ضربات مؤلمة، بعدما أفرغتني جدياً. ولكنك علمتها كيف تتلاعب بأعصابي اكثر مما بدر منها. على كل حال، سأوي الى فراشي لأنام. ولكن، يبدو أن الهواء أغلق الباب ورائي. كاتي، يا كاتي، إفتحي لي.

انجيليك : كاتي، يا كاتي، ماذا فعلتِ، يا كاتي ؟ من أين انتِ قادم ايها السكرير ؟ هيا إذهب في سبيلك. فإن أهلي سيأتون بعد برهة، وسيعرفون حقيقتك، يا برميل الخمرة. انت لا تغادر الخمارة، بل تترك زوجتك في البيت وحدها مع أطفالها، بدون أن تأبه لما يحتاجون اليه من مآكل طوال النهار.

المخدوع : افتحي لي سريعاً، يا مجرمة، أو أحطّم رأسك الفارغ.

المشهد الثاني عشر

كوزجيبوس وفيلبروكان، وانجيليك، والمخدوع

كوزجيبوس : ما هذا ؟ الشجار المستمر والمناقشة الحامية.
فيلبروكان : أوليس من سبيل الى العيش هنا باتفاق وسلام.

انجيليك : ألقى نظرة على هذا المخمور الذي يعود الآن في آخر الليل
بضجة صاحبة ليهيني ويهدّد حياتي.
كوزجيبوس : لا سيما الآن والساعة ليست موعد الرجوع الى البيت
كالمألوف. أولاً يتحتم عليك أن تعود باكراً كالرجل العطوف لتسلي زوجتك،
والاب الحنون لترعي أطفالك ؟ .
المخدوع : ليخطف روجي إبليس، إذا كنت قد غادرت البيت. إسأل
بالاحرى هؤلاء السادة الجالسين هناك على العشب الأخضر، فيؤكدوا لك
أنها هي التي تعود الآن متأخرة في نهاية الليل. آه، حقاً لا يحلّ الظلم
إلا بالانسان العاقل البريء.
فيلبروكان : هيّا، هيّا. إتفقا فيما بينكما، واطلب أنت منها السماح.
المخدوع : انا لن اسألها العفو. فالأفضل أن يحملها الشيطان الى نيران
الجحيم، لأن غضبي ليس له حدود.
كوزجيبوس : هيّا، يا ابنتي، عانقي زوجك، وكونا صديقين وقين.

المشهد الثالث عشر والآخر

الطيب (يطلّ من النافذة مرتدياً ثياب النوم) والمخدوع وفيلبروكان،
وكوزجيبوس، وانجيليك

الطيب : ماذا جرى ؟ ما هذه الضجة المتواصلة، والفوضى المستشرية،
والخلاف الدائم، والشجار الصاخب والمناقشات الحامية، والخصام الابدي
الذي لا ينتهي. ما هذا، وماذا حدث ؟ أليس من وجود للراحة في هذا
البيت ؟ .

فيلبروكان : هذا امر طبيعي، يا سيدي الطيب، والجميع على أتم الاتفاق.
الطيب : في موضوع الوفاق، هل تريد ان اقرأ لك فصلاً من حكّم الفيلسوف

أرستطاليس، حيث يُثبت أن جميع العناصر في هذا الكون المترامي الأطراف لا تتماسك إلا إذا ساد بينها التناسق والانسجام.
فيلبروكان : وهل سيدوم هذا الحال طويلاً ؟ .
الطبيب : كلا، لن يطول. إذ إن الفصل لا يحتوي سوى حوالي ستين أو ثمانين صفحة لا أكثر.
فيلبروكان : الوداع اذاً. تصبحون على خير، وشكراً جزيلاً سلفاً.
كوزجيبوس : لا حاجة الى هذه التلاوة.
الطبيب : انت لا تريد ذلك ؟ .
كوزجيبوس : كلاً.
الطبيب : الوداع اذاً. بما ان القصة انتهت هكذا، أتمنى لكم ليلة سعيدة.
فيلبروكان : أما نحن فهياً بنا نتناول طعام العشاء معاً.

(تمت)

